القائد الأعظم وقصة الباكستان

تأليف

محمد حسن الأعظمي

عميد كلية اللغة العربية بالباكستان
والأمين العام لمؤتمر العالم الإسلامي ورابطة التأليف والترجمة
والجمعية العربية العامة في الباكستان

obeikandl.com

obeikandl.com

المـــؤلف

الأستاذ محمد حسن الأعظمى عميد كلية اللغة العربية ومؤسس الجمعية العربية العامة فى الهند والباكستان وسكرتير المؤتمر الإسلامى الدائم

obeikandl.com

الإهداء

إلى صاحبة العصمة فاطمة جناح

شقيقة القائد الأعظم رحمة الله عليه

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة المؤلف

قرأ الناس فيما قرأوا عن الهند كتبا كثيرة وقرأوا عن زعيم الهند غاندى وأعجب الناس بما أتاه هذا الزعيم من أعمال فهتفوا له فى حياته وحزنوا عليه بعد مماته ، وإذا كان غاندى قد تزعم حركة الهنادك نحو الاستقلال فهناك زعيم آخر قد تزعم المسلمين نحو الاستقلال وأثبت أنهم شعب جدير بالبقاء والحياة وفق تعاليم الإسلام ، هذا الزعيم هو القائد الأعظم محمد على جناح الذى قاد المسلمين حتى النصر وبلغ بهم الذروة وقامت لهم دولة مرهوبة الجانب مسموعة الصوت فى الميادين العالمية هى دولة الباكستان .

والمسلمين والهنادك قصة طويلة هى قصة ما بين الفاتحين والمستعمرين ، فقد نزل العرب أول ما نزلوا الساحل الغربى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وتوالت حملات المسلمين من العرب والمغول وغيرهم على هذه البلاد إلى القرن الثامن عشر الميلادى ، وكونوا ممالك كان لها أثر يذكر فى تقدم الحضارة الإسلامية .

لم يكن المسلمون فى فتوحاتهم مستعمرين بل كانوا داعين إلى الإصلاح بنشر دين هو خير الأديان يهدى إلى الحق ويخرج الناس من الظلمات إلى النور .

ومن العرب الذين وجهوا إلى هذه البلاد الحكم بن أبى العاص

والمغيرة بن أبى العاص فى زمن خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وحكيم بن جبيلة العبدى فى عهد خلافة عثمان بن عفان كما أرسل على بن أبى طالب حملة بقيادة الحارث بن مرة الذى قتل ببلاد السند والمهلب بن أبى صفرة فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وفى عهد الوليد بن عبد الملك عهد الحجاج بن يوسف الثقفى إلى محمد بن القاسم فى غزو بلاد الهند واستطاع أن يمد فتوحه فى كافة أرجاء بلاد السند ، وفى خلافة عمر بن عبدالعزيز غزا عامله عمرو بن مسلم الباهلى بعض بلاد الهند ، وفى عهد أبي جعفر المنصور فتحت بلاد كشمير والملتان ، وفى عهد الخليفة المهدى العباسى غزا المسلمون بلاد الهند فى سنة ١٥٩هـ .

لم يلق المسلمون فى هذه الحملات من أهل البلاد التى فتحوها مقاومة تذكر بل دخل منهم الكثير فى الإسلام لأنهم وجدوا الدين الذى يبشر به هؤلاء الفاتحون يدعو إلى المساواة والعدل ، فتأثروا بحضارة العرب ونبغ منهم رجال فى الأدب واللغة والشعر كما تأثر العرب بحضارة هؤلاء الهنود ونبغ كثير منهم فى علوم الطب والرياضة والفلك وكانت الهند قد بلغت فيها درجة عالية .

وفى العصور التى وقعت فيها حملات العرب قام المسلمون من الأفغان والترك والمغول بحملات وجهوها لفتح بلاد الهند وقد اصطبغت بالصبغة الدينية ، ومن هؤلاء السلطان محمود الغزنوى وتيمور لنك وقد انتشر الإسلام فى بلاد الهند إما لنفوذ الحاكمين أو لجهود القائمين بالدعوة

كما يرجع إلى ما اشتهر به المسلمون من الورع والتقوى و إلى ما أظهروه من روح التسامح مما ساعد على دخول كثير من الهنادك فى الإسلام .

مما تقدم يمكن معرفة قوة المسلمين ونفوذهم فى هذه البلاد ، و إذا عرف أنهم شعب يختلف فى الجنس واللغة والدين والعادات عن الهنادك سهل معرفة السبب الذى نادى من أجله المسلمون بدولة مستقلة خاصة بعد ما رأوا الهنادك يسعون إلى إحياء الدين الهندوسى والتبشير به بين الطبقات الفقيرة المسلمة . وسيرى القارىء أن المسلمين قد بذلوا كثيرا من المحاولات للاتحاد مع الهنادك أمام المستعمر الغاصب إلاّ أن مواقف حزب المؤتمر وزعمائه لم تكن باعثة على الاطمئنان فقد بدرت بوادر رأى منها المسلمون ما ينتظرهم من المتاعب إن هم بقوا تحت حكم الهندوس بعد استقلال الهند فنادوا بما نادى به العلامة محمد إقبال فى سنة ١٩٣٠ من ضرورة تقسيم الهند .

فى سنة ١٩٤٠ قام القائد الأعظم محمد على جناح ونادي بتقسيم الهند وسعى سعيا متواصلا وجاهد جهاد الأبطال حتى صار حلم إقبال حقيقة ملموسة وقامت دولة باكستان .

وقد كتبت هذا الكتاب عن هذه الدولة وزعيمها حتى يعرف الناس حياته وجهاده ، وكان للعون الصادق الذى لقيته من بعض إخوانى المصريين وتشجيعهم لى ومساعداتهم القيمة فضل كبير فى

إخراج هذا الكتاب وأخص منهم الأستاذ عبد المنعم السكرى عضو الهيئة المصرية الدائمة لمؤتمر العالم الإسلامى الدائم الذى تعلم لغتنا الأردية بالجامعة المصرية ، فكانت الصلة القوية التى جمعتنى به وكان نعم المعين لى فله ولهم منى جزيل الشكر .

وأرجو أن أكون قد أديت بعض ما يجب نحو إخوانى المسلمين الذين يهمهم معرفة حياة إخوانهم من مسلمى الباكستان والهند ؟ .

المؤلف

لصاحب السماحة السيد أمين الحسيني

مفتي فلسطين

بسم الله الرحمن الرحـــيم

اتصلت بإخواننا مسلمي الهند منذ عهد بعيد ، وأعجبت كل الإعجاب بالروح الإسلامي فيهم والحمية الدينية التي تنطوي عليها قلوبهم العامرة بالإيمان ، وقد شهدت لزعمائهم مواقف كريمة ، في ظروف كثيرة ، أبدوا فيها من الاستعداد للتضحية والفداء في سبيل الإسلام ما شرح صدري سروراً ، وأفعم قلبي حباً وإكباراً ، وجعلني أوقن بأن شأنهم سيكون عظيما في نهضة الإسلام والمسلمين ، فقد عرفت من هؤلاء الزعماء الأعلام حكيم أجمل خان ومولانا محمد علي ، والدكتور أنصاري ، ومولانا شوكت علي ، والدكتور محمد إقبال (باعث فكرة باكستان) والقائد الأعظم محمد علي جناح (محقق الفكرة) ولياقت علي خان ، وغلام محمد وجودري خليق الزمان ، وعبد الرحمن صديقي ، وشعيب قرشي ، كما اتصلت بأوثق الصلات بفريق من علمائهم الأعلام كمولانا شبير أحمد العثماني ، ومولانا سليمان الندوي ، ومولانا كفايت الله ، ومولانا أحمد سعيد ، والأستاذ مسعود الندوي ، وغيرهم من الأعيان والشبان الذين حفزهم إيمانهم إلى العمل في سبيل الله مخلصين له الدين ، والى الزهد

والتقشف ، فعزفت نفوسهم الكريمة عن مفاتن الحياة المادية بما فيها من ترف و بذخ وراحة ، ومضوا يسعون إلى الغايات السامية والأهداف العالية بكل ما تنطوى عليه جوانحهم من عزيمة وتصميم ودأب ، حتى بلغوا الغاية التى عملوا من أجلها ونالوا بذلك رضا الله تعالى الذى يقول فى كتابه الكريم : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . فحققوا فكرة الباكستان ، وأسسوا دولة عظيمة الشأن ، فليهنأوا بما أخلصوا وما عملوا فإن الله العادل وفاهم أجورهم : « ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ، « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

ولقد كان من حسن الحظ وتمام التوفيق أن تولى قيادة سياستهم فى الفترة الأخيرة من جهادهم ، ذلك الزعيم العبقرى ، القائد الأعظم محمد على جناح ، الذى أدار دفة السفينة بحكمة وشجاعة ، وهمة شماء ، وإيمان راسخ ، وعزيمة وتصميم إلى أن أوصلها إلى شاطئ النجاح والتوفيق .

لقد عرفت هذا القائد الأعظم محمد على جناح المرة الأولى فى بورسعيد على ظهر السفينة التى كانت تقله إلى لندن مع فريق من زعماء الهند لحضور مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٣٤٩ هـ .

ثم لقيته ثانى مرة بعد ذلك بثلاثة أعوام يوم الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف فى جمعية الخلافة فى بومبى ، وتبادلنا بعد ذلك الزيارة ثلاث مرات ، ثم قابلته فى القاهرة مرتين فى طريقه إلى لندن ، وعقب عودته منها سنة ١٣٦٧ هـ فرأيت من إخلاصه ورجاحة عقله وقوة حجته ولباقته وسعة علمه ودأبه وقوة شخصيته وثقته بنفسه ما أثار إعجابى وجعانى على يقين من فوزه المبين ، وإنا لنحمد الله كثير لما حقق على يديه من إنشاء باكستان ، الدولة الإسلامية التى يعقد عليها المسلمون آمالا عظيمة .

كما إنا نرجو من الله تعالى أن يوفق القائمين بأمر هذه الدولة ، وأن يأخذ بأيديهم ويجعل النجاح حليفهم ، ويعلى شأن هذه الدولة الفتية ، ويثبت أركانها بالإيمان والحق والعدل والأخلاق والقوة . وإنا لندعو إخواننا المسلمين فى جميع أقطارهم أن يعضدوا هذه الدولة بكل قواهم ، ويعاونوها مخلصين بكل جهودهم .

والله ولى التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير .

محمد أمين الحسينى

لصاحب السعادة

الدكتور الجليل عبد الوهاب بك عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

فى الشرق عامة والعالم الإسلامى خاصة ، تطوّر عظيم ، وتغيّر كبير لهما أسباب مختلفة ، ومظاهر متعددة ، ولكنهما يرجعان فى جملتهما إلى أمرين :

الأول : جهاد الشرق للإستقلال والتحرر وقيام كل أمة فيه على شئونها ، وتصريفها أمورها بأيديها .

الثانى : محاولة الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، والتردد بين الإستمساك بالماضى ، والإستجابة لدواعى المعيشة الحاضرة .

— ٢ —

وكان من هذا التطور العظيم وذلك التغير الكبير أن استقلت الهند وقامت فيها دولتان عظيمتان : باكستان وهندوستان .

وقيام باكستان حدث جليل فى العالم الإسلامى ، وتطور عظيم الأثر فى تاريخه ، يرجى أن يكون لهما فى المستقبل نتائج جليلة .

وقد تلقى المسلمون قيام هذه الدولة بالفرح والاستبشار وأملوا فيها الآمال الكبار . والله يصدّق استبشارهم ، ويحقق أملهم .

— ٣ —

وقد اتجه العالم كله والمسلمون خاصة إلى الواقعات الكبيرة التى وقعت فى ذلك الإقليم الكبير من آسيا ، وتطلعوا إلى معرفة تاريخها والتبصر بمقدماتها ونتائجها والإلمام بطرف من سيرة دعاتها وقادتها .

وقراء العربية بخاصة في حاجة إلى ما يبصّرهم بحوادث الهند عامة وباكستان خاصة ، ويعرفهم بكبار الرجال الذين دعوا إلى الغاية العظيمة ونهجوا السبيل إليها ، وصابروا وصبروا حتى أوفوا على الغاية محمودين ، وبلغوا المقصد مشكورين . وحملوا الأمانة وأدّوها مخلصين .

ولا سيما هذا الرجل العبقرى القائد الأعظم محمد على جناح .

— ٤ —

وهذا كتاب لقراء العربية يكشف جوانب من تاريخ الجهاد فى الهند ، ويبين عن أثر الرابطة الإسلامية فى الدعوة إلى الإستقلال ، والجهاد فى سبيله ، ويعترف كيف كان للقائد الأعظم فى معترك الحوادث ذا رأى سديد ، وقلب زكىّ ، ونفس أبية ، وكيف كان مجاهدا مقداما يصدع برأيه ويجبه الإنكليز وغيرهم بدعوته ، لا يخشى فى الحق ،

ولا يداهن فيه ، ولا يقبل فيه هوادة ، وكيف جاهد وصبر حتى ظفر .

وهو كتاب حرىّ . بسدّ بعض الحاجة والوفاء ، وأن يكون فاتحة لكتب تتوالى حتى تجلى هذا التاريخ من كل نواحيه ، ونقدم للقارىء الطّلْعة ما يستهين .

وللأخ الفاضل محمد حسن الأعظمى عميد كلية اللغة العربية الباكستانية ، من الحمد والشكر جزاء عمله وكفاء تعبه فى كتابة هذه الفصول على الاغتراب وكثرة الأشغال والله يجزيه عن سعيه لخير الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

مقدمة

بقلم الدكتور حسن إبراهيم حسن

مدير جامعة محمد على

يسرنى أن أقدم إلى قراء العربية كتاب :

« القائد الأعظم وقصة الباكستان »

لصديقى الأستاذ محمد حسن الأعظمى الباكستانى . والأستاذ الأعظمي ليس غريبا عن مصر والمصريين ، فقد حضر إلى مصر بعد أن تلقى فى الجامعات الهندية العلوم الدينية والحديثة واللغات الشرقية والغربية ، ونال من الأزهر الشريف شهادة العالمية ، وندب لتدريس اللغة الأردية وتاريخها وآدابها بمعهد اللغات الشرقية بجامعة فؤاد الأول إلى أن اشتدت الحرب العالمية الثانية ، فعاد إلى الهند ، واستطاع أن يساهم فى تأسيس الجمعية العربية ، ثم انتقل إلى الباكستان حيث عمل على تأسيس الجمعية العربية لنشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم لتكون فيما بعد أداة التعليم فى الباكستان .

استطاع الأستاذ الأعظمى بما عرف عنه من الجد والنشاط

أن يؤسس فى كراتشى حاضرة الباكستان كلية أصبحت نواة تعليم لغة الضاد ، وتولى هو إدارتها ، وانتخب سكرتيرا للجمعية العربية العامة فى الباكستان ومؤتمر العالم الإسلامى الدائم ورابطة التأليف والترجمة ، ومديراً لمجلة «الأخوة» لسان حال المؤتمر الإسلامى . وساعده على النهوض بهذه الأعمال العلمية ثقافته وقدرته على التأليف والترجمة . وها هو اليوم يقدم إلى قراء العربية مؤلفه الجديد: « القائد الأعظم وقصة الباكستان ».

وللباكستان قصة أو تاريخ لا بأس من أن أشير إليه فى شىء من الإيجاز . والباكستان ، أو أرض الطاهرين ، أى المسلمين الذين كانوا يعيشون فى بلاد الهند الكبرى منذ عشرات القرون ، قد أصبحت اليوم موضع اهتمام العالم الغربى والعالم الشرقى على السواء . وإن هذه القصة لا ترجع إلى الوقت الذى دخلت فيه الهند فى حوزة البريطانيين بعد أن دالت دولة المغول الإسلامية العظيمة ، فى القرن الثامن عشر ، بل إلى عهد الفتوح الإسلامية الأولى .

لقد تناول كثير من المؤرخين الأقدمين والمعاصرين الكلام على غزوات المسلمين فى الهند ، وأفاضوا فى ذكر الحروب والحملات ، وما أتاه أمراء المسلمين من الأعمال السياسية .

ويمكن تقسيم الجماعة الإسلامية فى الهند إلى طوائف ثلاث .

الأولى : طائفة المسلمين الذين رحلوا إلى هذه البلاد ونشروا الإسلام فيها ، وقد جاءوا من البلاد الواقعة شمال غربى الهند واستوطنوا

إقليم السند والبنجاب ، و بعضهم من بقايا الجيوش الإسلامية التى أغارت على هـذه البلاد فى أزمنة مختلفة ، أو من أعضاء الطبقة الأرستقراطية الذين أقاموا فى أعالى الهند أو فى جزء من هضبة الدكن .

الثانية : طائفة الهنود الذين كانوا يدينون بأديان مختلفة ثم اعتنقوا الإسـلام .

الثالثة : طبقة المسلمين الذين جاءوا إلى هذه البلاد من البحر ونزلوا الساحل الغربى وهم من أصل عربى .

وقد ذكر كثير من الباحثين ، على أن إسلام سكان الهند الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام لم يكن راجعاً إلى القوة والعنف ، وإنما دخلوا فى هذا الدين طوعاً واختيارا .

نعم إن علاقة المسلمين بالهند ليست أمرا حديثاً ، بل إنهم أرسلوا أولى حملاتهم بعد أن انتقل الرسول إلى جوار ربه بخمس عشرة سنة وكان ذلك فى عهد عثمان بن عفان ؛ ثم أخذ سيل العرب يتدفق على هذه البلاد إلى القرن الثامن عشر الميلادى ، واستقر بعضهم فيهـا ، وكونوا ممالك كان لها أثر كبير فى تقدم الحضارة الإسلامية . ثم واصل محمد بن القاسم فى عهد الوليد بن عبد الملك الأموى فتوحه فى بلاد الهند حتى بلغ نهر السند ، وكان يعرف إذ ذاك باسم نهر مُهْران ، واستطاع هذا القائد أن يمد فتوحه فى كافة أرجاء بلاد السند ، وأن يتابع هـذه الفتوح حتى وصل إلى الملتان ودخلها .

ولما قامت الدولة العباسية ولى الخليفة أبو جعفر المنصور ، هشام ابن عمرو التغلبي بلاد السند ، وفى عهده فتحت بلاد قشمير[1] ، وانتشر الإسلام فى عهد الخليفة المعتصم فى البلاد الواقعة بين كابل وقشمير والمنتان . واصطبغت بعض حملات المسلمين بصبغة الجهاد الدينى، ولاسيما هذه الحملات التى قام بها كل من محمود الغزنوى (٣٨٨ — ٤٢١ / ٩٩٨ — ١٠٣٠) الذى غزا بلاد الهند إثنتى عشرة غزوة (١٠٠١ — ١٠٢٤ م) ، وضم بلاد البنجاب و بلاد الفُور بين هراة وغزنة ، و بلاد ما وراء النهر ، واستولى على أصبهان من بنى بويه ، واتخذ الغزنويون « لاهور » حاضرة لهم ، ويمكن اعتبار حملات الغزنويين فى الهند بدء حكم المسلمين الحقيقى فى هذه البلاد ، ولا غرو فقد مهدت الدولة الغزنوية فى لاهور السبيل أمام محمد بن سام الغورى[2] وخلفائه الذين تولوا سلطنة دلهى ، والذين نشروا نفوذ المسلمين فى كافة أرجاء بلاد الهند الشمالية .

اشتهرت أسرة الخلجى (٦٨٩ — ٧٢٠ - ١٢٩٠ — ١٣٢٠) بنشر الإسلام فى الهند . وكان علاء الدين محمد شاه ، والسلطان أبو المجاهد محمد شاه أبو السلطان غياث الدين تغلق شاه من أعظم سلاطين هذه الأسرة .

---

(١) كشمير .

(٢) حكمت الدولة الغورية بلاد أفغانستان وهندستان من سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) إلى سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) .

كذلك عملت أسرة محمد بن تُغْلق (١٣٣٠ — ١٤١٢م) على جعل بلاد الهند مركزا من مراكز الحضارة الإسلامية ، كما كانت مصر فى عهد المماليك . وكان من أهم مظاهر سياسته ترحيبه بمن وفد على بلاده من المسلمين ، ومبالغته فى إكرامهم ، وأصبحت مدينة دلهى قريبة الشبه ببغداد فى أيام العباسيين .

على أن الإسلام لم تتوطد أركانه فى بلاد الهند إلا منذ أيام المغول . وكان تيمور لنك الذى فتح مدينة دلهى ، وابنه « شاه رخ » من أعظم سلاطين المسلمين فى الهند . وامتاز أمراء هذه الأسرة بالتسامح الدينى لرعاياهم وجيرانهم من وثنيى الهنود .

وكان « بابر » فاتح هندستان المغولى من سلالة تيمور لنك وجنكيزخان . فقد فتح لاهور سنة ١٥٢٥ م ووضع أساس دولة مغولية نسبت إليه . وفى ٢٠ أبريل سنة ١٥٢٦ هزم جيش إبراهيم لودى آخر سلاطين أسرة لودى (١٤٥١ — ١٥٢٦م) وسلطان دلهي هزيمة منكرة عند مدينة بانيبات أشهر مدائن السهل المسمي باسمها ، وتقع على بعد عشرة أميال شمال مدينة دلهى ، وسرعان ما دخلت جيوش بابر مدينتى دلهي وآجْرا ، وأخضع شمال بلاد الهند . وامتدت فتوحه من نهر السند إلى حدود بنغالة وتلقب بلقب إمبراطور بلاد الهندستان .

وكان جلال الدين محمد أكبر (١٥٥٦ — ١٦٠٥) ثالث أباطرة الأسرة التيمورية فى الهند أعظم حكام ذلك العصر . فقد أصبحت

إمبراطورية المغول فى عهد أكبر موطدة الأركان ، تتألف من الهند العليا وكابل وكشمير وبهار وبنغالة وأريسة وجزء كبير من بلاد الدكن . وكان عهده عهد رخاء ونقافة ورقى لهذه البلاد . وهو بحق حلقة اتصال بين القديم والحديث من تاريخ مجد هذه البلاد ، إذ لا يزال ما قام به من الجهود فى تنظيم تلك البلاد وتوطيد دعائم الملك فيها باقيا حتى اليوم. وكان « أكبر » شديد التسامح فى الدين ؛ ومن ثم سوّى بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل والطوائف المختلفة فى بلاد الهند . وكان شعار أكبر : « السلام مع الجميع » ، وقد نشر مذهبا فى التوحيد سماه : توحيد إلهي ، يقوم على الاعتقاد بوجود الله .

وبعد موت أورنجزيب[1] (١٦٥٩ — ١٧٠٧ م) سادس أباطرة المغول فى الهند ، أخذت دولة المغول فى الانحلال ، وجاء بعده أباطرة ضعاف . وظهر شبح القدر المحتوم فى جهود شركة الهند الشرقية البريطانية ، وجعلت موقعتا بلاسى Glassy (١٧٥٧ م) وبكسار Buxar (١٧٦٤م) من الإمبراطورية المغولية شبحا أجوف لا يخشى له بأس ، ولو أن سيادة المغول ظلت حتى سنة ١٨٥٧م ، بدليل خضوع الأباطرة الثلاثة الأخيرين للعرش البريطانى ، واعتمادهم على معونته المادية . ومات بهادر الثانى بعد أن سقط عرشه المتداعى لاشتراكه فى العصيان منفيا فى سنة ١٨٦٢م

---

(١) دين إلهى ...

وبعد أن دخلت بلاد الهنـد فى حوزة البريطانيين ودالت دولة المغول الإسلامية ، تضاءل نفوذ المسلمين فى هـذه البلاد ، فلم يتعاونوا مع البريطانيين ، وقاطعوا الثقافة البريطانية ، على حين رحب الهندوكيون بالبريطانيين و بالثقافة البريطانية ، وتقلدوا الوظائف الحكومية فى ظل هذا الحكم ، وتفوقوا على المسلمين فى التعليم ، وانتقلت إليهم الوظائف الحكومية .

وكان المسلمون يحقدون على البريطانيين ويعتقدون أنهم اغتصبوا النفوذ من أيديهم ، وحرموا على أولادهم أن يتعلموا لغة الإنجليز . وقد تفاقم التوتر بين المسلمين والبريطانيين ، ولا سيما بعد فتنة مِيرَتْ ، وهى ثكنات كان يقيم فيها الجنود على بعد أربعين ميلا من دلهى حاضرة بلاد الهند إذ ذاك ، وكان ذلك سنة ١٨٥٧ ، ونادى المسلمون ببهادر شاه إمبراطورا على الهنـد مدة أربعة أشهر وأربعة أيام . ثم تغلب الإنجليز على الثوار ، وذبحوا عددا كبيرا منهم فى جميع أنحاء الهند ونفوا بهادر شاه إلى رانجون كما تقدم . وكان من أثر هذه الهزيمة أن تأخر المسلمون وحل بهم الخراب ولا سيما بعد أن صودرت جميع الأراضى التى كانوا يمتلكونها ، وخاصة الأراضى التى كانت فى حوزة الأسر الإسلامية العريقة . وقابل هذا التأخر والفقر تقدم وغنى من ناحية الهندوكيين .

وفى سنة ١٨٨٥ تأسس المؤتمر الهندى بزعامة الإنجليز . ثم أسس السير سيد أحمد خان كلية عليكرة الإسلامية فى الولايات المتحدة ، وقام

بالتدريس فيها أساتذة من الإنجليز وكبار علماء المسلمين كشبلى النعمانى. ومن هؤلاء الأساتذة الإنجليز المستشرق المشهور السير توماس أرنولد الذى تلمذت له فى جامعة لندن خمس سنين .

وفى سنة ١٩٠٥ انقسمت الإدارة فى البنغال فى عهد اللورد كيرزون ، وعدّ الناس هـذا العمل خطوة موفقة فى سبيل تحسين العلاقات بين البريطانيين والمسـلمين فى الهنـد ، وتقلد سليم الله خان منصب « نَواب » أى رئيس أو زعيم المسلمين فى « دكا » حاضرة الباكستان الشرقية الآن . وتأسست جامعة داكا الإسلامية فى البنغال الشرقية . ثم قام الحلف الإسلامى ، وأثار زعماء المسلمين فـكرة التقسيم فى سنة ١٩١٢ . وكان من أثر ذلك أن استرد المسلمون بعض حقوقهم ، وتقرر منحهم نسبة مئوية من الوظائف الحكومية بصرف النظر عن مبدأ الـكفاية .

وفى سنة ١٩٣٥ اقترحت حكومة الهند نظام التمثيل الطائفى ، بمعنى أن يُنتخب أعضاء يمثلون المسلمين ، وأعضاء يمثلون الهندوكيين ، وآخرون يمثلون السيخ ، أو المسيحيين الهنود ، أو المسيحيين الأوربيين أو المنبوذين . ونال الهندوكيون أغلبية فى أحسن بقاع الهند كمدراس والولاية الوسطي ، على حين نال المسلمون أغلبيـة فى ولايات البنغال والبنجاب والسند وولاية الحدود الشمالية وبلوخستان . وكانت الأغلبية فى البنغال التى بلغ عدد سكانها قبل التقسيم ٦٥ مليون ، بنسبة ٥٥ ٪

للمسلمين مقابل ٤٥ ٪ للهندوكيين وغيرهم من المسلمين ، أما فى البنجاب فكانت النسبة ٥١ ٪ للمسلمين مقابل ٤٩ ٪ للهندوكيين والسيخ وغيرهم ، مما حدا إلى تقسيم كل من هاتين الولايتين إلى شرقية وغربية ، ونال المسلمون أغلبية ساحقة شمال غربى الباكستان .

وقد طالب المسلمون بزعامة القائد الأعظم محمد على جناح بالانفصال عن الهند ، مؤيدين دعواهم بأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا مع الهندوكيين ، لاختلافهم وإياهم فى العادات والتقاليد اختلافا يكاد يكون تاما .

وفى خلال الحرب الأوربية الثانية دخلت الولايات الهندية فى نطاق المؤتمر الهندى ، عدا خمس ولايات كانت الأغلبية فيها للمسلمين ، وهى البنجاب ، والسند ، ومقاطعة الحدود الشمالية ، وبلوخستان ، والبنغال الشرقية . واستقال حزب المؤتمر احتجاجا على هذا الموقف ، وسجن عدد كبير من الزعماء . ثم نبتت الفكرة القائلة بأن الهنود يجب أن يهتموا بمصالحهم الخاصة دون الاعتماد على الإنجليز .

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، أجريت الانتخابات فى الهند ، وزار المهاتما غاندى الزعيم محمد على جناح بداره فى بمباى ، وأقام معه ثمانية عشر يوما حاول فيها أن يثنيه عن فكرة التقسيم ولكن الزعيم جناح تمسك بفكرة دولة الباكستان ، أى انفصال الولايات الإسلامية التى للمسلمين أغلبية فيها ، عن الولايات الهندية ،

وأظهرت هذه الانتخابات مدى تمسك المسلمين بفكرة التقسيم . ثم دارت فى البرلمان الإنجليزى مناقشات طويلة قُدم على أثرها مشروع لحل المسألة الهندية ، ويقضى بقيام دولة الهند الموحدة ، مع وجود جيش دفاعى واحد ومالية مشتركة ، على أن تظل الهند فى دائرة رابطة الممتلكات البريطانية ولكن الزعيم جناح لم يقبل هذا المشروع ، وألح فى ضرورة قيام دولة الباكستان فى المقاطعات التى تسكنها أكثرية إسلامية .

وقامت دولة الباكستان فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ ، ودولة الهند فى ١٥ أغسطس من تلك السنة ، ولايخفى الهندوكيون و بعض المسلمين المقيمين فى الهند آلامهم من هذا التقسيم لأسباب جغرافية وقومية ، ثم لأن دولة الهند صناعية ، ودولة الباكستان زراعية . ويقول الهنود إن المسلمين كانوا أصلا من الهنود الذين تحولوا إلى الإسلام ، على حين يقول أهل الباكستان إن المسلمين إنما تحولوا عن الهندوكية لأسباب اجتماعية واقتصادية ترجع إلى نظام الطبقات الذى هو أبعد ما يكون عن المساواة التى نادى بها الإسلام .

وكان من أثر هذا التقسيم أن قامت بين دولتى الهند والباكستان خلافات سياسية واقتصادية ، ودارت حول ذلك التقسيم مناقشات طويلة فى مؤتمر السلام العالمى فى الهند الذى تشرفت بتمثيل مصر والشرق الأوسط فيه . ويرى الهندوكيون أن ولاية حيدر آباد التى يحكمها

حاكم مسلم ، ويبلغ عدد سكانها أكثر من ١٧ مليون ، تقع فى وسط الدولة الهندية ، وأن أغلبية سكانها من الهندوكيين ، ويبررون استيلاءهم عليها لأهميتها من الناحيتين السياسية والإجتماعية . وترى دولة الباكستان أن كشمير يجب ألا تخرج عن نطاق دولتهم ، لأن الأغلبية العظمى من سكانها من المسلمين . ولعل الهند تتشدد فى ضرورة الاحتفاظ بكشمير لأسباب استراتيجية ، لأنها تقع على حدود بلادهم الشمالية من ناحية الروس . وبهذا السبب نفسه تتذرع دولة الباكستان ، فوق أن أكثر من ٨٥ ٪ من سكانها من المسلمين ، والأقلية من الهندوكيين والسيخ والمسيحيين وغيرهم . وإنا لنرجو مخلصين أن يتغلب العقل والروية فى النهاية ، وأن تضم هذه الولاية إلى أى الدولتين عن طريق استفتاء حر نزيه ، فلا يراق دم ولا يتفاقم خلاف بين هاتين الدولتين اللتين تربطهما مصالح مشتركة من حسن الجوار .

الآن وقد نادى إقبال شاعر الهند العظيم بفكرة التقسيم التى دعا إليها فى الإجتماع السنوى للرابطة الإسلامية الذى عقد فى مدينة الله آباد فى مقاطعة الولايات المتحدة ، والتى اعتنقها محمد على جناح وتمسك بها وبذل النفس والنفيس فى سبيلها قد أصبحت حقيقة واقعة ، فلا يسعنا إلا أن أدعوا لدولة الباكستان الشقيقة بالخير والسير قدما فى معارك الرقى الأدبى والمادى ، ولكتاب « القائد الأعظم وقصة

الباكستان . بأن ينال ما هو خليق به من إطراء وتقدير ، ولمؤلفه الفاضل من إعجاب وثناء ، وأرجو أن يقبل المثقفون المستنيرون فى البلاد العربية على قراءة هذه القصة الممتعة ليتعلموا منها كيف يستطيع الإنسان أن يحقق أمنيته وأن يصل إلى غايته بالصبر والجهاد .

حسن إبراهيم حسن

obeikandl.com

الانجليز فى الهند

وفق البرتغاليون إلى اكتشاف طريق الهند و بسطوا سلطانهم على قسم كبير من الساحل الغربى ونافسهم الهولنديون الذين ثبتوا أقدامهم وكادت تكون لهم امبراطورية عظيمة غير أنه فى سنة ١٦٠٠ م فى عهد الملكة اليزابث أسست أول شركة إنجليزية للتجارة فى الهند وفى سنة ١٦٠٦ م عين مستر هاكنز سفيرا لملك انجلترا لدى بلاط الملك المغولى جهانكير .

استأذن هاكنز فى بناء مركز للتجارة فى مدينة « سورت كجرات » ميناء الهند فى ذلك الوقت واتسعت أعمال شركة الهند الإنجليزية وصار لها فروع فى كل مكان واشترت مدينة بمبى من البرتغال فى سنة ١٦٦١م ثم استقرت فى سنة ١٦٧٧ بمدراس وقوى نفوذها حتى أرادت أن تقاتل كتائب الملك المغولى بالبنغال وبينما نرى الإنجليز يحتلون مقام البرتغاليين والهولنديين نجد الفرنسيين ينشئون في سنة ١٦٦٤ م شركة للتجارة فى الهند وكان لا بد من أن يقوم النزاع بين الفرنسيين والإنجليز حتى وفق دوبليكس الحاكم العام للمتلكات الفرنسية فى الهند إلى طرد الإنجليز من أكثر مراكزهم فى سنة ١٧٤٦ وعن مدراس بعد وقائع كثيرة . ولقد عظم نفوذ الفرنسيين حتى خشى الإنجليز أن يطردوا من كل

ما يملكون فلجأوا إلى الدسائس حتى حمل لويس الخامس عشر على استدعاء دوبليكس وعلى ترك جميع ما فتحه وبذلك خلا الجو للانجليز فتدخلوا دائما فيما كان يقع بين الأمراء المحليين من نزاع وألبوا بعض الأمراء على البعض الآخر حتى دانت لهم الهند جميعا بعد أن هزم السلطان تيبو[1] Tipu ملك ميسور الذى دوخهم وكال لهم الضربات فى كل ميدان

---

(١) السلطان تيبو Tipu هو أبو الفتح على تيبو ووالده حيدر على وأمه فاطمة بى بى ولقبها فخر النساء . ولد فى ديسمبر سنة ١٧٥١ م واشترك مع والده فى محاربة الإنجليز وحينما علم والده باستيلاء الإنجليز على ميناء كوربال بمنجلور أرسله لمحاربتهم وكان عمره آنئذ ستة عشر عاما فأخرجهم وفتح منجلور وعندما هاجم أبوه مقاطعة مدراس التى كان قد احتلها الإنجليز تحت ستار الشركة الشرقية للتجارة كان هو أميرا على الجيش المهاجم وانتهت الحرب باتفاقية مدراس سنة ١٧٦٩ كذلك اشترك مع والده فى رد هجوم الحكام المنادك وهم من المراهتة على دويلة ميسور بين سنة ١٧٧٠ ، ١٧٧٢ واشترك فى الحرب التى قامت بين أبيه وبين الإنجليز والتى بدأت منذ سنة ١٧٨٠ وقد منى أمراء جيش الانجليز بالهزيمة المنكرة . خلف والده على العرش بعد وفاته فى سنة ١٧٨٢ ولم تنقطع حروبه مع الانجليز وكان الظفر حليفه فى كل مكان ولم تشغله هذه الحروب المتوالية عن القيام بالإصلاح ولما خشى الانجليز من ازدياد قوته شن الحاكم العام الانجليزى لورد كارنوالس فى سنة ١٧٨٩ حربا جديدة ليغسل إهانة اتفاقية سنة ١٧٨٤ بمنجلور وليستولوا على الهند حتى يعوضوا ما فقدوه فى أمريكا من المستعمرات ولكن قوة السلطان تيبو كانت حائلا منيعا بينهم وبين بغيتهم .

كان الانجليز يعرفون جيدا أن جيشهم لا يقوى على الوقوف أمام جيش تيبو ولا يمكنه الصمود فشنوا الهجوم من ثلاث جهات ولم تكن أخبار هذا الهجوم قد وصلت إلى مسامعه ولما علم باستيلائهم على بعض الأماكن أسرع إلى مقابلتهم وكان عليه أن يواجههم فى جميع الميادين بقواته واستطاع بحسن تدبيره وبراعته الحربية أن يهزمهم ويسترد ما استولوا عليه وتعقبهم حتى اضطر جيشهم الغربى إلى الالتجاء =

وألحق بأمراء جيشهم الهزائم المتلاحقة حتى اضطروا إلى عقد اتفاقية منجلور سنة ١٧٨٤م التى عدوها إهانة لهم فلجأوا إلى دسائسهم واتفقوا مع النظام[١] والهنادك واستمالوا وزراء السلطان حتى أخذوه على غرة وهجموا على دويلته وحاصروا سرنجابتم Seringapatam واستشهد هذا السلطان العظيم فى القتال .

وإذا عرفنا أن الهند وطن لشعوب مختلفة بعضها أجنبى عن البعض الآخر ويرجع السكان إلى أجناس مختلفة فى اللغة والدين والأصل أمكننا أن نعرف كيف سهل على الإنجليز فتح الهند والوسائل التى اتبعوها حتى دانت لهم .

يقول غوستاف لوبون فى كتابه (حضارات الهند)[٢] : « وقد يعجب الإنسان أول وهلة ، من قهر تلك الملايين الكثيرة بسهولة مع

= إلى السفن والهرب من الفناء المحقق وهرب الجيش الشرقى إلى مدراس وصمم السلطان على طردهم من الهند كلها وطلب مساعدة الحاكم الفرنسى إلا أنه أجاب بعدم استطاعته مديد المساعدة إلا بعد الرجوع إلى حكومته . تآمر الانجليز والنظام والمراهقة (من الهنادك) على محاربته وتقدموا حتى وصلوا إلى مدراس ولجأوا إلى حيلهم ودسائسهم وحاصروا عاصمة دويلته فى سنة ١٧٩٢ وخرج نصف ملكه من يده باتفاقية سرنجابتم . ولم يألو الانجليز جهدا فى انتحال الأسباب لمحاربته وأخيرا اتفقوا مع نظام حيدرآباد والهنادك واستمالوا وزراء السلطان نفسه حتى دخلوا دويلته وحاصروا العاصمة والقلعة التى كان بها السلطان وأخذ يقاتلهم حتى استشهد فى القلعة وهو وحيد لم يكن بجوارهم أحد من رجاله .

(١) جد النظام الحالى .

(٢) حضارات الهند للعلامة غوستاف لوبون ترجمة العلامة عادل زعيتر صفحة ٢٤٨ طبعة دار إحياء الكتب العربية .

أنه يجب أن تكون جيوش الفاتحين مؤلفة من جنود كثيرين ، لامن بضعة آلاف من الجنود ، ولكن عجبه يبطل إذا قرأ فصول هذا الكتاب السابقة ، ففيها يرى أن كلمة (الهند) ليست سوى تعبير جغرافى وأن الهند بلاد وشعوب مختلفة أشد الاختلاف ، وأنها لا تحتوى على ما تعرفه أوربة من معنى « الأمة الواحدة » أى وحدة العرق واللغة والمشاعر المؤدية إلى وحدة المصالح ، وأنها لا تشتمل على قومية هندية كالقومية الفرنسية أو القومية الألمانية أو القومية الطليانية الخ ، وأن بعض شعوب الهند المختلفة أجنبى عن بعض ، وأن نظام الطوائف الذى يفرق بين مختلف طبقات العرق الواحد ، كما سنرى ذلك ، يوجب نظر أى هندوسي إلى أكثرية أبناء قومه الساحقة كغرباء مثل الأوربيين كما يعد الراجبوتى سكان جنوب الهند من الغرباء » .!

حرب الحرية :

لما أيقنت شعوب الهند المختلفة أن الإنجليز يريدون أن يحتلوا جميع الهند ليحكموها كما شاءوا ، ولينشروا المسيحية فيها كما أرادوا ، قاموا بالثورة ضدهم فى صباح يوم الأحد ١٠ مايو سنة ١٨٥٧ م فى ثكنات « ميرت » واشترك فيها من المسلمين جنودهم وشعوبهم ومن الهندوس بعض جنودهم فقط ، واتفقوا على تسليم زمام الحكم إلى بهادرشاه بعد أن قتلوا كل من وجدوه من الإنجليز وأنصارهم و بقى بهادرشاه ملكا

مستقلا حتى استطاع الإنجليز أن يشتتوا بالحيلة شمل المجاهدين ، وقبضوا عليه بحيلة من زوجته و بعض أصدقائه وأرسلوه إلى مدينة رنجون سجينا وقتلوا أولاده وأكثر أعضاء أسرته أمام الناس فى الشوارع العامة .

ظفر الإنجليز بحكم البلاد واضطهدوا المسلمين الذين ثاروا ضدهم وأحسنوا إلى الهنادك الذين ساعدوهم وقدموا لهم فروض الطاعة والخضوع فولوهم الوظائف وقدموهم على المسلمين فى كل مناسبة حتى سيطروا على جميع المرافق ، وتفرق شمل المسلمين حتى قام السير سيد أحمد بالحركة العلمية وأسس جامعة «عليكره» الشهيرة ليثقف المسلمين ثقافة عصرية.

وفى ديسمبر سنة ١٨٨٥ اتفق أهل الهند من المسلمين والهندوس على تشكيل المؤتمر الهندى ، وكان يتولى رئاسته الهندوكى تارة والمسلم تارة أخرى حتى استقل بزعامته غاندى .

وفى ديسمبر سنة ١٩٠٦ عند ما رأى المسلمون تعصب الهنادك كونوا حزبا مستقلا سموه « الرابطة الإسلامية » وكان من زعمائه نواب وقارالملك والسيرآدم جى فيربهائى والسير سيد على إمام وسموسيرآغاخان والسير محمد على محمد خان ومسيح الملك أجمل خان والدكتورمختار أحمد الأنصارى والسير إبراهيم رحمت الله والسير سيد رضا على وفيلسوف الهند الدكتور محمد إقبال والسير سيد وزير حسن والقائد الأعظم محمد على جناح زعيم المسلمين الأكبر فى الهند .

كذلك أسس المسلمون جمعيات أخرى منها جمعية العلماء ورئيسها المفتى كفايت الله ومجلس الأحرار ورئيسه مولوى سيد عطاء الله شاه البخارى وجمعية الخدام الإلهيين (خدائى خدمتكار) ومؤسسها عبد الغفار خان غاندى الحدود الشمالية .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها شكل بعض الزعماء حزبا خاصا لمساعدة خليفة تركيا . ومن زعمائه المعروفين مولانا محمد على وشقيقه شوكت على ومولوى أبو الكلام آزاد والسيد سليمان الندوى وغيرهم .

وفى سنة ١٩١٥ م اتفقت « الرابطة الإسلامية » مع المؤتمر الهندى حتى ديسمبر سنة ١٩٢١ إلى أن قدّم زعيم المسلمين القائد الأعظم محمد على جناح رئيس الرابطة الإسلامية شروطه الأربعة عشر لحل المشكلة الإسلامية ، ولما لم تقبل استقلت الرابطة وغدت تجاهد الإنجليز المستعمرين والهنادك المتعصبين حتى قامت دولتهم الجديدة « الباكستان » ومن أجل هذه الدولة وقائدها ومنشئها وضع هذا الكتاب كما أشرنا فى المقدمة .

محمد على جناح

كان يعيش فى كراتشى تاجر متجول من جماعة «خوجه» اسمه جناح پونجا شغلته تجارته عن الاتصال بالسياسة والاشتغال بها وكان فى رغد من العيش ولم ينغص عليه حياته إلا عدم إنجاب الولد الذى يبقى ذكره ويحفظ جاهه وماله بعد أن انسعت تجارته . وصار فى هم مقيم وفكر دائم حتى يوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٧٦ م حين أشرق وجه محمد على جناح فعم البيت السرور واعتقد جناح أن ابنه سينير بيته « وما درى أنه سينير جميع بيوت الهند وأنه سيكون سراجا لمائة وعشرين مليونا وربانا لهذه السفينة التى اضطربت فى محيط العبودية وبحار الاستعباد ! ! » .

نشأته : أدخل جناح پونجا ابنه مكتبا ليتعلم فيه القرآن واللغة الأردية ولما شب عن الطوق فكر فى أن يدخله مدرسة عصرية يتلقى فيها العلوم الدنيوية فأرسله إلى بمباى والتحق بمدرسة ابتدائية إلا أن أمه « سكينه بيغم » لم تستطع أن تتحمل بعده عنها فاستدعاه والده إلى كراتشى وألحقه بمدرسة ثانوية ثم بمدرسة التبشير الثانوية بكراتشى وحصل على شهادة (البكالوريا) وعمره ستة عشر عاما .

لاحت معالم الذكاء وظهرت آيات النجابة عليه وأشار على والده

بعض الأصدقاء ليعلمه القانون فأرسله والده إلى لندن وسكن محمد على جناح فى فندق يسمى Lincolninn ولم يشغله جمال أوربا وسحر بريطانيا عن الانهماك فى القراءة والاطلاع والدرس والتحصيل وما كان يشترك فيما كان يشترك فيه أمثاله وأقرانه من الملاهى والملاعب حتى نال إجازة المحاماة فى سنة ١٨٩١ وعمره واحد وعشرون عاما ويذكر أقرانه عنه أنه كان حينما يفرغ من محاضراته كان يذهب إلى مكتبة المتحف البريطانى يقرأ فيها حياة العظماء والقواد وقال لأحدهم أنه استفاد من مطالعة سيرة حياة هؤلاء العظماء أكثر مما استفاد من محاضراته .

اشترك وهو طالب فى جمعية شكسبير التمثيلية وكان يقرأ كثيراً فى مؤلفات شكسبير ومثل بعض الروايات بنفسه حتى تأثر به فى محاضراته وكان يقرأ فيما يقرأ كتب السياسة وفى تلك الأيام حدثت حادثة ربما هى التى دفعته إلى الاطلاع والقراءة في كتب السياسة وتفصيلها أن رئيس وزراء الملكة فيكتوريا لورد سالسبورى قال لأحد زعماء الهند وأكبر أغنيائها وهو دادابهائى نوروجى « أيها الرجل الأسود » مع أن هذا الزعيم كان أبيض اللون وما قصد اللورد بعبارته إلا توجيه الإهانة للزعيم المذكور فاتفق جميع الطلبة الهنود على الاحتجاج ضد رئيس الوزراء واشترك معهم محمد على جناح وكان هذا أول أمر سياسى يشترك فيه دفعه إلى قراءة كتب السياسة وصمم على الاشتغال بها مع المحاماة بعد رجوعه إلى مسقط رأسه .

حصل على شهادة المحاماة فى سنة ١٨٩٦ وعاد إلى وطنه ليشتغل

بالمحاماة غير أنه وجد تجارة أبيه قد انتهت وأثرت الخسارة فى حال أسرته وأصبحت الحياة قاسية ورأى أن كراتشى مدينة صغيرة فسافر إلى بمباى وأشار عليه بعض الأصدقاء بعدم مغادرة كراتشى وطلبوا منه البقاء فيها والاشتغال بالمحاماة كما جاءه صديقان له كانا يملكان شركة تجارية كبيرة وعرضا عليه بعض الوظائف فيها ولكنه فضل العمل فى المحاماة فى بمباى.

اشتغاله بالمحاماة :

سافر إلى بمباى فى سنة ١٨٩٧ ولم يكن معه إلا قليل من المال وعزيمته القوية ، وعاطفته الصادقة وشجاعته النادرة وأمانيه العالية . بقى فى بمباى ثلاث سنوات دون أى يجد قضية يبدأ عمله بها وكان يقترض من يعرفهم ويقتل وقته فى مطالعة كتب القانون ويقضي أوقاته فى الاطلاع . فى تلك الأيام التى لم يشتغل فيها جناح بقضية ما ، قابل نقيب المحامين مستر Macpherson فسمح له أن يستعمل مكتبه كيفما شاء وقد لمس النقيب ذكاء جناح المتوقد فكان أول مساعد له وقد أخذ بعض الإنجليز على المستر Macpherson اختلاطه بجناح ولكنه لم يبال بقولهم .

قلنا إنه مضت ثلاث سنوات على جناح وهو فى بمباى دون أن تقدم له قضية يقوم بالمرافعة فيها أى أنه كان بدون عمل يقوم به وما كان هذا ليوهن عزيمته ، أو يثبط همته . بعد هذه المدة الطويلة بدأ يترافع فى عدة قضايا وكان النجاح حليفه فيها وقد ناب عن مستر

هرشنك قاضى بمباى حينما سافر فى إجازة مدتها ثلاثة شهور وحاول كبار المحامين أن ينوبوا عنه فى هذه المدة وكان جناح أصغرهم سنا وفى هذه المدة رأى المحامون لباقته وتوقعوا له وظيفة كبيرة بعد عودة القاضى ولكنه فضل العمل الحر على الوظائف فقد عرضت عليه وظيفة قانونية بمرتب قدره ١٥٠٠ روبية شهريا ولكنه رفضها وقال إنه يستطيع أن يكسب مثل هذا المبلغ يوميا حتى اتهم بالغرور ولكن فى بحر شهرين رأى مستر شارلس رئيس المحاكم أنه صار يكسب هذا المبلغ فى اليوم الواحد بهذه السرعة تقدم جناح وشجعه مستر شارلس .

كان جناح يعيش فى بيت متواضع ولما أقبلت عليه الأيام انتقل إلى بيت عظيم فى أحسن أحياء بمباى بالقرب من فندق تاج محل أكبر فنادق الهند .

اشتغاله بالسياسة : لم يفكر جناح فى الاشتغال بالسياسة حتى ذلك الوقت وعندما وجد أن ما درته عليه مهنة المحاماة من أموال طائلة يمكنه معه أن يقوم بخدمة بلاده اشترك فى المؤتمر الهندى وعمل به كسكرتير لأحد زعمائه وهو دادابهائى نوروجى فى سنة ١٩٠٥ بكلكتا ولم يشعر أحد بخطواته التى خطاها حتى وصل إلى مرتبة الزعامة بل وجد الناس أنفسهم أمام قائد أعظم وزعيم يشار إليه بالبنان .

لمس الناس نبوغه و بلاغته وقوة بيانه فى دور المحاكم وفي مرافعاته وما لبثوا أن رأوه فى ميدان السياسة وعلى منصة المؤتمر الهندى أقوى

بلاغة وأعظم سحراً و بيانا ، وكان كبار القادة يخضعون لآرائه وأفكاره وفى سنة ١٩٠٨ كان لجناح القدح المعلى والسهم الوافر في تغيير قانون المؤتمر الهندى وتنقيحه ، وقد اعترف زعماء المؤتمر الهندى بزعامته .

فى سنة ١٩٠٩ عندما أعلنت الحكومة انتخاب أعضاء مجلس الشورى الأعلى ، وكان يمثل بمباى وغيرها من المقاطعات شخص مسلم وقع الاختيار على محمد على جناح من شخصين غنيين قويين كانا يتنافسان على عضوية ذلك المجلس ، ثم أجمعا على التنازل لجناح ، و بذلك صار عضواً دون أن ينفق من المال أو الجهد شيئا ، وهذا يدل على مبلغ ثقة الناس به و إعجابهم ببلاغته وقوة حجته ، وكانت عضوية هذا المجلس تضارع منصب الوزارة فى تلك الأيام . وقد بدأ نشاطه واضحا واشتهر أمره وصار ملء الأسماع وملء الأفواه وملء الأبصار .

اشتراكه فى الرابطة الإسلامية : فى سنة ١٩١٣ طلب منه مولانا محمد على والسيد وزير حسن من كبار زعماء المسلمين أن يشترك فى الرابطة الإسلامية فقبل عضويتها مع اشتراكه فى حزب المؤتمر وذهب إلى لندن زعيما للوفد الهندى فى سنة ١٩١٤ ليعلن الحكومة البريطانية بعدم رضاء الهند عن أعمالها فى الهند .

وفى سنة ١٩١٩ نادى بإصلاح قوانين مجلس شورى الهند ، واضطرت الحكومة إلى الاستجابة إلى رغبته .

مما تقدم يمكن القول بأن زعامة محمد على جناح كان يستجيب لها الأفراد والحكومات والهيئات .

عند ما قبل جناح عضوية الرابطة الإسلامية عمل على التقريب بين المسلمين والهنادك ، لاعتقاده بأنه لايمكن للهند أن تنال الاستقلال إلا بالاتحاد ، ولم يترك حيلة إلا اتبعها ، ولا وسيلة إلا سلكها . وقد اعترفت مسز نائيدو حاكمة الأقاليم المتحدة ورئيسة المؤتمر الهندى سابقا فى كتابها بأنه كان رسول السلام بين المسلمين والهنادك .

فى سنة ١٩١٤ انتهز فرصة قيام الحرب العظمى ونادى بوجوب تقديم مطالب الهند عن طريق المؤتمر الهندى والرابطة الإسلامية وكان المؤتمر الهندى قد أعلن أنه سيعقد اجتماعه السنوى فى مدينة بمباى ، فجدّ جناح فى أن يقام اجتماع الرابطة الإسلامية فى بمباى أيضا ، وأن يتقدم زعماء الهيئتين متحدين بمطالبهم إلى الإنجليز ، وقد تعرض جناح لسخرية المسلمين فقد بدأوا يكتبون ضده فى الصحف ، وفشل جناح فى محاولته ، واتهم بأن الهنادك استمالوه بأموالهم ولو نجح جناح فيما دعا إليه لنالت بلاد الهند الاستقلال خاصة ، وأن بريطانيا كانت فى أشد الاحتياج لمساعدة الهنود فى تلك الحرب .

زواجه : رأينا كيف كان يعيش القائد الأعظم ، وكيف كانت حياته حياة عمل وجد بعد عودته من لندن إلى الهند . وفى سنة ١٩١٨

نرى حدثا شغل الهند وأقعدها ، وهو زواج محمد على جناح . وقد يعجب القارئ ويسأل : لم شغل زواجه الهند وأقعدها ؟ . نعم لأن هذا الزواج جرى على غير ما ألف الناس فى الهند وعهدوه ، كما كان سببا فى تنغيص حياة القائد الأعظم وقتا ليس بقصير ! ! .

اعتاد المسلمون فى الهند أن يزوجوا أبناءهم قبل بلوغهم سن الرشد ، وخاصة عند ما يرسلونهم إلى الخارج فيتم العقد ويبقى الزفاف حتى يعود الشاب بعد أن يكمل علومه . وأغلب هذا الزواج لاينجح فقد تم دون أن يبدى الزوج رأيه ، ثم هو بعد أن تقع عيناه على نساء أوربا ويشغله جمالهن ويتفتح قلبه لابد وأن يتغير رأيه .

والقائد الأعظم وهو شاب هندى مسلم زوج على مادرج عليه قومه قبل إرساله إلى أوربا . وبعد أن بقى بها ما شاء الله له أن يبقى ورجع إلى الهند ووجد ثروة والده قد ذهبت وحاول أن يعوض ما فقد صمم على أن يشتغل بالمحاماة وعانى ماعانى من صنوف الحرمان حتى مدت له الدنيا ذراعيها وابتسمت له وجمع ثروة طائلة ، ثم لم يلبث أن وجد نفسه فى خضم السياسة وبحرها المتلاطم وكل هذا شغله عن الزواج ، إلا أنه فى سنة ١٩١٦ حينما أقام المؤتمر الهندى والرابطة الإسلامية اجتماعيهما ، وكان من كبار الحاضرين فى حفلة المؤتمر السير « دنشا بتيت » من كبار أغنياء الفرس فى بمباى ، وكانت معه ابنته الآنسة « رتن بتيت » ولم تكن

قد جاوزت السادسة عشرة من عمرها ، وكانت على جانب وافر من الثقافة الإنجليزية ، حادة الفكر ، قوية الحجة ، سمعت القائد الأعظم خطيبا مفوها ، إذا تكلم أنصتت الجماهير وأخذتهم بلاغته ، واذا تحدث كان حديثه عذبا ، و إذا جادل كانت براهينه مقنعة ، فرأت فيه رجلا كاملا ، وزوجا كفئا لها ولعائلتها ، ولكن هى على دين يخالف دين الإسلام ، فكيف السبيل إلى الزواج ؟ . كانت تذهب لزيارته كثيراً وتحضر اجتماعاته ، ورأت منه ميلا نحوها ، واتفقا على الزواج على أن تعلن إسلامها . ولقد قالت له : إن قلبنا واحد . فقال لها : و يجب أن يكون ديننا واحد ، فاستجابت لرغبته ، وأعلنت إسلامها ، رغم تهديد والدها ووعيد أهلها . وتم عقد زواجهما رغم مخالفة أسرتيهما ، ولم يحضر أحد عقد قرانهما إلا « فاطمة جناح » شقيقة القائد الأعظم ، ومن هذا اليوم صار جناح هدفا للفارسيين ، فكتبوا ضده فى الصحف وتعرض لحملاتهم القاسية ، ولكنه لم يأبه لهم ، ولما رأوا منه عدم اهتمام وا كتراث لجأوا إلى المحاكم متهمين إياه بأنه تزوجها بعد أن أغراها ومنّاها ، وعرض الأمر على قاض من أشد أعدائه ، ولكنه تقدم إلى المحكمة فى جرأة نادرة وشجاعة فائقة ، وهو يعلم أن خصمه أحد أصحاب الملايين فى بمباى ، وكانت ردهة المحكمة غاصة بالناس الذين جاءوا ليروا هذه القضية الغريبة .

قال القاضى للقائد الأعظم : لِمَ تجرى وراء هذه الفتاة ؟ ألأنها تملك الملايين ؟ ولأنها الوارثة الوحيدة لوالدها ؟ .

غضب جناح وزأر قائلا : «سلوها فهى التى فى مقدورها أن تجيب» فتقدمت وقالت : «إنى أحببته وأعلنت إسلامى برضائى . وأما الدولة والمال فلا نريد منهما شيئا أنا وزوجى !» .

لم تستطع المحكمة أن تقف ضد هذا الحب الجارف بعد أن أعلنت الزوجة أنها وزوجها ليسا فى احتياج إلى مال أبيها . ولما كانت قد جاوزت الثامنة عشرة فقد رفضت المحكمة القضية وخرج الحب منتصراً ظافراً .

لم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل تلقى جناح سيلا من الخطابات تحمل تهديدا ووعيدا بقتله أو بإلقاء قنابل على بيته ، ولكن إيمانه وقوة يقينه وصدق حبه ، كل هذا جعله يقابل هذه التهديدات بالسخرية فحبه أقوى من هذا .

نال زواج جناح قسطا كبيرا من اهتمام الصحف الانجليزية والأردية فكتب صحيفة Civil and Military Gazette فى عددها الصادر يوم ٢١ ابريل سنة ١٩١٨ صفحة ٤ النهر الرابع بعنوان قبول الإسلام : قد اعتنقت أمس بنت السير دنشا بتيت أكبر أغنياء بمباى وهى بنته الوحيدة الإسلام وتم اليوم زواجها من السيد جناح حسب الرسوم الإسلامية .

بقيت أواصر المحبة والألفة بين الزوجين وكان كل واحد منهما وفيا للآخر . حدث شجار بين زوجها وبين حاكم بمباى لورد ولنجدن اضطر جناح أن يذهب إلى قاعة البلدية ليلقى كلمة ضد الحاكم وكان هذا غاية الخطورة أن يخطب هندى ضد الحاكم الإنجليزى وذهب إلى القاعة فوجد المتطوعين لحراسته تنظمهم زوجته وهى فى لباس جندى يحمل قوسا .

لم يدم هذا الحب كثيرا إذ مرضت فى سنة ١٩٢٩ وعاجلتها المنية فحزن جناح حزنا شديداً كاد يغير مجرى حياته لولا أخته فاطمة جناح التى تقدمت لخدمتـه ورعاية مصالحه وحاولت أن تسد الفراغ الذى تركه موت زوجته .

أنجب جناح من زوجته رتن بتيت بنتا أسماها «فينا» ضمتها جدتها لأمها لتقوم بتربيتها وقد شغلته السياسة عنها ، نشأت فينا فى بيت جدها الفارسى وترعرعت واتخذت لها أصدقاء من الفرس وتزوجت من شاب فارسى زردشتى ولقد حاول جناح أن يثنيها عن هذا الزواج ويبين لها تعاليم الإسلام حتى كلف مولانا شوكت على بإقناعها ولـكنه فشل وتم الزواج فاضطر جناح أن يحرمها من كل ما يملك ولم يرها حتى وفاته ولم تره هى إلا بعد موته ولقد حاولت كثيرا أن تزوره فى أثناء مرضه وأرسلت برقيات عديدة ، ولـكنه أمر بعدم حضورها .

هذه هى قصة زواج القائد الأعظم وما لاقاه من متاعب فى زواجه وكيف أثر فيه وفاة زوجته وزواج ابنته من فتى على دين غير دين الإسلام.

شخصيته : كان محمد على جناح محاميا مخلصا ناجحا فى كل القضايا التى وكل فيها ثم صار محاميا لمائة وعشرين مليونا من المسلمين فى الهند دافع عن حقوقهم أمام المستعمرين والغاصبين لم ترهبه القوة ولم يخفه التهديد والوعيد ، ظل يكافح أربعين عاما دفاعا عن حقوق المسلمين حتى كتب الله له النصر .

الفضل ماشهدت به الأعداء: كتب بيورلى نكلس[1] عن مقابلته لجناح « هذا الابن الجليل لآسيا فى السابعة والستين من عمره طويل القامة نحيف الجسم حسن الملبس ، أنيق المظهر ، قابلته وهو مرتد حلة حريرية جميلة وعلى إحدى عينيه نظارة وحول عنقه ياقة منشاة ، لما رأيته تصورته أميرا من أمراء أسبانيا . سياسى عظيم ، مدير كبير . إن قلت إن جناحا من أهم شخصيات آسيا فلم أقل كذبا! بل حقا سترون أن الهند ستكون من أهم مسائل الدنيا قريبا ويكون جناح بطل هذا الانقلاب العظيم ، يستطيع جناح أن يغير وجه الحرب حيثما شاء يستطيع مائة مليون مسلم أن يضحوا بكل ما عندهم بإشارته وهذه المرتبة

(١) صحفى انجليزى معروف زار الهند فى أغسطس سنة ١٩٤٢ وبقى سنة كاملة تجول فى كل أنحاء الهند وكتب كتابا عن مشاهداته وعن الباكستان أيضا .

لم ينالها أحد فى هذه المملكة الواسعة غير جناح ، ثم يقول : لا أرى نائبا عن جناح فى عظمته وتدبره وإجلاله أنا لا أقول بعد موت جناح تموت الرابطة الإسلامية ! ! الرابطة الإسلامية جماعة قوية عظيمة جدا ولكن طرقها تتعدد بعد جناح » .

لقد كان رحمه الله مسلماً متمسكا بتعاليم دينه متصفا بأوصافه .

تواضعه : فى يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٥ جاء إلى قصره بعض زعماء الرابطة الإسلامية ليشتركوا فى بعض الجلسات الخاصة وقبل أحدهم يده حبا وإكراما فغضب وصاح قائلا : « يجب أن تعرفوا أننى مسلم بسيط ولست مرشدا ولا شيخ طريقة وإنى لا أحبذ فكرة تقديس الشخصيات فهذا مرض لو انتشر فى المسلمين فإنه يضرهم كثيرا والإسلام يحرمه كل التحريم » هذا مثل من أمثلة تواضع القائد الأعظم وتمسكه بتعاليم الدين الحنيف .

كان جناح لا يحب التعصب الدينى وكان يؤمن بقول إقبال شاعر الهند وفيلسوف الإسلام .

افن فى الله أيها المسلم بعد أن تحطم أصنام الدم واللون
حتى لا يبقى فى الدنيا تورانى ولا إيرانى ولا أفغانى

جرأته : من أهم صفات المحامى الجرأة يدلى بالبراهين المؤيدة لدفاعه فى غير خوف ولا وجل وجناح هو المحامى الأول لمسلمى الهند وجرأته

لا نظير لها فهو يقول الحق أمام كل إنسان مهما كان منصبه ومركزه أمام الزعماء الهنادك ، أمام الوزراء ، أمام نائب الملك ، أمام القضاة ولأجل الحق لا يخاف أحدا ولا يخشى عقابا ولا عذابا ونذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر مثالا لجرأته النادرة ففى سنة ١٩٠٩ قدم احتجاج ضد الحكومة البريطانية فى مجلس الشورى الأعلى لسوء معاملة هنود أفريقية الجنوبية وقف جناح وقال : «هذا شيء مؤلم ومؤلم جدا ما تعامل به بريطانيا هنود أفريقية الجنوبية لقد أشغل هذا الأمر جميع طبقات وشعوب الهند وكل واحد هنا غاضب من هذه الحركة الظالمة » وهنا قال الحاكم العام اللورد منتو : « إنك يا جناح تستعمل لفظا غير لائق وتستعمل لفظ الظلم ويجب عليك أن تعرف أنك تتكلم عن الإنجليز ويجب أن تفكر كثيرا فيما تقول » فقال جناح: « أنا أعرف وأعرف قوانين هذا المجلس ولكنى أصرح بأن معاملة هنود أفريقية هي معاملة ظالمة ويشعر بهذا كل من له حس والكل ساخط وغاضب » .

سيجد القارىء فى هذا الكتاب مواقف كثيرة للقائد الأعظم بل كانت كل مواقفه جرأة فى الحق ودفاعا عن الحق والذود عن الضعفاء.

تدينه : كان أجداد جناح من الهنادك ، أسلم أحدهم منذ قرون وجناح عامر القلب بالإسلام وتعاليمه وهو يعتقد ويصرح بأن الإسلام أحسن دين على ظهر الأرض ولقد طالع الفقه الإسلامى وبحكم اشتغاله

بالمحاماة طالع أيضا قوانين الهنادك والقوانين الغربية وعرف فضل الإسلام وعظمته ففى سنة ١٩١٦ ، وقف فى اجتماع للرابطة الإسلامية يقول : « التعاليم الإسلامية والآداب والروايات الإسلامية شاهدة على عظمة الإسلام ولا يمكن أن تقف دولة من دول العالم أمام دولة المسلمين » ثم قال : « إنه يجب أن يعرف الإنجليز أن العالم الإسلامى لن يسمح لهم بالتدخل فى مسألة الخلافة بل عليهم أن يتركوا المسلمين يختارون أى طريق شاءوا » .

وفى قصة زواجه بابنة أكبر أغنياء بمباى الفارسيين دليل قاطع وبرهان ساطع على شدة تمسكه بتعاليم الإسلام لقد كان فى وسعه أن يتزوج بها زواجا عرفيا أسوة بغيره من الزعماء الهنود الذين عاشوا فى بيئات إسلامية وتزوجوا من غير المسلمات وجناح الذى عاش فى أوربا فى جو غير إسلامى يرفض الزواج ممن أحبته ووهبته قلبها إلا إذا أعلنت إسلامها .

مذهبه ومقته للتعصب : كان جناح شيعياً ولم يكن من هؤلاء الذين يعتقدون أن غيرهم ضالون ، وكان يعدّ نفسه مسلما ، كما أن كل من ينطق بالشهادتين مسلم سواء أكان سنياً أم شيعياً ، وكان يصلى وراء الإمام السنى فى المسجد السنى ، غير مبالٍ لنقد ناقد ، أو اعتراض معترض . ولقد كان رحمه الله لايميل إلى التعصب المذهبى ، وكان يدعو

إلى الوحدة الإسلامية فى كل مناسبة ، ففى حفل أقامته أسرة غنية إسماعيلية المذهب لمساعدة دار اليتامى ، وكان حفلا كبيرا اشترك فيه المسلمون من مختلف المذاهب ، وافتتحه القائد الأعظم ، وأثنى فيه على بنات هذه الأسرة ونشاطهن وتعلمهن الحياكة والطبخ والصناعات المنزلية وقال : « الآن قدمت إليكم الفتيات مظاهرة طبخ الطعام ، ونحن الرجال نقدم أكثر مما تقدم النساء ، لأن الرجال أكثر حاجة إلى الطعام الجيد ، ولا يستطيع كل رجل مسلم أن يستخدم طباخا فيجب على النساء المسلمات أن يتعلمن هذا الفن ، وبهذه المناسبة أريد أن تزيلوا من قلوبكم الأفكار العصبية ، فلا تسموا هذه الدار « دار اليتامى للخوجه[1] » ، بل سموها دار اليتامى المسلمين .

وأكبر مظاهر الإخوة فى هذه المناسبة أن أحد أغنياء جماعة البهرا[2] قدم خمسة وعشرين ألفاً من الروبيات فى هذا العمل الخيرى ، ويجب على المسلمين أن يسموا دور اليتامى والمعاهد بأسماء الإسلام لا بأسماء فرقهم ، وليستفيد منها جميع المسلمين حتى تكون الوحدة الإسلامية قوة لايمكن الغلبة عليها » .

أليست هذه الكلمة دليلا قاطعاً على مقته للتعصب المذهبى

---

(١) خوجة هى الأسرة التى أقامت هذا الحفل وهى الاسماعيلية النزارية .

(٢) هم من الاسماعيلية المستعلوية والمستعلى بالله هو أحد خلفاء الفاطميين .

وللتفرقة بين أتباع الفرق الإسلامية . أليست هذه الكلمة نداء للمسلمين وتوجيهاً إلى الاتحاد ، وإلى أن المسلمين إخوة .

حزمه : من صفات جناح التى كانت سببا فى نجاح زعامته وقيادته حبه للنظام ، والخضوع لقانون الجماعة ، والسير على الطريق المرسوم ، وكان جزاء المخالفين من أعضاء الرابطة الإسلامية الطرد والإبعاد ، حتى ولو كان المخالف عظيما أو كبيراً ، فقد أخرج السير غلام حسين هدايت الله رئيس الوزراء فى السند سابقا وحاكمها مرتين من الرابطة الإسلامية وأدبه تأديبا حتى خضع لنظام الرابطة ، وأخرج فضل الحق رئيس وزراء البنغال [١] ، وأكبر زعيم هذه المقاطعة لما اشترك فى مجلس الدفاع [٢] وغيرهما كثير ، ولقد كان هذا درسا لكثير من الأعضاء ، فقد اشترك السير سكندر حيات خان رئيس وزراء البنجاب سابقا بمجلس الدفاع ، ثم استقال عند ما أمره جناح خشية أن يطرد من الرابطة .

ولقد كانت أوامره مطاعة وكلامه مسموعا ، ففى نوفمبر سنة ١٩٤٤ شكل السير غلام حسين هدايت الله وزارة السند بأمر الرابطة الإسلامية وعين انجليزى وزيراً للزراعة بدون مشورة القائد الأعظم ،

---

(١) كان يسمى أسد البنغال .

(٢) مجلس الدفاع الذى كون فى أثناء قيام الحرب العالمية الثانية .

فخير رئيس الوزراء بين الاستقالة من رئاسة الوزارة و بين طرد الإنجليزى فاختار الأمر الثانى وأخرج الوزير الإنجليزى فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ .

وتاريخ الرابطة الإسلامية ملىء بكثير من هذه الحوادث التى تدل على قوة جناح وحبه للنظام وحزمه فى إدارة دفتها .

محاولة اغتياله : هناك جماعة تسمى جماعة « خاكسار » ورئيسها عنايت الله مشرقى الذى قبض عليه وسجن ، وقامت الرابطة الإسلامية وقائدها الأعظم بالسعى لإطلاق سراحه حتى كلل المسعى بالنجاح ، وأطلق سراحه و بدلا من أن يشترك فى الرابطة و يعترف بجميل سعيها ونشاطها فى إخراجه من السجن قام بحملة شعواء عليها وعلى جناح داعيا ضدها وسافر أحد أتباعه إلى بمباى ليغتال القائد الأعظم عند رجوعه من رحلة فى يوم ٢٣ يولية وقد نشر هذا الخبر فى الصحف وخرج آلاف من المسلمين لاستقباله وكان هذا الشاب من بين هذه الجماهير وأعد مبراة إعدادا يمكنه معه من اغتيال جناح والقضاء عليه وذهب إلى قصره الساعة الواحدة والربع فى ٢٦ يولية سنة ١٩٤٣ ويظهر أنه اختار هذا الوقت لعلمه بأن الخدم يسعون إلى منازلهم ولا يبقى إلا بعضهم فى وقت الغذاء ولما أخبر بواب القصر بسبب مجيئه أخذه إلى السكرتير الذى طالبه بتدوين ما يطلب فى مذكرة يقدمها للقائد الأعظم إلا أن الشاب أظهر اهتماما كبيرا وشرح له أهمية الأسباب التى تدعوه للمقابلة وفى تلك

الأثناء دخل جناح حجرة السكرتير للاطلاع على بعض الأوراق الهامة ولما رأى الشاب سأل عن رغبته فأخبره سكرتيره بذلك فطلب جناح من الشاب كتابة كل ما يريد ليحدد له موعدا وفى أثناء المحادثة بينهما استل الشاب المبراة وحاول أن يطعن بها القائد الأعظم وحاول المجرم الهرب إلا أن البواب كان قد حضر وجذبه إلى الخلف وقد شغلت فاطمة جناح بتضميد جراحه وقبض على المجرم الذى كان يضحك أحيانا ويبكى أحيانا ويرتل آيات من القرآن الكريم أحيانا وكان يصيح قائلا : « ماجئت مأجوراً ولكن جئت لأقتله بأمر من رئيس جماعتنا المشرقى لأن القائد الأعظم حجر فى استقلال الهند » ولقد زخر قصر جناح بالمستفسرين من زعماء الرابطة الإسلامية وأقاربه ثم أذاع بياناً نصح فيه المسلمين بالصبر وأمر بعدم إيذاء القاتل .

قدم المجرم للمحاكمة وقضى بحبسه خمس سنوات مع الشغل هكذا كل زعيم عرضة لاغتيال المتهورين من المنتمين إلى الأحزاب المعارضة ولكن الله الذى خلق الزعماء لخدمة البلاد قادر على رد الأذى حتى يؤدوا رسالتهم .

جناح والمؤتمر الهندى

رأينا فيما كتب فى الصفحات الأولى من هذا الكتاب كيف فتح الإنجليز الهند وكيف استعانوا بالهنادك وكيف دانت لهم البلاد وهكذا تقوم سياسة الاستعمار البريطانى فى جميع البلاد التى فتحوها على الاعتماد على أبناء البلاد المستعمرة والاستعانة بهم فى إدارتها ففى سنة ١٨٨٥ قام أحد الموظفين البريطانيين وهو مستر هيوم بتأسيس المؤتمر الهندى ليكون أداة فى يد الإنجليز تعاونهم فى حكم الهند.

والمؤتمر الهندى أقدم هيئة سياسية فى الهند اشترك فيه الهنود على اختلاف ملاهم ونحلهم وتولى رئاسته المسلم تارة والهندوكى تارة أخرى بل وصل إلى كرسى الرئاسة بعض سيدات الهند منهن مسز بسنت ومسز نايدو بلبل الهند المغرد وممن اشتركوا فيه من المسلمين ووصلوا إلى مركز القيادة واشتهروا بالصراحة والجرأة محمد على جناح الذى كانت له قوة الشباب وحكمة الشيوخ وقد اعتمد عليه المؤتمر وعلى قوته وتدبره وفهمه للسياسة وصواب رأيه ففى سنة ١٩١٤ أرسل المؤتمر بعثته إلى بريطانيا لتشرح نظرية المؤتمر الصحيحة أمام البرلمان البريطانى وكان على رأس هذه البعثة محمد على جناح وإليه يرجع الفضل فى التقريب بين الرابطة الإسلامية والمؤتمر فى الوقت الذى كان لا يستطيع فيه أحد المسلمين

أن يسمع كلمة المؤتمر الهندى بل كان يعد الاشتراك فيه كفرا واقد بلغ الأمر إلى حد أن كان المسلم يضع أصبعه فى أذنه عند سماع اسم المؤتمر وكان الاعتقاد السائد أن من أوجب الواجبات الانقطاع عن الهنادك من هذا يمكن للمرء أن يعرف مبلغ صعوبة التقريب بين المؤتمر والرابطة .

ولقد عرف المؤتمر ورجاله فضل جناح فشيدوا قاعة أطلق عليها اسمه فى بمباى تذكاراً له وتخليدا لفضله وافتتحتها مسز سروجينى نايدو سنة ١٩٢١ وكان هو فى باريس فى ذلك الوقت وقد أبرقت إليه « عرف الشعب قدر الرسول وهو حى » وقالت مسز بسنت « شخصية جناح عقد حرية بنى الإنسان وسيبقى ذكره دائما » .

ويرى زائر هذه القاعة فى صدرها الحجر الأساسى وعليه هذه العبارة « شيدت هذه القاعة تذكارا للسيد جناح نظراً لخدماته الخالدة العظيمة التى قدمها للوطن فى سنة ١٩١٨ » .

كان جناح يعد من أكبر قادة المؤتمر الهندى وكان لا يؤيد رأيا إلا إذا اقتنع بصوابه و إذا اقتنع فلا قوة تحول دونه مهما بلغت وعظمت وله فى هـــذا مواقف مشهورة فعندما اتفق قادة المؤتمر على مقاطعة البريطانيين بمدينة ناكبور خالفهم جناح لأنه كان لا يرى من الحكمة والصواب أن يكون التخريب للتخريب بل يجب أن يكون للتعمير . . خالف جناح المؤتمر وزعماءه وهو يعلم أنه سيفقد مركزه لأنه قد خالف غاندى ولكنه عرف واعتقد أن الطريق القويم والرأى السديد

هو ما رآه فاتبعه وضحى بمركزه فى المؤتمر وتناولته الصحف بالتعريض والهنادك بالذم ولكنه أعرض عن كل هذا وتحمل كثيرا فى سبيل رأيه وبعد أن كان زعيم الاتحاد بين المسلمين والهنادك أصبح رسول الافتراق. وهذه الأسماء لا تؤثر فى أصحاب الرأى والفكر وإذا كان المؤتمر قد دعاه رسول الافتراق فقد تقدم المسلمين إليه وقبلوه ربانا لسفينتهم.

خرج القائد الأعظم من المؤتمر الهندى لأنه صار جمعية هندوكية ضد المسلمين ومع هـذا كان لا يتوانى فى تأييد المؤتمر إذا ما دعت مصلحة الهند إلى ذلك.

قام الهنادك فى كل مناسبة وقالوا إن الهند كلها شعب واحد لافرق بين المسلمين والهنادك ولكن قام القائد الأعظم ونادى بأن المسلمين شعب والهنادك شعب وقال ليست الهند صنما تجب عبادته ولا كعبة نتوجه إليها فى صلاتنا ولا صحيفة سماوية لا نستطيع مسها بدون وضوء.

واذا كان جناح قد هاجم زعماء المؤتمر وعلى رأسهم غاندى، فقد كان الشقيقان محمد على وشوكت على ممن خالفهم جناح، ولم يكن فى وسع إنسان غيره أن يخطب فى الشعب ويهاجم الزعماء الثلاثة، وهم زعماء الهند قاطبة.

كانت سياسة غاندى تدعو إلى مقاطعة الإنجليز، وتدعو إلى ترك مدارسهم، وإلى مقاطعة بضائعهم ومصنوعاتهم دون أن يكون لدى

الهنود مدارس هندية ، أو مصانع وطنية ، وكان جناح يرى التخريب فيما يدعو إليه غاندى ، وكان يرى فى حركات المؤتمر خرابا بالغا سيلحق بالهند والهنود . وقد وضحه فى خطبة له . «إن هذه الحركة مهلكة ! ! نعم ؟ لقد أغلقت مدارس المسلمين وكلياتهم وجامعاتهم ، ولكن بقيت جامعة بنارس الهندوكية لم تغلق أبوابها ، ولم تغلق يوما واحداً ، وذهبت جامعة عليكره إلى قبرها » .

ومن هذا يظهر موقف الهنادك جليا من المسلمين ، ففى الوقت الذى يدعو فيه غاندى المسلمين إلى ترك مدارسهم وغلق جامعاتهم نرى مدارس الهنادك وجامعاتهم مفتوحة ، وفى هذا ضرر بالغ بالمسلمين . وقد فضحت جرأة جناح وقوته هذا الموقف .

فى هذا الوقت كان الشقيقان يؤيدان غاندى ، بل كانا يعتبرانه والداً ، وكانا يقولان له : إنك كوالدنا نعتمد عليك وعلينا أن نحارب مشتركين . ولكن القائد الأعظم بجرأته خالفهما حين قال له : إنك مخطئ . وقد بينت الأيام صدق رأيه ، و بعد نظره ، فعند ماصار غاندى مهاتما ، أى أكبر زعيم روحى هندوكى وقف مولانا محمد على يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٧ فى مدينة بشاور (عاصمة مقاطعة الحدود الشمالية) يخاطب جمعا هائلا من الجماهير و يقول :

« من جعل المؤتمر الهندى مؤتمراً عاما لكل الهند ؟ ! من أدخل

الحياة فى هذا المؤتمر ؟ هم المسلمون فقط ! ! قبل هذا كان مكانا يستريح فيه الزعماء ، ولـكن عند ما دخل فيه محمد على وشوكت على بدأ يتحرك لأن الحياة قد دبت فيه ، واليوم نحن نفتخر بأن أكبر زعماء الهنادك مهاتما غاندى كان يتجول الهند داعيا المؤتمر الهندى على نفقات جمعية الخلافة حتى أنفقت هذه الجمعية جميع النفقات لجمع عشرة ملايين روبية لخزينة المؤتمر ، وهذا يظهر أن حركة الخلافة هى روح المؤتمر .

و إذا كان المؤتمر الهندى لم يستمع لـكلام جناح فى سنة ١٩٢١ وسخر من قوله فبعد سنة واحدة اضطر إلى أن يسلك ما دعا إليه هـذا القائد ، فشكل مجلس تحت زعامة « موتى لال نهرو » بقصد أن يدخل الوطنيون فى مجالس الحـكومة و يقاوموا الحـكام .

لم يشترك جناح فى الرابطة الإسلامية إلا ليحاول التقريب بينها و بين المؤتمر ، وليقوم بتوحيـد الصفوف ، ففى سنة ١٩١٥ اجتهد فى إقامة اجتماع الرابطة السنوى فى بمباى، وكان المؤتمرقد أعلن أن اجتماعه السنوى سيعقد فى نفس المدينة ، وكانت فرصة للدعوة إلى الاتحاد ، فاشترك زعماء الرابطة في اجتماع المؤتمر وزعماء المؤتمر فى اجتماع الرابطة ، وتعانق المسلمون والهنادك ، وعلقت لوحة على باب الرابطة كتب عليها « الاتفاق قوة » واشترك فى اجتماع الرابطة من زعماء الهنادك « بنديت موهن مالوى ومسز بسنت ومسز نايدو » . وقال رئيس الرابطة فى خطبة أمامهم :

« يعلمنا تاريخنا أننا جئنا بعدد قليل فى الهند وحكمنا الهند كلها ولما كنا ملوكا هنا كنا نعد أنفسنا هنودا ، لم يشيد ملوك المغول قصورهم إلا فى الهند . هل كانوا يذهبون من الهند كل خمس سنوات [١] إلى أوطانهم ؟ . كان يأتى فى كل سنة دم جديد من الممالك الإسلامية إلى بلاد الهند ليستوطنوها وأكبر برهان على هذا القول قصور ملوك المغول وآثارهم فى الهند هؤلاء زينوا الهند وزادوا فى رونقها وعظمتها ولا يمكن للتاريخ أن يخبركم بأنهم بنوا قصورهم فى غير الهند وكانوا يعينون وزراء مملكتهم من الهنادك وهؤلاء الملوك كانوا بعيدين جدا عن التعصب . نعم علاقة المسلمين مع العالم الإسلامى علاقة أخوة ومع هذا نعامل أبناء وطننا معاملة حسنة والذين يقولون إن المسلمين متعصبون هم أعداء فالتاريخ يثبت غير هذا » .

لله در جناح ! لقد كان صريحا واضحاً يدعو إلى الاتحاد والائتلاف لم يدخر جهدا فى هذا السبيل إلا بذله ولا طريقا إلا سلكها حتى فى أحرج الأوقات وأشدها حينما بلغت الفرقة بين المسلمين والهنادك حدها كان لا يفتأ يدعو إلى السلام ففى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٠ أذاع يوم العيد رسالة كانت رسالة الصلح والمحبة والرحمة ورسالة السعادة والأخوة رسالة المسلمين والإسلام قال فيها :

---

(١) يشير إلى الحكام الإنجليز قبل استقلال الهند .

« أمرنا نبينا عليه ألف صلاة وسلام أن نصوم لنتعود على ضبط النفس ، ولكى نجدد القوة للعمل . نجتمع كل يوم خمس مرات فى مسجد الحى ، ثم فى يوم الجمعة فى أكبر مسجد فى المدينة ، ثم مرة على الأقل فى الحياة فى ميدان الحج ، لنتوجه إلى الله ، ونحب فى الله ، هل فكرتم فى نظم هذه العبادات التى تربط المسلمين لأجل أن يتعاونوا فى حياتهم ومعاشرتهم وليتعاونوا ويتآخوا . قال الله فى القرآن الكريم للإنسان إنه خليفة الله ، ولو أردنا أن نكون خلفاء الله فواجب علينا أن نعامل الآخرين معاملة حسنة ، معاملة النوع الإنسانى ، معاملة الحب والتسامح وهذا واجب . يأمرنا الله تعالى أن نتعلق بمخلوقاته ، ونحب ونتسامح . وعلينا أن نعامل غيرنا معاملة حسنة . اليوم يوم العيد عند ما نرى فينا حياة جديدة إسلامية ونورا ساطعاً يجب علينا أن نعزم ونحاول خلق الوفاق فى بيوتنا ، وبين أبناء ديننا فى ملكنا الذى تسكن فيه المذاهب المختلفة ، ولا نعمل شيئا فى حياتنا الفردية لحب النفس ، بل يجب أن نفكر فى فائدة عامة للوطن والعالم الإسلامى . زعماؤنا من المسلمين والهنادك يظهرون حزنا وألماً من الجدال . أنا لا أريد أن أبين هذا التاريخ ، ولكن فى مثل هذه المواقف تنتشر فى الناس نار الانتقام ، ولكنى أقول لكم اذكروا فى مثل هذه المواقف وفكروا قليلا فى القرآن ، بماذا يأمرنا وبماذا يحكم الإسلام هل لا يمكن أن نزيل الحرب من أمام أعيننا بالطريق الذى علمنا الإسلام وإنى أرجو منكم

أن تذكروا ولا تنسوا أن نبينا أمرنا بأن نعامل جميع الناس بالحب والتسامح .

ثم قال : « فى الهند لنا حقوق ولنا مطالب ، ولا نريد أن نلح إلحاحا غير ملائم ، لأن الإصرار والإلحاح ضد روح المحبة والتسامح » وكان من أثر هذه الرسالة زوال كثير من خوف الحروب الداخلية فى تلك الأيام . وأبرق إليه مستر غاندى مهنئا على هذه الرسالة .

ماذا ينتظر الناس من زعيم مسلم كبير غير ما قال ، فهو يدعو إلى ما دعا إليه الإسلام من الحب والائتلاف والأخوة والوفاق . يدعو إلى نبذ المشاحنات ، لأنه يعلم أنها فى صالح المستعمرين . و إذا كان المسلمون قد سالموا الهنادك ، فقد قابلهم هؤلاء بتشكيل جماعات يظهر من اسمها إشاعة الفرقة ، فقد أسس مستر «تلك» الزعيم الأكبر الأول المؤتمر الهندى جمعية مخالفة ذابحى البقر ، والغرض منها واضح وهو التفريق بين المسلمين والهنادك .

الرابطة الاسلامية

كانت سنة ١٨٥٧ سنة فاصلة فى تاريخ مسلمى الهند فقد ثاروا ضد الإنجليز عند ما عرفوا أنهم يريدون إقامة حكومة إنجليزية فى الهند وكان الإنجليز يفضلون الهنادك على المسلمين فى كل شىء ويولونهم الوظائف الكبيرة والمناصب المهمة .

لذلك قام السير سيد أحمد ونادى بوجوب تعلم المسلمين اللغة الإنجليزية ولقى معارضة شديدة إذ نادى المسلمون بتحريم تعلمها حتى ساووا بين من يتعلمها و بين من يأكل لحم الخنزير، ولكن هذا لم يثن السير سيد أحمد عن دعوته حتى استجاب له البعض وتعلموا الإنجليزية وتسنى لهم أن يشغلوا بعض الوظائف ولكن الهنادك كانوا قد سبقوهم إلى الوظائف الكبرى حتى كانت الحكومة هندوكية فى كل شىء، وناصية الأمور فى قبضة يدهم فعاودهم حب الانتقام من المسلمين الذين حكموهم ألف سنة ، ووقع المسلمون بين شقى الرحى فهم العدو المشترك الهنادك والإنجليز .

سعى الهنادك إلى أن تكون الانتخابات عامة لا طائفية ليستفيدوا من أكثريتهم و بذلك يصبح المسلمون أقلية لا يمثلون ولا يسمع لهم صوت

كما سعوا إلى تغيير اللغة الأردية[1] وإحلال اللغة الهندية القديمة محلها وذلك لأن اللغة الأردية مظهر من مظاهر الثقافة الإسلامية . تنبه المسلمون إلى كل ما كان يسعى إليه الهنادك فقام نواب وقار الملك بتأسيس جمعية سياسية سنة ١٩٠١ بمدينة لكهنؤ ولكن حاربها الهنادك ولم تستطع أن تتقدم وكان غرضها الوقوف أمام الهنادك والتقدم بالمسلمين إلى الأمام .

فى سنة ١٩٠٥ أعلن لورد كرزن الحاكم العام الإنجليزى بتقسيم مقاطعة البنغال وجعلها مقاطعتين مقاطعة للمسلمين وأخرى للهنادك ، ولكن زعماء المؤتمر الهندى قاموا وقعدوا لأن ذلك فى صالح المسلمين ، واضطرت الحكومة إلى أن تعلن فى سنة ١٩١١ إلغاء هذا التقسيم فشعر المسلمون بالظلم الذى نزل بهم و بالغبن الذى لحقهم و بالضربة القاسية التى وجهها الهنادك إليهم وشعروا بأنهم مضطهدون مما دفع نواب سليم الله خان نواب دها كا وهو أكبر زعيم مسلم فى مقاطعة البنغال إلى أن يجمع كبار زعماء الهند المسلمين ، منهم سير على محمد خان ومولانا المرحوم محمد على والنواب وقار الملك واتفقوا جميعا على تشكيل رابطة إسلامية فى سنة ١٩٠٦ أو هى بدء تاريخ جديد فى حياة المسلمين بعد زوال الحكم الإسلامى فى الهند .

لم تقف الرابطة أمام إلغاء التقسيم مكتوفة اليد بل قامت واحتجت

(١) مادة أردو فى دائرة المعارف الإسلامية .

وكتب زعماؤها يندددون بموقف الحكومة البريطانية ووصفوها بالجبن ، وقد شعرت الحكومة بما أصاب المسلمين من إجحاف فأرادت أن تعوضهم فأنشأت لهم جامعة فى دهاكا وهى جامعة كبرى ، وكان من جراء ذلك أن قام زعماء المؤتمر بالاحتجاج على إنشاء هذه الجامعة للمسلمين وكان لموقفهم هذا أثر كبير فى نفس القائد الأعظم محمد على جناح فنجده يشترك فى الرابطة الإسلامية فى سنة ١٩١٣ أى بعد تأسيسها بسبع سنوات وقد بقى مشتركا بالمؤتمر حتى سنة ١٩٢١ يحاول أن يقرب بينهما فإذا ما اعتلى منصة الخطابة فى المؤتمر كان يمدح الرابطة وزعماءها وإذا ما وقف خطيباً فى الرابطة كان المؤتمر وزعماؤه موضع ثنائه ومدحه ، ولم يدخر جهداً فى التقريب بينهما ففى سنة ١٩١٥ أعلن الإنجليز أنهم سيقومون ببعض الإصلاحات وكان المؤتمر قد عقد اجتماعه السنوى فى بمباى وعقدت الرابطة اجتماعها فى بمباى أيضاً ورأى جناح أن يتقدم الجميع بمطالبهم وكان الهنادك يطلبون الاستقلال الداخلى ، وقد اشترك فى اجتماع الرابطة الإسلامية بعض كبار زعماء الهنادك وذلك ابتغاء فكرة الاتحاد وكان كثير من المسلمين مخالفين لهذا الاتحاد حتى صاح بعض القادة بأن هذه هى حفلة الرابطة الإسلامية واعترضوا على حضور بعض زعماء الهنادك إلا أن جناحا قام وأقنعهم بضرورة الاتحاد وبأن يتقدم الجميع إلى الحكومة بمشروع مشترك واتفق الجميع على هذا وشكلوا مجلساً من قادة المسلمين وأعضاؤه راجا محمود آباد ، سير رضا على ، صاحب

زاده آفتاب أحمد خان ، سير وزير حسن ، سير محمد شفيع ، سير بركت على ، سير فضل حسين ، مولانا ظفر على خان ، سير فضل الحق ، مولوى أبو الكلام آزاد ، سير آغا خان ، سير إبراهيم رحمة الله ، يعقوب حسن ، سير على إمام ، السيد مظهر الحق ، دكتور سيد محمود ، دكتور أنصارى حكيم ، أجمل خان ، مولانا محمد على والسيد محمد على جناح .

هذه كانت محاولة جميلة من جناح للتقريب بين المسلمين والهنادك وبدأت كل جماعة تعتمد على الأخرى حتى أقيمت اجتماعات مختلفة كان لها أثر طيب ، وأقيمت حفلة سنوية للرابطة الإسلامية تحت رئاسة جناح يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٦ فى مدينة لكهنؤ وفى هذا المؤتمر قبل مشروع له ، ثم أقيمت حفلة المؤتمر الهندى فى نفس المدينة يوم ٢٦ ديسمبر من نفس السنة تحت رئاسة « امبكا جرن مزمدار » وقد صدق فى هذا الاجتماع على مشروع الرابطة الإسلامية وخلاصته هذا المشروع أن يكون :

١ — عدد أعضاء كل قطر كبير بمجلس التشريع من ١٠٠ إلى ١٢٥ وفى الأقطار الأخرى من ٥٠ إلى ٧٥ ثم يخصص عدد أعضاء المسلمين فى هذه الأقطار ، فمثلا يخصص ٥٠ ٪ للمسلمين فى البنجاب و ٤٠ ٪ في البنغال و ٢٩ ٪ فى بهار ، ١٥ ٪ فى المقاطعات المتوسطة ، ١٥ ٪ فى مدراس ، ٢٣ ٪ فى بمباى .

٢ — وألا يكون فى أية مقاطعة حاكم أو مساعد للحاكم وأن يكون نصف عدد أعضاء مجلس الشورى من الهنود بعكس ما كان معمولا به وهو كل أعضاء المجلس من الإنجليز، وهؤلاء الأعضاء يؤخذون من أعضاء المجلس التشريعى ومدة عضويتهم خمس سنوات .

٣ — يكون عدد أعضاء المجلس التشريعى المركزى فى دهلى ١٥٠ عضوا وينتخبون من أعضاء المجلس التشريعى فى المقاطعات وينتخب رئيس المجلس ولا يعين وتقـــدم فيه المسائل التى تتعلق بالهند كلها لا بمقاطعة خاصة .

٤ — يجب أن يكون نصف عدد أعضاء مجلس الوزراء للحاكم العام من الهنود .

بعد أن قدم جناح هذا المشروع صار زعيما للمؤتمر الهندى وللرابطة الإسلامية معا، ولم يكن هذا المشروع جامعاً مانعا ولم يكن فى الإمكان المطالبة بأكثر منه وقد دل قبول المسلمين لهـذا المشروع على رغبتهم فى الاتحاد وحبهم فيه فقد خسر مسلمو البنجاب والبنغال كثيرا .

لـكل مشروع مؤيدون ومعارضون ولم ينج هذا المشروع من وجود بعض المعارضين فقد سعى بعض كبار زعماء المؤتمر الهندى لإحباطه ، وكانوا يعتقدون أن المؤتمر أخطأ فى قبـوله وقد حاولوا حمله على رفضه ومن الذين خالفوه « بنديت موهن مالوى » و « لاله لاجبت رائى » وكانت

الرغبة بادية فى أن تكون الانتخابات عامة وبأن يدمج المسلمون فى الأكثرية لا أن تجرى وفق نسبة عدد السكان .

خرج المسلمون والهنادك متعانقين متفقين على تكوين جيش لمهاجمة قصر الاستعمار إن لم تجب مطالبهم ، وتكونت جمعيتان لهذا الغرض فى سنة ١٩١٧ وكان رئيس الجمعية الأولى (تلك) ورئيس الجمعية الثانية مسز اينى بسنت ولم ينجح (تلك) لأنه كان متعصبا ضيق القلب ، ولكن مسز بسنت نجحت لأنها لم تكن متعصبة وكانت رئيسة لبعض الجمعيات الاجتماعية وكانت لها صحيفتان إحداهما يومية والأخرى أسبوعية وقد استفادت بهما فى نشر الدعاية لجمعيتها . وعند ما شعر الحاكم بخطرها وانتشار دعوتها فى جميع أنحاء الهند أمر حاكم مدراس بتقييد حريتها فى الخطابة والانتقال ، وقد احتج الهنود لدى الحكومة على هذه الإجراءات الشاذة وبذلك صارت مسز بسنت زعيمة حتى انتخبها المؤتمر الهندى رئيسة له .

عندما رأى جناح أساليب الحكومة فى محاربة هذه الحركة اشترك فيها وعين رئيساً لفرعها فى بمباى وصار الخطيب الأول فى الوقت الذى قيدت فيه حرية مسز بسنت . وفى يولية سنة ١٩١٧ عقد سكان بمباى اجتماعا عظيما تحت رئاسة جناح وقام وتكلم فى خطبته الرئيسية مهاجما الحكومة موجها إليها أقسى ألفاظ النقد وقد أذكى نيران الثورة فى كل

الهند مسلمين وهنادك ولم يكن للناس حديث سوى جرأة جناح و بدأ قصر الحكومة يتزلزل .

لقد كان جناح جريئا لا يهاب الحكومة ولا يفزع من السلطان يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم ، ويحدثنا تاريخ الهند الحديث عن جرأته النادرة وشجاعته التى لا تجارى فهو لا يخاف حاكما ولا أميرا ولا قوة ولا جيشا .

رأينا السير سيد أحمد ينادى بوجوب تعلم المسلمين وتثقيفهم وكيف عارضه أكثر المسلمين حتى استجاب لدعوته البعض وشغلوا بعض الوظائف في الوقت الذى أقبل فيه الهنادك على المدارس الإنجليزية في أنحاء الهند ليرتفعوا إلى مستوى المسلمين الثقافى فتعلموا ونالوا قسطا كبيرا من الثقافة ، وبعد وفاة السير سيد أحمد خلفه نواب محسن الملك الذي جمع زعماء المسلمين فى شمله ١٦ سبتمبر سنة ١٩١٦ ليضعوا قواعد تثبت أن المسلمين شعب ممتاز يجب بقاؤه دون الاندماج في الأكثرية ، وشكلوا وفدا وصل فى أول أكتوبر سنة ١٩١٦ وقدم إلى الحاكم العام اللورد منتو مذكرة بيّن فيها أن طرق الانتخاب المتبعة فى أوربا لا توافق بلاد الهند لأن هنا جماعتين عظيمتين المسلمون والهنادك ولكل منهما حضارة وثقافة وكل جماعة ضد الأخرى فلو أجريت الانتخابات على وفق النظم الأوربية فستدمج الجماعة الصغيرة فى الأكثرية وأثبتوا أن

المسلمين شعب ممتاز كبير لا علاقة بينه وبين الهناداك وهذه كانت أولى المحاولات الرسمية من جانب المسلمين ليثبتوا وجودهم .

إلى هذا الوقت كان جناح يميل إلى المؤتمر الهندي ولم يكن يهتم بالرابطة الإسلامية والجماعات الأخري ولكن بعد أن اقترب من غاندى وعرف ميول المؤتمر وزعمائه بدأ يميل نحو الرابطة ، ففى خطبته الرئيسية التى ألقاها بالرابطة الإسلامية فى سنة ١٩١٦ فى لكهنؤ يقول : « إن احتجاجات الهناداك وأرباب سياستهم أيقظت المسلمين » .

إن هؤلاء يفنون وجود المسلمين من الهند ، ومن أهم مقاصد الرابطة الإسلامية إثبات وجود المسلمين وتربيتهم بطريقة تمكنهم بالتمتع بحقوقهم التى يستحقونها ، وإنى مسرور أن قادة الهناداك قد اعترفوا فعلا بوجود المسلمين وبكونهم شعباً ممتازاً — ولو اتفق الهناداك والمسلمون فلن أساعد المخالف ، سواء أكان مسلماً أم هندوكيا .

ولما جاء دور الانتخابات كان أمام المسلمين طريقان ، إما أن يتقدموا بلا قيد ولا شرط أمام الأكثرية الهندوكية ، وإما أن يثبتوا وجودهم . وقد اتهم زعماء المؤتمر المسلمين بأنهم خونة لأنهم لا يوافقون على الاتحاد مع الأكثرية ، ويتخذون من اتحاد مسلمى مصر وأقباطها مثالا يريدون أن يحتذى ، ومادرى هؤلاء أن الأكثرية المسلمة فى مصر قد أعطت الأقلية القبطية كل حقوقها ، فهم لو اعترفوا بحقوق المسلمين فى الهند لما توانى المسلمون فى الاتحاد .

طالب الوفد الذى ذهب إلى شمله لمقابلة الحاكم العام :

أولا : أن ينتخب مسلم من وسط المسلمين .

ثانياً : أن يكون عددهم فى المجلس التشريعى أكثر من النسبة العددية .

ثالثاً : يعين الموظفون المسلمون حسب تناسبهم العددى ، وكذلك القضاة المسلمون فى المحاكم العليا .

ويجب أن تساعد الحكومة فى إقامة حكومة إسلامية ، ويؤخذ الأعضاء من كل مجالس المقاطعات فى الهند ، وقد قبلت الشرط الأول .

قلنا إن الهند قامت بثورة زلزلت قصر الحاكم العام وما كان للحكومة البريطانية أن ترى لهيب الثورة ونيرانها وتقف مكتوفة اليدين أمام مذكيها ، فكونت فى سنة ١٩١٨ لجنة تحت رئاسة « رولت » S. Rollet لوضع قانون للعقوبات يطبق على كل من تسوّل له نفسه الثورة ضد الحكومة الإنجليزية ، أو يخالف أوامرها ، ولقد زاد هذا النار اشتعالا وثارت ثائرة الهنود ، فعقدوا الاجتماعات وألقيت الخطب الرنانة وكان من الخطباء محمد على جناح ، ومن خطبة له :

« كأن هذه اللجنة كونت لمعاقبة قبائل مجرمة نشأت فجأة فى هذه البلاد وتريد أن تمحوها ، ولكن وضع القوانين ليس بعلاج لهذا المرض. أنا أخاطب الإنجليز أنه يجب أن تغيروا سياستكم ومعاملتكم فى الهند والقوانين التى وضعتها هذه اللجنة لا يمكن أن تقبلها دولة متمدينة ،

ولا يمكن أن نتصور وضع هذه القوانين فى هذا الوقت » .

ولكن الحكومة لم تبال بهذه الاحتجاجات وقبلت هذه القوانين فى سنة ١٩١٨ ونفذتها ، وكان هذا التاريخ فتحا جديداً فى تاريخ الهند .

كتب جناح خطابا للحاكم العام بدهلى فى ٢٨ مارس سنة ١٩١٩ من قصره فى جبل مالابار بمباى : « إنك بتصديقك على هذا القانون أبعدت الشعب عن الاقتراب من البريطانيين ، وأيقن الهنود أن الإنجليز قائمون على الظلم وإنكم هدمتم قصر الإنصاف والعدل ، وأحرقتم دستور الحق ، ولذلك فإنى أحتج على هذه المعاملة وأستقيل من عضوية مجلس الشورى ، ومثلى لا يمكن أن يتعاون مع الحكومة فى مثل هذا الوقت ، لأنها رفضت صوت الأعضاء فى مجلس الشورى » .

كان من المحال أن يكتب غير جناح مثل هذا الخطاب فى ذلك الوقت ، إذ كان اسم الحاكم العام كافياً لإلقاء الرعب فى القلوب والخوف فى النفوس .

فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٩ عقد الهنود أعظم اجتماع ضد الحكومة البريطانية فى العاصمة « دهلى » ولما أراد الجيش تفريق المظاهرات هجم المجتمعون على الجيش وهم عزل وقتل خلق كثير ، واشتعلت الثورة فى جميع أرجاء الهند ، وقام كبار الزعماء يحتجون فى الاجتماعات ويلقون الخطب فسجن زعيمان يوم ١١ إبريل سنة ١٩١٩ فى مدينة « امرتسر » أكبر مركز سياسى فى البنجاب ، ثار الناس لسجنهما وقام الجنرال

« داتر » بجيشه المسلح ودخل المدينة ، وكان هناك اجتماع عظيم فى بستان « جليان واله » بالبنجاب ، انتظم فيه آلاف من الشباب الثائر ضد الحكومة ، فألقى عليهم النيران وقتل أكثر من ٥٠٠ شاب فى هذا الاجتماع ، وانتشرت النيران فى كل البنجاب ، وأعلنت الحكومة الأحكام العرفية ، وقمع الإضراب بالعصى ، وإذا اعتدى على الإنجليز فى شارع ما ضرب جميع سكانه .

فى تلك الأيام وصل «غاندى» من أفريقية الجنوبية إلى الهند : فقاد الشعب وأعلن الصوم ثلاثة أيام وبالاحتفال بيوم الدعاء ، ثم أخذ توقيعات الشعب لمقاطعة بريطانيا ، وأشار بأن يضرب جميع الموظفين والعمال والطلبة والمحامون وجميع الناس يوماً واحداً ، وقبلت الهند مادعا إليه هذا الزعيم ، إزاء هذا وخوفا من حدوث مالا تحمد عقباه ، لم تستطع الحكومة تنفيذ القانون عمليا وإن كانت قبلته وأقرته .

جمعية الخلافة

قامت الحرب العالمية الأولى وكان الأتراك فيها بجانب الألمان ضد الإنجليز وحلفائهم وخشى الإنجليز أن يقوم مسلمو الهند بثورة من أجل الأتراك فوعدوا بأنهم لن يأخذوا شيئاً من ممتلكاتهم ولكن فى سنة ١٩١٨ بعد أن وضعت الحرب أوزارها وضعت بريطانيا شروطاً قاسية أغضبت مسلمى الهند، ولكن الحاكم العام الإنجليزى فى ذلك الوقت قال إنه يجب أن يتحمل المسلمون هذه الشروط. لما سمع المسلمون تصريح هذا الحاكم أقاموا الاجتماعات وخرج الشباب لمحاربة الإنجليز ولكنهم كانوا فى احتياج إلى قائد ينظم صفوفهم فرأوا فى غاندى بغيتهم المنشودة فقد رجع من جنوب أفريقيا ناجحاً وقاد الشعب فى ثورته ضد قانون العقوبات ورأوه متسامحاً غير متعصب واسع القلب وكان للمسلمين فى تلك الأيام زعيمان هما الشقيقان محمد على وشوكت على وهما زعيمان لحركة الخلافة ورأيا أنه لا بد من النجاح فى هذه الحركة ولو تحت زعامة غاندى. قبل غاندى قيادة هذه الحركة وكان هو نفسه ينتظر هذه الفرصة فاتحد المسلمون والهنادك ليحاربوا الإنجليز وأعلن المسلمون أنهم يريدون حربا مقدسة وأنهم يريدون مساعدة الأتراك وكان الإنسان يسمع منهم فى كل اجتماعاتهم عبارات تدل على مبلغ

رغبتهم فى محاربة الإنجليز فكانوا يقولون إننا ضعفاء غير مسلحين ورغم هذا سنجمع شملنا وسنحارب عدونا ، وإن لم نستطع قتله فسنقتل دون أن نترك الميدان ، وإن لم يكن لنا أسلحة فنستطيع أن نقطع رءوسنا بسيوفه ، وإن لم يكن معنا أسلحة نشق صدور أعدائنا فى استطاعتنا أن نقدم صدورنا ليشقوها بسيوفهم ، وكانوا يتمثلون بهذا البيت .

الموت استراحة من الحياة .

نود أن نتقدم بعد استراحة قصيرة .

غدا الهنود لا يفكرون إلا فى يومهم والتهبت الصدور وغلت الدماء فى العروق واجتاحت الهند عاصفة قوية وثورة جامحة ، ودخل الناس فى عهد جديد وظهر زعماء كانوا مغمورين وخرج من قلوب الشعب خوف الإنجليز واستهانوا بالرصاص فعرضوا له صدورهم وبالعصى عرضوا لها أجسادهم بل وبالموت فأسلموا أعناقهم للمشانق ، امتلأ الشباب قوة وتركت هذه الحوادث الأغنياء فقراء وسلبت البيوت من السكان وأخرجت الموظفين والقضاة والرؤساء من أعمالهم وأدمجتهم فى الشعب ودفعتهم إلى أمواج الثورة وأغلقت المدارس والكليات والجامعات وطاف الشقيقان[1] محمد على وشوكت على أرجاء الهند وخطبوا ضد الإنجليز وكانا يزأران كالأسود الضارية فخضعت أمامهم الجبال ، ولكن جناح

---

(١) يسترعى أصغرهما فى جامع عمر فى بيت المقدس تحت ظل الأنبياء والرسل والثانى دفن بجوار الشهيد سرمد أمام جامع الامبراطور المغولى شاه جهان بانى تاج محل .

لم يشترك فى هـذه الحركة بل ظل صامتا لم يجرفه تيار العاطفة ولم ينس عقله ، وقد أجاب نفسه عن سبب عدم اشتراكه حين سأله بعض أصدقائه بقوله[١] « سألنى بعض رفقائى لماذا أنا بعيد عن السياسة فى مثل هذا الزمن الخطير . نعم هذا الزمن عصيب جداً ومعاملة الحكومة سيئة للغاية فقد انتهت الحرب العالمية وأفنى الهنود فيها أموالهم وأرواحهم ولم يكافئوا إلا بقانون العقوبات ، ولكنى بهذه المناسبة أصارح بأن الطريق التى سلكها غاندى الذى أحترمه وأقول بكل صراحة إنه يضلل الشعب ويذهب به إلى هوة سحيقة قاتلة[٢] » صاح الناس عند ماسمعوا « لا . . لا . . » فقال جناح : « إني أعرف أنكم ستقولون هـذا ولكنى قلت ولن أوافقكم ، ولو لم أكن على يقين بأن برنامج غاندى يضلل القوم لكنت معه فى هـذا الخطر . أنى أجل غاندى ورفقاءه وإنى أيضا أعرف التضحية ، ولكنى أقولها ثانية إن برنامجه يخرج الناس عن الطريق المستقيم ويدفعهم إلى هوة سحيقة » فقال الناس « لا . لا » فرد جناح موضحاً الطريقة الإيجابية التى كان يجدر اتباعها « كنا نذهب إلى مجلس الشورى ، كنا نذهب إلى قصر الحاكم العام ونخبره على هدم هذا المجلس ، لقد أقام امبراطور الروس مجلساً مماثلا لهذا المجلس فدخله

---

(١) فى حفل سنوى أقيم لإحياء ذكرى جوكهلى زعيم هندوكى فى بهار فى ٢١ فبراير سنة ١٩٢١ .

(٢) نشرت هذه الكلمة فى جريدة Bombay Chronicle الإنكليزية.

الوطنيون وكسروه واضطر امبراطور الروس على الموافقة على هدمه ، كان فى استطاعة زعمائنا أن يفعلوا كما فعل الروسيون قبلنا والآن تعالوا وانظروا إلى برنامج غاندى، هو يأمر الشباب أن يقاطعوا التعليم ويغلقوا المدارس وأنا أسأله ما معنى الانقطاع عن الدراسة هل يعوض المغزل هذا وهل المغزل هو كل شىء للحرية ؟ وأنا أقولها صريحة إن شغل المغزل ليس بحركة سياسية بل هو حركة اقتصادية ، وانظروا إلى برنامج آخر لغاندى ، فهو يدعو الناس إلى استعمال القماش الوطنى مع أن رفقاءه لا يلبسون هذا القماش ، ليس هذا البرنامج سياسى ، ولا هو طريق موصل للنجاح ، وإنما هو برنامج عاطفى فقط » .

وجناح بعد أن ينقد غاندى وسبله فى الجهاد والكفاح يضع الطريق الصحيح ، ويوضح السبيل القويم فيقول :

« نعم ؟ بدلا من أن تدعو الناس إلى استعمال هذا المغزل أقيموا مصنعاً للنسيج ، وبعد أن تقيموه وتنتجوا الأقمشة قاطعوا المنتجات البريطانية ، وبعد أن تنشئوا المدارس والكليات قولوا للطلبة أغلقوا المدارس البريطانية » .

وجناح إن كان قد وجه النقد إلى غاندى فلم ينج من نقده الزعيمان الشقيقان محمد على وشوكت على . وهؤلاء الثلاثة كانوا زعماء الهند قاطبة ولم يكن فى وسع إنسان غير جناح أن يخطب فى الشعب ويهاجمهم .

وهو فى خطبته لايعتمد على قيادة غاندى ويرجو الإصلاح والتعمير ، ويرى أن هذه الحركات كلها ضارة بالهند .

ومن المواقف المشهورة للقائد الأعظم والتى كان فيها يبصر الشعب ويهديه إلى أقوم السبل حتى ولو خالف فيها غيره من الزعماء . أرادت انجلترا أن تقيم وزارات هندية ، فقدم المؤتمر الهندى شرطا لقبول هذه الوزارات ، وهو أن لايتدخل فيها حكام المقاطعات الإنجليز ، ولكن بريطانيا رفضت قبول هذا الشرط ، فرفض المؤتمر قبول الوزارة ، فدعا حكام مقاطعات الأقاليم المتحدة وبمباى وبهار وغيرها زعماء الرابطة الإسلامية إلى تشكيل وزارات ، فقبل الزعماء الدعوة ، إلا أن القائد الأعظم الذى كان محامياً للقضية الإسلامية أعلن رفضه ، ووضح السبب للزعيم المسلم شوكت على بقوله : « كيف نشكل وزارات تحت سيطرة الآخرين ، فإذا كان الإنجليز دعونا لهذا الأمر لأن المؤتمر الهندي غاضب ، فغداً عند ماينتفق المؤتمر مع الإنجليز ستؤخذ منا السلطة ، وإنى لن أسمح لأى زعيم مسلم أن يشكل وزارة فى أية مقاطعة ليست بها أغلبية مسلمة » ، ولقد رفض زعماء الرابطة الإسلامية تشكيل الوزارات بعد أن رفض القائد الأعظم ، وحتى هؤلاء الذين قبلوا أولا عادوا فنفذوا أمر الزعيم .

لقد كان جناح مشهوراً بالنظام والمحافظة على قوانين الرابطة وكم أخرج زعماء لمخالفتهم قانون الرابطة ، ومن هؤلاء السير غلام حسين

هدايت الله رئيس الوزراء فى السند سابقا وحاكمها ، وفضل الحق رئيس وزراء البنغال وأكبر زعيم لهذه المقاطعة . ولعل من أسباب نجاح المسلمين فيما اختاروا يرجع إلى محافظتهم على نظام رابطتهم وعدم مخالفتهم لزعيمهم .

كان جناح خطيب الرابطة الإسلامية وموجهها إذا وقف ليخطب اشرأبت الأعناق ، وتفتحت الآذان ، ففى سنة ١٩١٤ عقدت الرابطة اجتماعا تحت رئاسة السير «إبراهيم رحمت الله» وقام جناح وألقى خطبة قانونية اعترض فيها على اختصاصات وزير الهند وقدم اقتراحا بأن :

١ — يكون مرتب الوزير مثل مرتب وزراء الإنجليز الآخرين لا أكثر منهم .

٢ — يجب أن ينتخب أعضاء مجلس وزير الهند جميعهم بدلا من تعيينهم .

٣ — الذين يعينون يجب أن يكون نصفهم غير حكومى والنصف الآخر يجب أن يكون من الذين عاشوا فى الهند عشر سنين .

٤ — يجب أن يكون مجلس وزير الهند استشاريا .

قدم جناح هذا الاقتراح فى سنة ١٩١٤ مهاجما الإنجليز ولم يكن فى وسع أحد غيره فى تلك الأيام أن يهاجمهم ، ولعل جرأته النادرة هى سرّ التفاف الناس حوله والانضواء تحت زعامته .

جمعية الخلافة والمؤتمر الهندي

أرسلت بريطانيا وفداً إلى الهند فى سنة ١٩٢٧ برئاسة السيرجون سايمن لدراسة أحوال الهند ، وقد عاد هذا الوفد إلى بريطانيا وقدم مشروعا للإصلاح إلا أنه سبب اضطرابات شديدة بين الهنود فقام مستر بركن هيد وزير الهند فى البرلمان وأدلى ببيان جاء فيه أن الهنود منقسمون والاختلاف بينهم كبير ، كما أن كل حزب يتوجس خيفة من الأحزاب الأخرى ؛ مما كان سبباً فى عدم وضع دستور أساسى مشترك .

لما سمع ساسة الهند وزعماء المؤتمر الهندى ما قاله هذا الوزير جمعوا الشمل وبحثوا موقفهم واتفقوا على وضع دستور أساسى يقدمونه إلى الحكومة ، فشكلوا لهذا الغرض لجنة تحت رئاسة « بنديت موتى لال نهرو » والد « جواهر لال نهرو » وقد اشترك فى هذه اللجنة بعض الزعماء الذين لاصلة لهم بالمؤتمر الهندى . ومن المسلمين الذين اشتركوا فى وضع هذا الدستور السيد شعيب القريشى [1] صهر مولانا محمد على مندوبا عن جمعية الخلافة فى هذه اللجنة .

باشرت اللجنة عملها وأخذت فى وضع الدستور الأساسى إلا أن

---

(١) سفير الباكستان فى روسيا .

الأعضاء المسلمين رأوا تعصب بنديت موتى لال ورفقائه الهنادك واضحاً، حتى لقد حاولوا إعطاء كل شيء للأكثرية الهندوكية وحرمان الأقلية المسلمة من كل شيء ، وقد ساعدهم كثرة الأعضاء الهنادك .

والأغرب من هذا أن المؤتمر الهندى كان قد قبل الأربعة عشر شرطا التى قدمها جناح ، فكان على اللجنة أن تراعى هذه المطالب عند وضع مواد الدستور ، إلا أنها لم تهتم بمطالب المسلمين ، وكأنها أرادت أن تسنّ دستوراً هندوكيا خالصا .

لما رأى السيد شعيب القريشى هذا الاتجاه من جانب الهنادك استقال من اللجنة ورفض التوقيع على مشروعها ، فأعلن غاندى أن هذا المسلم متعصب ، واختار موتى لال مكانه شودرى خليق الزمان [1] وتصدق أحمد خان شروانى .

فى أغسطس سنة ١٩٢٨ عقد جميع الأحزاب مؤتمراً لدراسة هذا المشروع فى مدينة لكنؤ ، وأعلن مولانا شوكت على مندوب جمعية الخلافة فى هذا المؤتمر عدم قبول المسلمين لهذا المشروع ، لأن مطالب المسلمين لم تقبل وصاروا فى البنجاب أقلية ، وفضلت الأقلية الهندوكية على الأكثرية المسلمة فى البنغال ، كما لم يقبل مطلب فصل السند عن مقاطعة بمباى ورفض أن يكون للمسلمين ثلث مقاعد المجلس التشريعى

---

(١) رئيس الرابطة الإسلامية فى الباكستان الآن والداعى إلى الوحدة الإسلامية أو « إسلامستان » وقد زار مصر والبلاد الإسلامية والدول العربية لهذا الغرض .

المركزى ، فى تلك الأثناء كان مولانا محمد على والزعيم محمد على جناح غائبين عن الهند ، فقد كانا بأوروبا للاستشفاء ، ولم يكن غير مولانا شوكت على يدافع عن حقوق المسلمين ويذود عن مصالحهم .

ولما رجع مولانا محمد على إلى الهند بعد قليل بذل جهدا فى إقناع « بنديت موتى لال نهرو » ليقبل مطالب المسلمين ، ولكن التعصب والكراهية للمسلمين وغيرها من الأسباب كانت سببا فى إخفاق مولانا محمد على .

كان بديهيا أن يخرج مولانا محمد على من صفوف المؤتمر الهندى بعد ما رأى موقف الهنادك وعلى رأسهم موتى لال ، وكان برهانه أن المسلمين لو سكتوا ولم يطلبوا حقوقهم كاملة بنص الدستور ، فلن يمكنهم الحصول عليها بعد أن يتم وضعه وإقراره . ومنذ ذلك الوقت صار الزعيمان الشقيقان محمد على وشوكت على في صف القائد الأعظم . وقد تبعهما خلق كثير من المسلمين المنضوين تحت لوائهما والمشتركين فى جمعية الخلافة ، وبانضمامهما إلى الرابطة الإسلامية قويت شوكة المسلمين وزاد نفوذهم .

بين المؤتمر والرابطة

قلنا إن القائد الأعظم لم يشترك فى الرابطة الإسلامية إلا ليقرب بينهاو بين المؤتمر وليوحدالصفوف، ولكن الهنادك كانوا ينكرون وجود المسلمين وقوتهم بل اضطهدوهم وآذوهم فى ديارهم و بيوتهم وحلت بهم المصائب، فقد قامت جمعيات إرهابية من الهنادك لتقتيل المسلمين ونهب دورهم فى «آره» بمقاطعة بهار فقتلوا الأطفال وأهلكوا النائمين ولم يتركوا نوعا من الظلم إلا ارتكبوه . وفى يوليو سنة ١٩١٧ عقد اجتماع للجان الرابطة والمؤتمر لتشكيل الدستور فى مدينة بمباى واتفقوا على تقديم مطالبهم إلى وزير الهند ونائب الملك وكان جناح زعيم وفد المسلمين ، وطلبوامن بريطانيا أن تعلن استقلال الهند ، ولما وقعت حادثة آره توجس المسلمون خيفة وقالوا أهكذا تكون حياتنا مع الهنادك بعد أن نحصل على الاستقلال ؟ وعقدوا اجتماعا عظيما فى نوفمبر سنة ١٩١٧ فى بستان قيصر بلكنؤ برئاسة النواب محمد اسحق خان سكرتير جامعة عليكره وفكروا فى مسألة الاتحاد وقام أكثر الزعماء وفصلوا حادثة آره وناقشوها واتفقوا أخيراً على أن لا يكون المسلمون حائلا بين الهند و بين الحرية وأرسلوا مشروعهم إلى المؤتمر ولكن وقع ما لم يكن فى الحسبان بعد أيام قليلة ، فقد حدثت حوادث أبشع مما وقع فى « آره » وكانت فى

« كتاريور »، ولقد فصل ذلك الزعيم البنغالى فضل الحق فى اجتماع للرابطة الإسلامية فى دهلى سنة ١٩١٨ « . . . لو ذكرت هنا حادثة كتاريور الدامية وكيف فعل هؤلاء الهنادك بالنساء فقلبى حزين مملوء بالألم . إلى الآن لا يمكن أن أبين وكل واحد منا غاضب وساخط على الهنادك ومثل هذه الحوادث تفسد العلاقات بيننا وتقطع أمانينا التى نتمناها فى الوحدة الهندية ، فلو كان من الضرورى أن يعامل المسلمون الهنادك معاملة طيبة فعلى الهنادك أن يعاملوا المسلمين معاملة طيبة ونحن دائماً مستعدون لتقديم يد المعونة » .

كان فى استطاعة المسلمين أن يردوا بقوة على حوادث آره وكتاريور، كان فى استطاعتهم مقابلتها بمثلها فى السند والبنجاب والبنغال والحدود الشمالية فهم فيها غالبية ساحقة ولكن لم يفعلوا بل تقوم الرابطة الإسلامية فى اجتماع لها فى سنة ١٩١٩ فى أمر تسر برئاسة مسيح الملك حكيم أجمل خان الذى يؤيد فكرة الاتحاد فى خطبته ويدعو المسلمين إلى أن ينسوا هذه الحوادث ويتقدم المسلمون بمقترحات إلى المؤتمر فى أمر الاتحاد الهندى ويطلب الشقيقان محمد على وشوكت على من المسلمين بأن يطالبوا بعدم إعدام أولئك القتلة الذين ثبت ارتكابهم القتل . كل هذا رغبة فى الاتحاد ! ! فهل قابل الهنادك المسلمين بمثل ما قابلوهم به هل تركوا الجور والظلم ؟ ؟ هل ندموا على ما فعلوا ؟ ! كلا ! ! بل قام سوامى شردها فى سنة ١٩٢٢ بحركة رد المسلمين إلى دين الهنادك وكان يقول إنه لو كان فى الهند كلها دين واحد لما حدث شىء من هذا وكان من نتيجة

ذلك أن لم يرتد المسلم ولكن نشأ الاختلاف العظيم بين المسلمين والهنادك .

بدأ المسلمون يخالفون فكرة الاتحاد وخرج كثيرون إلى الميدان ليحاربوا هذه الفكرة وكانت الرابطة إلى ذلك الوقت تحاول إخماد نار الثورة والفرقة، ولما قام خواجه حسن نظامى بحركة التبشير الإسلامى وقام دكتور كجلو بتنظيم المسلمين منعهما جناح لأنه كان يرى فى تشكيل الجماعات الإسلامية حائلا دون الاتحاد . وعقدت الرابطة اجتماعا لها فى سنة ١٩٢٥ فى مدينة عليكره برئاسة السير عبد الرحيم وقال فى خطبته : « إن بعض زعماء الهنادك يهاجمون المسلمون مهاجمة شنيعة و يحاولون إخراج المسلمين من الهند كلها كما أخرج العرب من أسبانيا ولكن ليعلم هؤلاء الزعماء أن المسلمين لقمة أكبر من أفواههم » .

تقرير نهرو : (موتى لال والد الزعيم جواهر لال نهرو)

أثرت حركة الارتداد فى المسلمين ولما رأى جناح أن الهنادك يقومون فى كل يوم بحركة جديدة لتشتيت الصفوف قدم الأربعة عشر شرطا يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٢٧ وهى :

١ — سن دستور أساسى للهند يخول لكل مقاطعة الصلاحية التامة فى الحكم المباشر .

٢ — مساواة جميع المقاطعات فى الحقوق والامتيازات .

٣ — مراعاة حقوق الأقليات فى سائر المقاطعات وتخويلهم حق التمثيل النيابى فى سائر المجالس النيابية والتشريعية وحماية حقوقهم ضد ضغط الأكثرية .

٤ — أن يكون ربع المقاعد لممثلى المسلمين فى المجلس النيابى الذى سيؤسس بمقتضى الدستور .

٥ — أن ينتخب الأعضاء الممثلون للفرق والطوائف انتخابا مستقلا مع تمتعهم بالصلاحية التى ينص عليها الدستور .

٦ — أن لا يكون فى تغيير النظم التى ستجرى فى سائر المقاطعات ما يمس الحقوق والمزايا التى تتمتع بها الأكثرية المسلمة الموجودة فى مقاطعات البنجاب والبنغال والحدود الشمالية .

٧ — أن يضمن الدستور الهندى الجديد الحرية التامة المطلقة لجميع الملل والمذاهب من إقامة الشعائر والتعليم وغير ذلك .

٨ — أن لا ينفذ أى قانون أو أية لائحة فى مجلس من المجالس التشريعية أو النيابية فى أية مقاطعة من المقاطعات ويكون ذلك القانون أو تلك اللائحة تمس قوما من الأقوام أو طائفة من الطوائف ، مالم يوافق على ذلك ثلاثة أرباع الأعضاء من ممثلى تلك الطائفة .

٩ — فصل مقاطعة السند عن بمباى فصلا تاما بغير قيد أو شرط .

١٠ — أن تنظم مقاطعتا الحدود و بلوخستان تنظيما يتفق والحالة التى عليها سائر المقاطعات .

١١ — مراعاة حقوق المسلمين فى سائر الإمارات المستقلة بما يتفق والحرية الدينية التامة والعدالة الكاملة فى سائر الحقوق والوظائف .

١٢ — أن يضمن الدستور الهندى الجديد الحرية التامة للمسلمين فى إقامة شعائرهم الدينية وصيانة حقوقهم ومقدساتهم وأماكن معتقداتهم والمحافظة على ثقافتهم الدينية فى التعليم والتبليغ واللغة فى سائر المقاطعات والإيالات المستقلة وأن تخصص كل إيالة منحة مالية تصرف سنويا على الشئون الإسلامية .

١٣ — أن لا تؤلف وزارة من الوزارات أو حكومة من الحكومات فى المقاطعات الهندية ما لم يمثل فيها المسلمون بنسبة الثلث .

١٤ — أن لا يقبل أى تعديل أو تغيير فى الدستور الهندى الأساسى بعد تشريعه إلا بعد أخذ رأى وموافقة سائر المقاطعات .

وبعد تقديم هذه الشروط قام الزعماء والشعراء والخطباء يدعون لها وللقائد الأعظم الذى صار أكبر زعيم للشعب عامة بعد أن كان زعيما للطبقة المثقفة خاصة .

عاد جناح فى ديسمبر سنة ١٩٢٨ من أوربا واتفق زعماء المؤتمر الهندى والرابطة الإسلامية وجمعية الخلافة على إقامة اجتماعاتهم السنوية فى كلكتا لبحث مشروع نهرو ، وحاول جناح أن يتحد الهنادك ويترك شروطه الأربعة عشر لو قبلت بعض مطالب المسلمين الهامة . كان جناح يريد تأييد هذا المشروع اتقاء للفرقة واتفق زعماء الأحزاب على الاجتماع

فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وقاطع مجلس الخلافة هذا الاجتماع ولم يشترك فيه أحد واشترك مولانا محمد على بشخصه لا عن مجلس الخلافة فقام السيد بركت على وألقى كلمة رنانة طالب فيها بقبول الأربعة عشر شرطا، ثم قام جناح وألقى كلمة فى أهمية الاتحاد بين المسلمين والهنادك وفسر قيمة الحرية ومطالب المسلمين بأنها مطالب معقولة، حتى لقد تأثر من كلمته الزعيم الهندوكى السير بهادرسبرو وكان عضوا فى هذه اللجنة وقال : « اجتمعنا هنا اليوم للاتحاد ولو نظرتم إلى الاحصاء والعدد لعرفتم أن المسلمين الآن فى البرلمان ٢٧ ٪ والسيد جناح يطالب بـ ٣٣ ٪ ويجب علينا أن نقبل مطالب جناح، لأنكم لو خرجتم من هذا الاجتماع فاشلين فستتأخر مملكتنا وأنتم مسؤولون وإنى أرى أن نقبل مطالب جناح »

ولكن قام مستر جيكر الزعيم الهندوكى الآخر وقال « جناح لا يمثل المسلمين جميعا لأنه يوجد معنا أبو الكلام آزاد والدكتور أنصارى والدكتور كچلو وهؤلاء جميعهم مسلمون ويؤيدون مشروع نهرو ويوجد مسلمون غيرهم يؤيدونه ، وجناح لا يمثل إلا قليلا من المسلمين ولا تعد مطالبته مطالب المسلمين جميعا » فقام جناح وقال : « لو لم تجيبوا اليوم هذه المطالب فستجيبونها غدا ، وأنتم مسئولون بين اليوم والغد ، ولن تستطيع الهند أن تتقدم تقدما سياسيا إلا بعد الاتحاد » ولكن كلامه لم يسمع ومطالب الرابطة لم تقبل ورجع جناح يائسا وقدم هذا المشروع أمام المؤتمر الهندي فقبل بالإجماع ، وقام غاندى يلقى كلمة الختام معلنا أن

هذا المشروع هو دستور الهند المتحدة وقد اتفق عليه المسلمون والهنادك ، وأمام الحكومة سنة واحدة فإن لم تقبله وتنفذه فى ديسمبر سنة ١٩٢٩ فسيبدأ الهنود العصيان المدنى فى الهند كلها وتعطل نظم الحكومة جميعها .

لم يجب موتى لال نهرو مطالب المسلمين فى هذا الدستور الأساسى فقط بل لم يجب مطالب الأقليات والأحزاب السياسية الأخرى ، لذلك عقدت الرابطة الإسلامية اجتماعها السنوى فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩ برئاسة السيد جناح واتفقت على أن الرابطة لا يمكن أن توافق على مشروع نهرو إلا بعد قبول الأربعة عشر شرطا كما لا يقبل المسلمون أى دستور إلا بعد قبولها .

حركة العصيان المدنى :

أخذ الهنادك فى الاستعداد للثورة سنة كاملة وكانوا يوجهون اللوم إلى المسلمين تارة وينذرون الحكومة تارة أخرى ، حتى أعلن غاندى فى اجتماع للمؤتمر الهندى الذى عقد برئاسة بنديت جواهر لال نهرو سنة ١٩٢٩ فى لاهور « أن الحكومة لم تقبل مشروع نهرو ولذا وجب علينا أن ننظم العصيان المدنى والآن نحن لا نرضى باستقلال داخلى بل نطالب بالاستقلال الكامل » ووفق هذا بدأ غاندى العصيان المدنى فى مارس سنة ١٩٣٠ من منطقة داندى بمقاطعة بومباى وهذه هى الثورة الأولى ضد الحكومة والتى لم يحظ فيها الهنادك بمساعدة المسلمين لأن المؤتمر لم يبال بالرابطة الإسلامية ولا بمجلس الخلافة .

قام غاندى بحركة العصيان المدنى تاركا المسلمين [1] فقدر لهذه الحركة الفشل الذريع لأنه لا نجاح لحركة لا يشترك فيها المسلمون ولا يؤيدها زعماؤهم ، ولم يستطع غاندى أن يجبر الحكومة على قبول مطالبه بل وضعت شرطا لإطلاق سراح المسجونين وهو إنهاء هذه الحركة وكان قد قبض على بنديت جواهر لال نهرو يوم ١٤ أبريل سنة ١٩٣٠ وعلى غاندى فى ٥ مايو وعلى موتى لال فى ٣٠ يونيو وغيرهم من زعماء المؤتمر .

مؤتمر المائدة المستديرة :

قلنا إن بريطانيا أرسلت إلى الهند وفدا برئاسة مستر سايمن لدراسة الأحوال ووضع مشروعا لتقديمه إلى البرلمان البريطانى ، فى تلك الأثناء تغيرت الوزارة البريطانية وشكلت وزارة العمال فى مايو سنة ١٩٢٩ برئاسة مستر رمزى ما كدنالد وفي يونيه من نفس السنة أرسل جناح خطابا إلى رئيس الوزارة خلاصته أن الهند السياسية قد قاطعت مشروع سايمن ولو قبل هذا المشروع فستشتعل النار فى الهند كلها ولن تعتمد على وعود بريطانيا ، ورجاه أن يعلن فى وضوح أن بريطانيا ستمنح الهند الاستقلال ، وأعلن لورد أرون نائب الملك فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ أن الحكومة البريطانية تود منح الهند الاستقلال ولهذا ستعقد مؤتمر المائدة

(١) إلا قلة من أعضاء جمعية العلماء بدهلى .

المستديرة وقد وافق مستر غاندى على هذه الفكرة وحبذها واشترط أن يكون للمؤتمر أكثرية المندوبين .

أرسلت الحكومة الدعوى إلى الأحزاب للاشتراك فى هذا المؤتمر وحدد لانعقاده اليوم الثانى عشر من نوفمبر سنة ١٩٣٠ بمدينة لندن ، ولم يشترك زعماء المؤتمر الهندى فيه وحاول المسلمون تقديم مطالب الهند المتحدة ورضوا بالانتخاب العام وكان هذا الرضاء مشروطاً بفصل السند عن بمباى .

وفى ١٩ يناير سنة ١٩٣١ انتهى هذا المؤتمر وألقى رئيس الوزارة البريطانية كلمة الختام واعداً فيها باستقلال الهند .

مرض موتى لال فى سجنه وأطلق سراحه وسراح الدكتور أنصارى و بنديت جواهر و بعض الزعماء الآخرين من الهنادك وكذلك مستر غاندى وخمدت حركة العصيان المدنى وحاول غاندى الحصول على موافقة نائب الملك على إطلاق سراح المسجونين الآخرين ولكن الحكومة رفضت وأخذ غاندى يعد أهبته للسفر إلى لندن لحضور اجتماع المائدة المستديرة فى أغسطس سنة ١٩٣٢ وفى هذا المؤتمر حاول أن لا يبحث أمر الأقليات والفرق المختلفة إلاّ أن المسلمين والأقليات أحبطوا محاولته ، ولما رأى أنه لن يستطيع إقناع المؤتمر أعلن قبوله شروط جناح الأربعة عشر على شرط أن لا يؤيد المسلمون مطالب الأحزاب

الأخرى والأقليات ولـكنهم رفضوا شرطه فرجع إلى الهند ليبحث مسائل الأقليات مع مسز نايدو و بنديت مالوى .

حاول جناح مراراً أن يصالح المؤتمر الهندى فى هذا الدور ليحاربوا جميعاً الحـكومة متحدين ولـكنه فشل ، ولما صار عضوا فى المجلس التشريعى المركزى سنة ١٩٣٥[1] عاود الـكرة وحاول جادا فى التفاهم مع المؤتمر الهندى وقدم مشروعا للصلح ولـكن الأحزاب الهندوكية لم تقبل وأخفق جناح مرة أخرى .

قانون الهند :

لما قرب يوم تنفيذ قانون الهند بعد انتهاء اجتماعات المائدة المستديرة كان غاندى فى سجن بروودا ولما علم بموافقة الحـكومة على منح المنبوذين حق عضوية المجلس النيابى حسب عددهم هدد بالصوم حتى الموت ولـكن رئيس الوزراء أعلن أنه فى استطاعة الحـكومة تغيير رأيها إذا اتفق الهنادك والمنبوذون وفعلا تم الاتفاق برضاء مستر أمبيدكر على عدم المطالبة بالحق النيابى وعلى هذا غير القانون ووافق مستر غاندى على

(١) بعد انتهاء مؤتمر المائدة المستديرة الأول كان جناح يقيم فى لندن وأراد الاشتغال هناك فى المحاماة وفكر فى ترشيح نفسه عضوا فى البرلمان يذود عن حرية الهند من هناك ، ولـكن بريطانيا كانت قد أعلنت أنها ستعطى المقاطعات الاستقلال حسب قانون الهند وبحث المسلمون عن قائدهم ودعوه إلى الرجوع إلى الهند وقدموا أوراق الترشيح وصار عضوا بالتزكية .

الاشتراك فى الانتخابات بعد إلحاح من أتباعه وحاولت الرابطة الإسلامية الاتفاق مع المؤتمر و بدأ الزعماء المسلمون فعلا فى مساعدة المؤتمر وانتهى الأمر بفوزه فى هذه الانتخابات التى انتهت فى أوائل سنة ١٩٣٧ وطلب منه تشكيل الوزارة فاشترط لذلك أن لا يتدخل حكام المقاطعات فى هذه الوزارات ولكن الحكومة رفضت هذا الشرط وطلبت من الرابطة تشكيل الوزارة فرفضت ، ولما وافق المؤتمر على تشكيل الوزارة عرض على أعضاء الرابطة فى المجلس التشريعى الاستقالة منها وتوقيع ميثاق المؤتمر إن أرادوا الاشتراك فى الوزارة ولكن المسلمين رفضوا هذا العرض رفضا باتاً ، وشكل المؤتمر الوزارة دون إشراك مسلمى الرابطة واكتفى ببعض المسلمين الذين كانوا يمثلون بعض الأحزاب الصغيرة .

قام جناح فى ٥ فبراير سنة ١٩٣٨ فى جامعة عليكره خطيباً وقال : « ربينا فى الهند تربية سياسية وفق نظم الغرب، وهذا القانون الذى أجبرنا على قبوله رتب حسب عقلية البريطانيين ، ولكن يوجد فرق أساسى بين بريطانيا وهذه البلاد ، ففى بريطانيا نرى الأحزاب التى تمثل الأكثرية تتغير فيذهب حزب ويأتى حزب ، ونرى اليوم المحافظين على كراسي الحكم وغداً نرى العمال ولكن الهند تختلف لأن الهنادك سيبقون أكثرية دائما ومن عداهم سيبقون أقلية دائماولن تصبح فى يوم ما أكثرية » يريد بهذا أن الاختلاف بين أحزاب أوربا هو اختلاف

فى السياسة فقط، أما الاختلاف فى الهند فمظاهره كثيرة، فى الدين واللغة والجنس والعادات .

بدأ الهنادك بعد تشكيل المؤتمر للوزارة فى اضطهاد المسلمين ، وكان أول مظهر من مظاهر هذا الاضطهاد هو إعلان غاندى أن اللغة الأردية لغة المسلمين الدينية إذ أنها تكتب بحروف القرآن وقد أوجدها ملوك المسلمين فى عهود حكمهم ونشروها .

كان لدعوى غاندى أثر كبير فى نفوس المسلمين حتى احتج بعض أصدقائه من المسلمين الذين خدموا المؤتمر خدمات جليلة وعلى رأسهم الدكتور عبد الحق سكرتير جمعية ترقية اللغة الأردية والأستاذ محمد مجيب من الجامعة الملية الإسلامية بدلهى .

لم يستمع غاندى لهذه الإحتجاجات بل قام بحركة نشر اللغة القديمة وساعدته الوزارة الهندية ، كما غيرت برامج التعليم ومناهجه بما لا يتفق مع العقائد الإسلامية ، ووضعت نشيداً وطنياً أجبر على إنشاده المسلمون والهنادك من الطلاب وكان يسمى (بَنْدى ماتْرم) وكان نشيداً وثنيا وضع لتنفير المسلمين .

كان على الرابطة الإسلامية أن تقف ضد هذه الإتجاهات التى نهجتها الحكومة فعقدت اجتماعاتها وطالبت بتغيير هذه الخطة ولكن الهنادك أصروا على نشر اللغة الهندية القديمة مما كان سبباً فى غضب

المسلمين وقيامهم بالمظاهرات الإسـلامية التى فرقها رجال الشرطة بإطلاق الرصاص..

مما تقدم يظهر بوضوح موقف الرابطة الإسـلامية وموقف المؤتمر الهندى ، فزعماء الرابطة سعوا إلى الإتحاد مع الهنادك على أن تحفظ لهم حقوقهم ولـكن زعماء المؤتمر الذين بدت نواياهم جلية واضحة فى كل المواقف حاربوا المسلمين بشتى الوسائل واضطهدوهم ، فـكان على المسلمين أن يطالبوا بتقسيم الهند و إنشاء دولة مستقلة بهم .

الرابطة الاسلامية فى عهد جديد

قلنا [1] إن مؤتمر المائدة المستديرة عقد جلساته فى سنة ١٩٣٠ ومثل الرابطة الإسلامية محمد على جناح وقد بقى فى بريطانيا بعد انتهاء اجتماعات المائدة المستديرة وصمم على عدم العودة إلى الهند مفضلا البقاء هناك ليشتغل بالمحاماة وليتيسر له سبيل الدفاع عن حقوق المسلمين الهنود، ولكن كيف يتسنى للمسلمين ولرابطتهم السير فيما رسموه لأنفسهم والزعيم بعيد عن الهند ، لقد قدموا أوراق ترشيحه ليكون نائبا عن بمباى واستدعوه ليقودهم نحو النصر والفوز .

لبى جناح دعوة المسلمين ووجد رابطتهم قد اعتورها شىء من الضعف فقام بتنظيمها وأدخل فيها دما جديدا وثبت أركانها ووضع لها أسسا جديدة ، بفضلها صارت الرابطة فى مدة وجيزة قوة يخشاها الهنادك والإنجليز ، وبدأ المسلمون عهدا جديدا بزعامة قائد واحد هو محمد على جناح بعد أن كانوا فرقا يقود كل فريق زعيم .

كان الاشتراك فى الرابطة الإسلامية وقفا على الأغنياء والعظماء وأصحاب الألقاب وخاصة الناس ، ولم يكن لمسلم عادى أن يشترك فيها إلا برضاء القائمين بأمورها . ولكن فى عهدها الجديد أبيح لكل

---

(١) صفحة ٦٠ .

مسلم أن يشترك فيها مقابل آنتين أى بما يعادل عشرة مليمات وبذلك صارت الرابطة جماعة المسلمين عامة ، لها فروع فى كل مدينة وفى كل قرية . وقام كل مشترك بتنفيذ قانون الرابطة و تعاليمها وبدأ اتحاد المسلمين قويا لا نظير له .

عقدت الرابطة اجتماعها الأول بعد تشكيل الوزارات الهندوكية فى الهند بلكنؤ سنة ١٩٣٧ وقام جناح خطيبا وقال : « عاملنا الهنادك معاملة سيئة جدا حتى ملهم كل مسلم ،و بعد أن أقاموا الوزارات فى المقاطعات التى فيها أكثرية هندوكية أخذوا يضطهدون المسلمين ويؤذونهم ولم يبالوا بحقوقهم وجاءوا باللغة الهندية القديمة وألفوا نشيدا وطنيا وأجبروا كل شخص على إنشاده » ثم قال منددا ببريطانيا : « إنى الآن أوجه أنظاركم إلى مسألة فلسطين فبريطانيا قد خانت العرب وخدعتهم ، فبعد أن وعدتهم رسميا أنها ستمنحهم الاستقلال التام بعد الحرب العظمى عادت وأرادت تقسيم فلسطين بعد أن أفادها العرب و كتب لها النصر بفضلهم ، وهى إن صممت على هذا فتضيع حقوق العرب و تكسر شوكتهم وهى إن لم تبر بوعدها حسب إعلانها ، فنحن مسلمو الهند نعلن ومعنا جميع المسلمين فى العالم أن بريطانيا بعملها هذا تحفر قبرها بيدها » .

و فى هذا الاجتماع قررت الرابطة :

١ — أن المؤتمر الهندى قد آذى المسلمين بالنشيد الذى يمثل الوثنية و يخالف الإسلام.

٢ — قصر حكام المقاطعات فى اختصاصهم وفى المحافظة على حقوق المسلمين والأقليات الأخرى .

٣ — تقرر الرابطة مقصدها الأول استقلال الهند الكامل وأن تشكل بعد الاستقلال جمهورية تحافظ على حقوق المسلمين والأقليات الأخرى .

٤ — تطالب الرابطة الإسلامية الحكومة بعدم تنفيذ قانون سنة ١٩٣٥ لأنه يضر المسلمين كثيرا وبمقتضاه تضيع حقوقهم .

٥ — اللغة الأردية هى لغة الهند المشتركة أوجدها المسلمون والهنادك معاً لذلك تطلب الرابطة من كل فرد أن يرقى هذه اللغة ويعلى شأنها .

بدأت الرابطة فى هذا العهد الجديد تسير فى طريق النجاح تدافع عن حقوق المسلمين وتبصرهم بما يراد بهم ، وهم يشدون أزرها ويتحملون في سبيل تقدمها ورقيها كل أنواع الظلم والاضطهاد ويبذلون كل رخيص ونفيس ، حتى غدت قوة يخشى بأسها الهنادك والإنجليز . وفى هذا العهد الجديد أطلق المسلمون على زعيمهم لقب « القائد الأعظم » تكريما له واعترافا بفضله .

فكرة الباكستان

عرف شاعر المسلمين فى الهند الدكتور العلامة الفيلسوف محمد إقبال[1] ما بيته الهنادك ضد المسلمين ، وكان على علم بما يدور بأذهانهم ، وبما

---

(١) ولد إقبال فى سيالكوت بمقاطعة البنجاب سنة ١٨٧٦ وظهرت عليه بلامح النبوغ ومخايل الذكاء منذ نعومة أظفاره ، ودرس الأدب الفارسى والأدب العربى على أستاذه ميرحسن . وفى لاهور وقع تحت تأثير السير توماس أرنولد كما وقع تحت تأثر ميرحسن فى سيالكوت ، وقد عرف فيه أرنولد بفراسته الذكاء والنبوغ ونجح فى « ثقب القوقعة التى حجبت أعظم شخصية » . سافر إقبال فى سنة ١٩٠٥ إلى أوربا ودرس فى جامعة كمبردج ودرس الفلسفة فى ميونخ ونال درجة الدكتوراه ، ووجد فى مكتبات أوربا بغيته فأخذ يقرأ ويبحث ، وكان رحمه الله موضع ثقة أساتذته لما لمسوه فيه من الجد والمثابرة . ولم تشغله أوربا بجمالها وزخرفها عن الدفاع عن الإسلام .

رجع إلى الهند فى سنة ١٩٠٨ واشتغل بالتدريس ، ثم عمل فى المحاماة وكان عونا للمسلمين فى كل أمورهم . ذاع صيته ونال شهرة فائقة فى الأدب ، وله عدة دواوين فارسية وأردية هى :

أسرار خودى — رموز بى خودى — بيام مشرق — زبور عجم — جاويد نامه — مسافر — وكلها باللغة الفارسية

أما بانك درا وضرب كليم وبال جبريل فباللغة الأردية وأرمغان حجاز باللغتين الفارسية والاردية .

ومن مؤلفاته بالانجليزية

Reconstruction of Religious thoughts in Islam.

وكان رحمه الله يرى أن المشكلة الهندية لن تحل إلا بتقسيم الهند للاختلافات البينة بين المسلمين والهنادك . قد قبل مشروعه فى سنة ١٩٤٠ ونادى به جناح وجاهد من أجله ، حتى قامت دولة الباكستان سنة ١٩٤٧ .

يجول فى نفوسهم ، ورأى أن المسلمين والهنادك لايمكن أن يسيروا فى قافلة واحدة ، إذ لايمكن أن يجتمع الكفر والإسلام، والحق والباطل، والمكر والصدق فى مكان واحد ، فقام فى حفل سنوى للرابطة الإسلامية فى ديسمبر سنة ١٩٣٠ بمدينة « الله آباد » بمقاطعة الأقاليم المتحدة وخطب خطبة طويلة جاء فيها [١] :

حضرات السادة :

أتوجه إليكم بعظيم شكرى على ماأوليتمونى من ثقة شرفتنى برياسة الرابطة الإسلامية فى هذا الدور العصيب الذى يجتازه المسلمون ، وإنى لايزدهينى الغرور فينسينى أن هذا المجتمع ينتظم من صفوة الأعضاء من هم أوفر منى تجربة ، وأرسخ منى قدماً فى ميدان السياسة ، وأقدر منى على حل المشاكل ، ولقد أعدها جرأة بالغة منى لو أسبغت على نفسى صفة الهداية والتوجيه لحضراتكم .

إنى لم أكن يوما ما فى إحدى الجماعات أو الهيئات قائدا ، ولا جنديا أخضع لقائد ، فقد استنفدت أعوام حياتى الماضية دراسة واطلاعا بحقيقة الإسلام ، وتفهماً لفنون السياسة والآداب . وكان اهتمامى وتأثرى واتصالى بروح الأصول والتعاليم الإسلامية مما أكسبنى فى حياتى بصيرة خاصة اكتشفت على ضوئها أن الإسلام حقيقة عالمية . وما دام المسلمون محتفظين بهذه الروح قوية كاملة فإنى سأحاول ما وسعنى الجهد أن

(١) نقلا عن كتاب « فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية فى الهند والباكستان » .

أبعث من تلك البصيرة فى نفسى قوة تشعل فى شغاف قلوبكم جذوة الشعور ، وتركز أصول الإسلام ومبادئه التى هى وحدها الضمان لتحقيق النتيجة المرجوة .

الإسلام والقومية :

إن ثمة حقيقة ثابتة لايسع أحد أن يرتاب فيها ، وهى أن جميع المثل العليا الخلقية ، والأهداف العمليـة ، والأنظمة السياسية ، التى رسم الإسلام حدودها العادلة ؛ كان لها الأثر الواقعى الملموس ؛ فى تاريخ مسلمى الهنـد ، فقد امتزجت مشاعر المسلمين وأحاسيسهم وعواطفهم بتعاليم هذا الدين الحنيف التى يرتكز عليها كيان الجماعات بما يهيئ لجميع الأفراد والهيئات على السواء أن تتلاقى فى سيرها ، وتتجمع فى تكوينها على أقوى الدعائم وأقوم النظم فى التشكيل والتنسيق ، ولا أجدنى مبالغاً إذا أعلنت أن ربوع الهنـد هى التى قد تجلت فيها قوة النهضـة والسير نحو بناء الوحدة الإسلامية فى أجلى مظهر وأكمل صورة ، ففى الهنـد ممالك ودول مدينة لقيامها ووجودها للإسلام ، وذلك لأن الإسـلام تتمثل فيه الروح الأخلاقيـة ، والفضائل الأدبية على أسلوب خاص ، والإخاء الدينى والترابط الاجتماعى ، والعدالة الثابتة بين شعوب الإسلام ، لم يوكل أمرها إلى مجرد النصح والترغيب ، وإنما هى خطط وقواعد تكفلت

برعايتها و إيضاحها التشريعات من نصوص هذا الدين الحنيف ، تلك التشريعات الحكيمة التى أقامت صرح الاتحاد بين القلوب ومدت ظلال الأمن بين الشعوب وقد تنكر لها وجه المدنية الحاضرة و يسعنى أن أصارحكم القول بأن الأفكار السياسية لأمم الغرب ، أحدثت انقلابا لم يقتصر شرره وشروره على الهند وحدها بل اندلع لهيبه وأحاط بالعالم الإسلامى كله ويود شباب المسلمين اليوم تطبيق هذه المبادىء و إقرارها فى حياتهم العملية وهم ينساقون إلى ذلك مسرعين دون أن يتبينوا البواعث من العلل والأسباب التى حملت أمم الغرب على اعتناق تلك المبادىء، وكان على هؤلاء الشباب أن يذكروا أن قيام المسيحية بأوروبا فى بداية أمرها كان يرتدى مسوح العزلة والرهبانية ثم تبدلت الأمور فاتخذت الكنيسة شكل الحكومة المتجبرة ومظهرها فى الدولة مما نشأ عنه قيام مارتن لوثر بثورته ضد سلطة الكنيسة . على أن هذا الثائر لم يكن ينشد بثورته إصلاحا سياسيا أو إحداث انقلاب وتغيير يمت إلى هذا المعنى بصلة ما إذ ليس للسياسة ولا لأنظمة الحكم أى ارتباط بأصول المسيحية، ولو تتبعنا الأمر على جليته لالتمسنا المعذرة للوثر . على أنى أعتقد شخصيا أن لوثر نفسه ما كان يتوقع أن تكون نتيجة ثورته هذا الانقلاب الفكرى الجرىء الذى انتهى إلى تعدد المذاهب الخلقية . فكل ماصنعه بإقامة ثورته أنه مزق رباط الوحدة وفتح ثغرات جديدة فى دنيا المسيحية وأصبح أنصاره أنفسهم شيعا وأحزابا يصعب حصرها على المتتبع ومن ثم أخذت الأمم

للمسيحية تنفصل عن كل معنى إنسانى فى الاخاء والاتحاد وانزلقت إلى مضايق الحقوق القومية والاقليمية والعنصرية والطائفية على أساس تفهم الحياة وتركيب معظمها على هذا الوجه وحده فنشأت النعرات الوطنية ، وفى أسلوب هذا المنطق الجديد نشأت مظاهر من الأنظمة والتشريعات خاضعة لتلك المؤثرات وليس لأمة على هـذا الاعتبار وجود سياسى إلا متأثرا بتلك النزعات .

فلو تصورنا الدين على أنه يبدأ من الآخرة وينتهى إليها دون أن تكون له وشيجة اتصال بدنيا هذا العالم ، لكان الذى حدث فى شعوب الغرب أمرا لا غرابة فيه ولا مناص منه بالنظر إلى مبادىء المسيحية . وليس بمستغرب كذلك أن نرى انهيار صرح الأخلاق التى نادت بها وصايا المسيح فقد ذهبت كأن لم تغن بالأمس وحلت مكانها فى حياة الأقوام أنظمة السياسة الجديدة وانحصر أمر الدين بأعماله ومعاملاته فى حياة الفرد داخل نفسه وفى حدود ذاته دون أى اتصال بالحياة الدنيوية ، ولكن الإسلام يقرر أن الإنسان وحدة كاملة دون فصل فى الأحكام والمصائر بين المادة والروح فالقربات التعبدية والمصالح الدنيوية ومساجد العبادة ومناصب الرياسة وميادين العمل فى المادة والروح إنما هى أجزاء متعددة لكل واحد . فان هذا الإنسان لم يسكن عالما نجسا يتحتم عليه أن يتخلص منه بالتماس الهجرة إلى عالم روحانى طاهر نقى ، فالمادة التى ترقى بها تعاليم الإسلام وينظمها ليست سوى شكل من أشكال الروح

ومظهر آخرلها فى حدود الزمان وقيود المكان و يبدو أن عالم الغرب قد تأثر فى غير تبصر ولا روية بعقيدة (المانوية) التى تدين بالثنائية بين المادة والروح .

على أن أحرار الفكر وأقطاب الرأى من الغربيين قد أخذوا يتسللون لواذا من هذا الاعتقاد الخاطىء ولكن ما تزال طبقة السياسيين على إصرارها واستمساكها بأن العالم كله يجب أن يخضع فى حاضره ومصيره لتلك العقيدة و يرضخ لقانونها كحقيقة ثابتة لاسبيل إلى التخلص منها ولعمرى إنه لتفريق باطل بين المادة والروح قد استولى على كل اتجاه سياسى أودينى فى ممالك الغرب ثم لا يكون عجيبا بعد ذلك أن ترى الدول المسيحية قد جانبت الدين مجانبة كلية من الوجهة العملية وقامت تبعا لهذا حكومات ودويلات ممزقة الأوصال قوامها الأغراض المادية والأهداف المحدودة ولاتمت بصلة إلى مشاعر الإنسانية ومثلها العليا ولكن الذى يعد من سخرية الأقدار حقا أن ترى هذه الدول بعد أن أضاعت ثروة المعتقدات الدينية والمبادئ الخلقية أخذ يطيف بها الحلم الذهبى فى توحيد أوروبا . ويمكننا أن نقول بتعبير آخر إن القوم ربما أحسوا ضرورة الاتحاد الذى كان لهم من قبل فى ظل الحكومات البابوية ، ولكنهم بدلا من أن يقيموا دعائم الاتحاد فى ضوء الأخوة الإنسانية العالمية التى كان يخفق بها قلب عيسى عليه السلام أضاعوا كل تراث من الوحدة والوئام بفضل تعاليم « لوثر »

واننا بحمد الله لا نتوقع أن يقوم فى المسلمين لوثر آخر فليس فى ديننا الحنيف ما كان يوجد فى المسيحية إبان القرون الوسطى من السلاسل والأصفاد التى كان العالم يومئذ فى أمس الضرورات إلى تحطيمها ذلك بأن الإسلام هو الدين القيم الذى ترتكز دعائمه الأولى على الوحى والتنزيل فى نصوصه التى تجمع قواعده الكلية ولا يقلل من شأن هذه الحقيقة أن فقهاءنا كانوا فى الوقت الأخير بمعزل عن الحياة العملية فلم ينتبهوا فى البداية إلى الاستجابة لحاجات العصر ومطالبه مما يجعلنا فى حاجة إلى تجديد الفكرة والاتجاه إلى الإنشاء والعمران، إنى لا أستطيع أن أتكهن الآن بنتيجة الاستمساك بالإقليمية والقومية عند شعوب المسلمين، وبما إذا كانت الجاذبية الإسلامية ستصل إلى أعماق المشاعر فتبدلها وتضفى عليها حلتها التى كانت لها من قبل أو أن هذه الأفكار التى خرجت من مصنع المدنية الغربية ستحدث فى الإسلام تغيرا ومعاذ الله أن يقع ذلك.

منذ أيام كتب إلى العلامة (ونسنك) رسالة من هولندا يقول فيها « إن العالم الإسلامى فى يومه قد وصل إلى الطور الذى كانت عليه المسيحية منذ قرن وأن أعقد المشاكل والصعوبات التى تبدو اليوم أمام الأنظار بعد أن هجر المسلمون أسلوبهم السابق فى تصور كنه الحياة إنما هو تخير الطريقة المثلى التى يتحقق بها حفظ بنيان الملة من التضعضع والانهيار ثم يقول ونسنك إنه شخصيا لا يستطيع أن يتبين المصير

للنتظر بالنسبة للمسيحية وماذا سيكون مبلغ تأثيره ونتيجته المرتقبة فى أمم الإسلام .

إننا فى الوقت الحاضر نرى المسلمين قد تورطوا فى أغراض الوطنية إلى الانزلاق فى عصبية الدم والجنس ؛ ثم ماذا أليست هذه هى النزعات التى تحول بين المسلم وتحقيق مقاصده الإنسانية السامية التى هى من صميم رسالته الأولى ، وقد تنتهى هذه المشاعر إلى توهين دعائم الإسلام .

إنى أستميحكم المعذرة إذا التجأت إلى هذا الأسلوب العلمى الذى دفعتكم إليه فى خطاب لم يكن يحتمل دسامة النظريات العلمية ومشاكلها بهذا الصدد أنتم الذين رأوا أن ينتخبوا لرياسة هذه الرابطة رجلا لم ينزل به اليأس ولم يقعد به القنوط وما يزال قلبه عامراً قوى الإيمان بأنه ما برحت فى المسلمين تلك القوة الكامنة التى تستطيع أن تحرر أذهان البشرية من قيود الألوان والأجناس والدماء ، نعم أنتم الذين تخيرتم رجلا يؤمن بأن للدين الأهمية العظمى والأثر الفعال فى توجيه حياة الفرد والجماعة على السواء ، وهو موقن كل اليقين بأن تقرير مصير العالم الإسلامى إنما هو فى أيدى المسلمين أنفسهم لا فى أيدى أعدائهم ، وأن رجلا هذا أمره وتلك عقيدته مضطر إلى وضع حلول جميع المشاكل على أساس النظرية الإسلامية وحدها ، ولا يخطرن ببال أحد منكم أن ما أشرت إليه الآن من المشاكل محصور فى حدود النظريات لا يتعداها بل هو فى صميم المناهج الحيوية والخطوات العملية وأقول على سبيل المثال

لو أننا جعلنا دستور الحياة ونظام العمل قائمين على أصول الإسلام ومبادئه فى الهند وحدها لأشهدنا العالم أمة مثالية تؤثر فى حياة جميع المسلمين ، وربما امتد أثرها كذلك إلى جميع أقطار المسكونة . وهـذا هو الهدف الذى نصبو إليه حين نحاول أن ننشىء فى الهند مدنية ممتازة وحضارة متخيرة ، ودعونى أصارحكم بأن الإسلام لم يمر به فيما سلف من عصور التاريخ دور عصيب حافل بالمشاكل المستعصية والأحداث الدامية كهذا الدور الذى يعانيه .

إن لـكل شعب حقه فى أن يرسى قواعد بنيانه كما له أن يحور فى وضع أصوله الأساسية أو ينسخها جميعاً بجرة قلم ولـكن على من يحاول استعمال حقه أن يتبين كيف تـكون العاقبة و يتبصر فى النهاية قبل أن يخطو إليها خطوة واحدة وأرجو ألا يتطرق إلى أحد سوء الفهم فى إدراك ما أرمى إليه و إذا ما ذهب أحد إلى غير رأيى فليفرخ روعه وليـكن على ثقة من أنى لن أفتح معه بابا للمناظرة بحال ومن جهتى فأنا مستيقن من أنى أخاطب المسلمين الذين احتشدوا فى هـذا الجمع الإسلامى ليفكروا كيف يعيشون سعداء فى ظل تعاليم الإسلام ، وهم من صميم أفئدتهم يتمنون أن يحيوا كراما فى إحياء المثل العليا للـكتاب الـكريم ولن يحول شىء دون استعمالى حقى فى حرية الرأى لأكشف النقاب عن وجه الحقيقة فى أساليبكم السياسية وأدل على النهج القويم بما لا يخامرنى شك فيه .

اتحاد الهند القومية :

قبل أن أخوض معكم غمار هذا الموضوع أحب أن أضع بين أيديكم هذه الأسئلة، وهي هل الدين أمر وجدانى فردى فقط ؟ أتحبون أن تكون نهاية الإسلام فى الخلق والسياسة كنهاية المسيحية فى الغرب ؟ أمن الجائز أن تقصر تعاليم الإسلام على الجانب الأخلاقى والتعبدى فى حياة الإنسان بحيث يجوز لنا بعد ذلك أن نقتبس لأنظمتنا السياسية مبادىء أخرى لا يجد الدين طريقاً إلى انتدخل فيها ولا الحكم عليها ؟ ولهذه الأسئلة بالنسبة للهند أهمية أخرى نظراً إلى أقلية المسلمين فيها وأكثرية الهنادك وغيرهم من الملل الأخرى .

إن الدعوى بأن تدين الإنسان مقصور على شخصه ولا يتعدى كيانه الفردى لا تعد غريبة إذا رددتها ألسنة الغربيين ، ذلك بأنهم تلقوا المسيحية مسلكا رهبانياً قد أشاح بوجهه عن دنيا المادة لينشد غاية عليا فى الجمال الروحانى وكان مصير الأمم الغربية خاضعاً لهذا المعنى بما كانت نهايته على نحو ما أسلفنا بيانه لكن الدين الذى جاء به نبينا الأكرم ورسولنا الأعظم يختلف عن ذلك اختلافا كليا من الألف إلى الياء بما دل عليه نص التنزيل ونطق به صريح الآيات . وليست غاية الإسلام منحصرة فى الواردات الذاتية التى تجعل المرء بمعزل عما حوله من الأشياء ومن حوله من الناس، بل بناء للتربية التى تجعل الفرد صالحا لأن يتكون

منه ومن غيره مجتمع صالح له أنظمته القويمة ومن مادة هـذه التربية الفاضلة استمدت مقومات السياسة العليا عند المسلمين وهى سـياسة استنبطت فروعها العملية من أدلتها الإجمالية فى محـكم القرآن والسنة النبوية .

وليس فى وسعنا أن نتصور بعد الأنظمة السياسية والاجتماعية من حقيقة الإسلام لأنهـا من صنعه وصميمه وكلاهما يرتبط بالآخر ارتباط الملزوم بلازمه والمعلول بعلته والاستغناء عن أحد المتعلقين اسـتغناء عن الآخر ، وإنى لا أستطيع أن أفهم لحظة واحدة كيف يعد مسلما ذلك الذى يفضل السياسة المبنية والمستمدة من العصبية والجنسية على الإسلام نفسه متجاهلا أصوله الأولى ومبادئه الحقة فى بناء الوحدة الجامعة لأبنائه وهذه المشكلة نفسها تواجه مسلمى الهند اليوم .

قد لا يكون فى طوق الإمكان أن تجمع شعوب البشرية لتنهض بها طفرة إلى حياة واحدة ولـكن فى الإمكان أن تجمع الأسرة الإسلامية على صراط مستقيم ولهذا فشلت دعوة الإمبراطور « أ كبر » وفلسفة الشاعر « كبير » فى جمع الكلمة على مبدأ المحبة على إطلاقها دون توجيه عملى فلم يكتب لأحدهما النجاح ،لأن مثل هذه الدعاوى عند مجادلتها نراها خالية من الحلول الصحيحة لمشا كل الحياة الإجتماعية . والتفـكير السليم يقتضينا أن نعترف بالحقائق ولو كانت مريرة فليس من الأساليب العملية لتحقيق المقاصد أن نعمد إلى مبادىء نفترض فيها حالات غير موجودة

فبدلا من تكذيب الوقائع يجب أن نستفيد منها و إذا اعتقدنا أن الهند كما يبدو فى رأى أنها آسيا مصغرة فعلينا أن نقيم وحدتها القومية على هذا الأساس ففى الهند جزء يشبه الأمم الشرقية مدنية وتهذيبا ولكن جزءا آخر منها يعيش على أسلوب سكان آسيا الوسطى والغربية ، فعلينا أن نتبين من جميع هذه المتناقضات التى كانت مثار الحروب الدامية آمادا وقرونا متعاقبة .

إن حل مشكلة الهند هو حل مشكلة آسيا كلها . و إنه ليؤسفنى أن جميع محاولاتنا فى التعاون والاشتراك والاتحاد قد حبطت فيها المساعى والجهود ولكن ما مصدر هذا الفشل الذريع والجواب الوحيد هو أن أحدا لا يثق بما ينتويه الآخر وكل واحد ينطوى فى سريرته على حب الغلبة والإنتصار على سواه . إننا لن نحاول أن نستتر خلف نقاب من القومية لننسى مابذلنا من تضحيات وما حصلنا عليه من حقوق ، فنحن نسمع التشدق بنغمة حب الوطن يرددها الجميع بينما البواطن تنطوى فى داخليتها على الاستئثار و إثارة عوامل الفرقة . و إنى أعلن فى صراحة أن المسلمين إذا قبلت مطالبهم فى إحياء مجتمعهم وثقافتهم وتاريخهم ومدنيتهم الرشيدة العالية فإنهم لن يتوانوا عن تقديم أكبر تضحية فى سبيل تحرير الوطن . أما حق الفرد أو الجماعة فى طلب وسائل الرقى فى ظل العقيدة والدين فلا يعد تعصبا والعصبيات التى تدعو إلى البغضاء والتنفير من الآخرين هي وضيعة مهينة ليس لها فى الإسلام وجود .

فإنى أنظر بعين الاحترام إلى المراسيم الدينية الخاصة بغيرى ، لأننى أحترم الحرية نفسها وأنا كمسلم تحتم علىّ قواعد ملتى أن لا أصادر حقوق الآخرين فى شعائرهم الدينية ، لا يمنعنى ذلك أن أحب من شغاف قلبى ومن أعماق ضميرى تلك الأمة التى استمددت كيانى من أوضاعها وأعرافها وتقاليدها وهى التى وهبتنى من دينها ومدنيتها وأدبها وحكمتها ما شيدت عليه بنيان حياتى ، وقد كان من بركتها ونعمتها أن أيقظت فىّ الماضى النائم وألهمتنى بحرارة الإيمان وقوة العمل .

هند إسلامية (باكستان) :

ليست الهند كأى مملكة فى الغرب تجمعها وحدة الجنس واللغة والدين ، ولكنها وطن لأمم متباينة . فالسلالات واللغات والديانات تختلف بعضها عن بعض أتم الاختلاف ، ولا يمكن أن يتحد الشعور وتتفق وجهات النظر فى مناهج الحياة على نحو ما هو موجود فى أى مملكة غربية ، ولا يمكن العمل على إفناء ميراث الملل المختلفة بل يجب أن تعطى كل أمة حق تنظيم وجودها وتقرير مصيرها بما يتفق وأسلوبها فى الحياة ، وإنى أرجو تأييدكم وموافقتكم على أن تتكون من مقاطعات البنجاب والحدود الشمالية والسند وبلوخستان دولة واحدة وسواء أكان قيامها قبل التحرير من النفوذ البريطانى أو بعد تمام الاستقلال ، وإنى لألمح فى الأفق أن مسلمى شمال غرب الهند يضطرون إلى العمل على

تشكيل دولة إسلامية ، ولقد نهض هؤلاء لإعلان رغبتهم تلك إلى لجنة نهرو فرفضت مطلبهم بحجة أنه لو قامت تلك الدولة فإنها ستحتل منطقة واسعة لا يمكن السيطرة عليها ، وصحيح أن رقعة الأرض واسعة كما تقرر اللجنة ولكن عدد سكانها أقل من عدد سكان بعض المقاطعات الهندية ، ولعل التقسيم فى مثل مديرية « أمبالا » التى تقطنها أكثرية هندوكية يقلل مشاكل التنظيم فى تلك البلاد ، وبتقسيم هذه الأقاليم تحفظ حقوق الأقليات من غير المسلمين أيضاً ، ويجب ألا تتفزع حكومة الإنجليز وألا يضطرب الهنادك من إثارة هذه الاقتراحات .

إن الهند أكبر مملكة إسلامية فى العالم ، فإذا أراد مسلموها أن يحفظوا مآثر تاريخهم ويشيدوا معالم مدنيتهم فلامناص لهم من تكوين حكومة مركزية مستقلة .

إن مشكلة الهند لا تنحل إلا بقبول مطالب المسلمين ، الذين لا يجحد الإنكليز عليهم مساعداتهم فى مختلف المواقف وفى مقدمتها الأمن الداخلى .

ولا يفهم تفسير لحب الوطن عند المسلمين إلا بإيجاد وطن لهم ، فلو أتيح لمسلمى شمال غرب الهند تكوين حكومة مركزية فى هيكل السياسة الهندية ، لكونوا جبهة الدفاع ضد أى هجوم من الخارج ، وحصنا لمقاومة الآراء الهدامة فى الداخل .

يكوّن مسلمو البنجاب ٥٦ ٪ من تعدادها ! ثم تجدون أن ٥٤ ٪ من تعداد الجيش الهندى من البنجاب نفسها ، ولو استبعدنا من الجيش الهندى العام ١٩ ٪ منه من سكان نابال المستقلة لأصبحت نسبة المسلمين فى الجيش الهندى العام رغم أنهم أقلية السكان ٦٢ ٪ من مجموعة هذا عدا ستة آلاف من أبطال بلوخستان والحدود الشمالية المحاربين، ومن ثم يتبين لكم مقدار المهمة العظمى فى الدفاع عن الهند إذا تحقق مطلب المسلمين فى شمالها الغربى،وقد قال الزعيم الهندوكى (سرى نواس سشترى) إن مطلب هؤلاء المسلمين ينم عما يبيتون من نية فى المستقبل من الضغط على الهند حين تتاح لهم الفرص ، وجوابى على ذلك أنك لو فتشت صدور المسلمين لن تجد فيهم هذه النزعة الإنتقامية ، وإنما مقصد المسلمين الأوحد أن يعبّدوا لأقدامهم الطريق نحو التقدم فى ظل الحرية الكاملة، ولا سبيل لهم إلى تحقيق هذه الغاية فى نظام حكومة مركزية متحدة كالتى يسعى إليها زعماء الهنادك والقادة المعتصبون منهم ، لا لشىء سوى تضييق الخناق والسيطرة على الأقليات التى لا يرتاحون إلى نهضتها . وكم وددت لو أمكننى استبعاد جميع المخاوف من قلوب الهنادك من قيام حكومة إسلامية . وقد بينت فيما سلف أن مفهوم الإسلام لا ينتهى إلى أن تنظيم الحكومة يقوم على تصورات مثل تلك التى فى الأمم المسيحية . فإن الإسلام نظام تليد تلقته الإنسانية وحيا من خالقها منذ مئات ومئات قبل أن يخلق روسو ليؤلف كتابه العقد الإجتماعى

Contract Sociale فالإسلام فى دعوته الخلقية الإنسانية وفى عقائده السامية يجعل المسلم نافعاً فى كل مكان يستطيع الإقامة حيث وجد، ولا يكون مغروساً كالشجر ولا جامداً كالحجر بل هو ذات روحانية وجزء من تركيب الهيئة الإجتماعية وجزء حى عليه واجبات وله حقوق لا يمكن تجاهلها. وإنى لا أطالب بهذه الدولة الإسلامية إلا ويغمرنى اعتقاد راسخ بأن هذا فى مصلحة الإسلام والهند كذلك، فإنه فى توازن القوات المختلفة يتحقق الأمن ويستقر السلام، وفى إقامة هذه الحكومة الإسلامية فرصة مواتية لتقديم الإسلام للعالم على حقيقته الكاملة فى أسلوب يطابق روح العصر الجديد، خالياً مما أصابه من التشويه فى عهد بعض الحكومات التى لم يكن يعنيها تطبيق مبادئه وإرساء قواعده.

دستور الهند :

قد وضح وضوح النهار أنه لا بد فى المستقبل من أن تتشكل فى الهند حكومات تجمع أفرادها تحت حكم يقوم على وحدة اللغة والاعتبارات الأخرى، ويجب أن يتحقق هذا التقسيم على أسلوب يكفل اتقاء المشاكل وأسباب النزاع وذلك قبل التفكير فى وضع دستور جديد وعندئذ تنحل المشاكل الإنتخابية من تلقاء نفسها، ويبدو لى أن كل تطاحن يقع فى أرض الهند مبعثه عدم التوفيق فى حل مشكلة التقسيم، وكل ما يحاوله الهنادك هو إجراء انتخابات عامة يضمنون فيها أغلبية تمكنهم من إفناء

الأقليات وأن لا يكون لطائفة فى دينها تعبيرها الخاص عن ذاتيتها وعن صميم رسالتها ، لذلك هم يروجون فى شائعاتهم أن الإنتخابات المليّة تنافى القومية ، وتفسير القومية عندهم هو أن يفنى سكان الهند بعضهم فى بعض ، ثم هم بعد ذلك يضمنون لأنفسهم ما يريدون . ولكن الواقع غير الخيال فهذا ما لا نقبله بحال لأن الإختلاف فى الهند واضح جلى بين الأكثريات والأقليات فى الأديان والمعتقدات واللغات ، ولو نظرتم إلى ما عليه المسلمون من انخفاض مستوى المعيشة وفداحة الديون التى يرزحون تحت أعبائها ولاسيما فى مقاطعة البنجاب ، وقلة عددهم فى بعض المقاطعات الأخرى لأدركتم السبب الذى من أجله ينادى المسلمون بالإنتخابات المليّة الخاصة . أما القول بالانتخاب العام فى جميع المقاطعات محافظة على القومية والتمثيل النيابى الصحيح فهو تمويه وتضليل ، لأنه يؤدى فعلا إلى السيطرة التامة للأغلبية الهندوكية ، فلو قسمت المقاطعات على أن تكون كل واحدة منها أمة موحدة كاملة الإرتباط ، فإن المسلمين لا يعارضون فى إجراء أى انتخاب عام .

أما الدستور الجديد الذى وضعه البراهمة فهو يستبعد كل تقسيم ويكل القرار الأخير فيه إلى المجلس التشريعى المركزى الذى يضم أكثرية ساحقة منهم ، وإن كانوا يذرون الرماد فى العيون خلف بعض الأسماء الإسلامية فى هذا المجلس .

أما وسائل الإصلاح التى تحاك فى مصانع السياسة البريطانية فهى ترمى أبدا إلى استبقاء سيطرة الإنجليز حتى يكون الجميع متطلعين إلى نفوذهم، وهم كذلك لا يرون من صالحهم أن تسوى هذه المسائل خشية أن تذهب المعاذير التى يتذرعون بها و يتلمسونها للبقاء فى أرض الهند، و إنى أهيب ألا يقبلوا أى نظام يقرره الهنادك أو يفرضه الإنجليز، وعليهم أن يسلكوا سبيلهم إلى ما يحفظ عليهم وجودهم فى حكم مستقل يتمتعون فيه بالحرية فى تقرير ما يشاءون لأنفسهم والإسلام .

ولعل من الأسباب الرئيسية فى خطل النظريات السقيمة هو اعتقاد الإنجليز أن الهنادك يكونون أغلبية محكمة الرابطة لأن الهند تضمهم فى أفكار متشابكة، ولكنهم أكثر خلافا واختلافا مما يظنون ، ولا توجد الجامعة الحقة إلا بين المسلمين بما أوضحنا أسبابه فيما سلف من هذا البيان ، وعلى الرغم مما بذلته بريطانيا من الأخذ بناصر الهنادك بعد الثورة الإسلامية الأخيرة ضدهم سنة ١٨٥٧ فإن المسلمين هم الذين يجدون فى دينهم وأصول شريعتهم العروة التى لا تنفصم والمجتمع الذى لا يختلف على سواء الطريق، ولهم من فطرتهم وقوتهم ونهضتهم ما يغنيهم عن مساعدة أجنبية للأخذ بسواعدهم .

ولعل الإنجليز يتذرعون فى مشروعاتهم بأنه يمكن إيجاد اتحاد بين المسلمين والهنادك على مثل ماهو قائم من الاتحاد الملحوظ بين المسلمين والمسيحيين فى مصر وممالك الشرق الأوسط مع اختلاف الدين ولكن

ما أبعد هذه المقارنة وما أشد الفرق بين الهند وسواها ، فبينما يجيز الإسلام الاتصال بأهل الكتاب على أن يكون لهم مالهم وعليهم ما عليهم إلى حد إجازة تزويج المسلم من الكتابية و بينما تتحقق المصالح المشتركة بالتعاون فى الأمة الواحدة ، نرى الهنادك يعتبرون المسلمين نجسا ماديا فلا يعاملونهم ولا يختلطون بهم ولا يتحببون إليهم من قريب أو من بعيد ، وكذلك ينظر المسلمون إليهم كوثنيين ليس لهم من الأرض نبوّة ولا من السماء كتاب ، ورغم ما يبذل المسلمون من التسامح فما يزداد هؤلاء من ذلك إلا تنكرا واستخفافا وامتهانا للمسلم والعمل دأبا على استئصال شأفته و إبادة ملته . و إذا كان هذا التسامح قد توقف أمره فى بعض القرون السابقة نظرا لما كانت تصنعه أمم الغرب من همجية بربرية تلبس غير لونها متسترة باسم الحروب الصليبية والمسيحية منها براء ، فإن المسلمين يثبتون اليوم ما أثبتوه من قبل ذلك التسامح الذى مكنهم من التعاون الوثيق فى حكوماتهم وأفرادهم .

اختلاف المسلمين دمار لأمتهم :

أيها المسلمون ، قد يوجد خلاف فرعى بين المذاهب الإسلامية ولكن هذا الخلاف لا يمتد بفرد أو طائفة إلى الخروج على الحدود التى رسمها الدين فى أصوله وقواعده، و إذا أجزنا مثل هذا الخلاف المذهبى فإنى أحذركم ثم أحذركم أن تستبيحوا وجود خلاف سياسى بين

مجتمعكم الإسلامى، فإن هذا الخلاف ليس له سوى معنى واحد وهو فناء المسلمين عن بكرة أبيهم واستئصال عنصرهم من تاريخ الوجود، ومعاذ الله أن يقع ذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى ختام القول أقول لكم أيها المسلمون كما قلت لكم فيما سلف ، إنكم الآن تجتازون أدق مرحلة وتمرون بأصعب دور فى حياتكم السياسية ، فعليكم أن تحتفظوا بالارتباط الشامل والاتحاد القويم فى العزائم والجهود وفى الوسائل والغايات ، وعليكم أن تؤمنوا بأن وجودكم كأمة إسلامية هو عين فائدة الهند أيضا، وعليكم أن تحرروا أنفسكم والهند معكم من كل عبودية سياسية تسبب مصائب وويلات غير متناهية ، وإن تحرير الهند هو تحرير آسيا كلها . هذه العبودية هى التى داست روح الشرق تحت أقدامها وحرمته نغمة الاغتباط بإشراق ذاتيته التى قامت بفضلها المدنيات الشرقية الخالدة ، وعلينا أمام ذلك واجبان أولهما : نحو الهند التى نحيا تحت سمائها ونموت فى أرضها . وثانيهما نحو آسيا ولاسيما آسيا الإسلامية التى تضم مئات الملايين من المسلمين مما يحتم علينا أن نفكر فيها كمسلمين أولا ، قبل كل شىء ولن نؤدي هـذين الواجبين نحو الهند وآسيا إلا حين نستجمع إرادتنا ونوحد أهدافنا ، ولا مندوحة لكم عن ذلك أولا وأخيرا لإثبات وجودكم كأمة إسلامية بين عشرات الطوائف والهيئات الموزعة فى الأقطار الهندية ، فأنتم ترون بأعينكم تشتت أمرنا

وأن انتشار الفوضى والبؤس بين صفوفنا فى ازدياد واضطراد أمام مطامع السياسة الغاشمة .

إنى لاأستطيع أن أخفى عنكم شعورى بأنكم فى سبيل تدارك هذه الحالة الخطرة لابد أن تناضلوا في كفاح للحرية ولا سبيل إلى محاولة أخيرة لكسب سياسى إلا حيث تكون العزائم عزما واحدا والقلوب المتباعدة قلبا واحدا ، وأن تتركز مشاعركم حول مطلب لاتختلفون فيه .

أفى الإمكان أن تتحقق هذه الآمال فى اتحاد قواكم المعنوية وهى صادرة من ينابيع روحانيتكم الصافية؟ لم لا ؟وكيف لا؟ إنكم مستطيعون ذلك و بالغوه إن شاء الله يوم تتحررون من القيود النفسية والمطامع الطائفية ، وحين تضعون أعمالكم الفردية والاجتماعية فى ميزان ماتنشدونه من الأهداف العالية والمثل الرفيعة .

فلتكن قوة المادة إلى جانب قوة الروح متساندتين على تحقيق ما نصبو إليه من القيم العليا ، بل عليكم أن تجعلوا المادة خادمة للروح ، لأن المادة ظلمة وكثرة وفناء ، والروح نور ووحدة وبقاء .

درس تعلمته من تاريخ الإسلام ، أى والله درس واحد ولكنه كل شىء فيما يتعلمه الإنسان ، هو أنه فى أحرج الأوقات وأعقد المصائب والمشكلات ، كان الإسلام هو الذى يحفظ على المسلمين حياتهم ، ولم يكن المسلمون هم الذين حفظوا الإسلام .

فلو أنكم أيها المسلمون ركزتم جهودكم وأنظاركم ووليتم وجوهكم شطر كعبة الإسلام وجعلتموه رائدكم وقائدكم واقتبستم مشاعركم واتجاهاتكم من عناصره التى تهب القوة والحياة ، لتجمعت قواكم المتفرقة وتوحدت مواهبكم المنتشرة من جديد ، ولوضعتم لوجودكم التأمين والضمان الوثيق ضد عوامل الدمار والهلاك . إن آية من القرآن تهيب بكم وتناديكم ، إنها الصوت الأبدى السماوي الذى يخاطب أهل الأرض قائلا فى سمع من مضى من المسلمين ، ومن يولد فى دنيا الأحياء .

« ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » .

ألا يمكننا معشر المسلمين أن ندعى ونحن صادقون فى دعوانا أننا نحن قبل الجميع فى أمم العالم قد عملنا على وضع أسس المباديء لجمع كلمة الإنسانية على خير ما كانت تنشده وتصبو إليه ، وإذا كنا كذلك فى أمسنا ألا نستطيع أن نعيش فى يومنا كنفس واحدة .

إنى لا أريد أن ألقى بكم فى حيرة عندما أقول لكم إن الهند قد تغيرت وإنى أنظر إليها بغير ما تنظرون ، فإنكم توشكون أن تتبينوا ذلك حقا عندما ترون المسلم لا يقول أنا حين يكون فردا واحدا ، ولكنه يقول أنا عندما يكون أمة كاملة» .

وقد أرسل العلامة إقبال رسائل عدة إلى القائد الأعظم ، ففى ٢٨ مايو سنة ١٩٣٠ أرسل خطابا جاء فيه :

«ماهو مشكلة طريق حل فقر المسلمين في هذه البلاد ومستقبل الرابطة يتعلق بهذه المساعى والمحاولات التى تحاول لحل هذه المسائل ؟ ولو لم تحاول الرابطة حل هذه الأمور فالشعب المسلم لن يتعلق بها ، ومن حسن الحظ نجد حل هذه المشاكل في تنفيذ القانون الإسلامى، و إنى وصلت إلى حل لهذا بعد مطالعة عميقة فى القانون الإسلامى ، فلو قمنا لنعمل حسب نظام هذا القانون لوجدنا تحفظا كاملا لحقوق معيشة كل فرد ، ولكن هل يمكن تنفيذ الشريعة الإسلامية في هذه المملكة ؟ هذا لا يمكن إلاعندما نقيم مملكة إسلامية حرة . هلاّ تري يا سيد جناح أن الوقت قد حان لنطلب مثل هذه المطالب ؟ »

نرى هذه الأفكار لفيلسوف المسلمين العلامة إقبال فى سنة ١٩٣٠ وكان المسلمون قد انضووا تحت لواء المؤتمر الهندى بزعامة غاندى ، حتى جاءت حكومة المؤتمر فى سنة ١٩٣٧ وطلب المسلمون تمثيلهم فى المقاطعات الإسلامية بالنسبة لعددهم أي تكون لهم الأغلبية فيها ، إلا أن غاندى رفض طلبهم وأعلن بنديت نهرو من كلكتا أنه لا توجد فى الهند إلا جماعتان ، الحكومة والمؤتمر الهندى، فردّ عليه جناح «أن هناك جماعة ثالثة هى الرابطة الإسلامية » وبعد نشر بيان نهرو كتب العلامة إقبال إلى القائد الأعظم فى ١١ يونيه سنة ١٩٣٨ .

«لقد أنكر رئيس المؤتمر الهندى وجود المسلمين السياسى إنكارا باتا،

ونظراً إلى هذه الحالات لا يوجد طريق لقيام الأمن والسلام فى هذه البلاد إلاّ بتقسيم الهند حسب الأصول الدينية والثقافية ، وإني أذكر جيدا أنى عندما رجعت من انجلترا قال لى لورد لوتهين وصرح بقوله : يا إقبال مشروعك علاج وحيد لآلام الهند » .

ويكتب فى خطاب آخر عن الاتحاد والوفاق « فى رأيي أن اتحاد الهند الذى قدم فى الدستور الجديد ما يجعلنى يائسا ، ولا يمكن أن نعيش سالمين آمنين فى الهند إلا بتوحيد المقاطعات الإسلامية فى وحدة واحدة ، ولا يمكن أن نحافظ على حقوق المسلمين وندفع عنهم سيطرة الهنادك إلا بتقسيم الهند : »

لم يطلب المسلمون إقامة الباكستان إلا بعد أن فشلوا فى الحصول على بعض التحفظات التى تحفظ حقوقهم ، ولما انقطعت آمالهم وأيقنوا أنهم لن يستطيعوا المحافظة على حقوقهم وثقافتهم الإسلامية ووجودهم فى الهند المتحدة صمموا على أن يعيشوا مسلمين محافظين على حقوقهم معلين كلمة الله ، يعيشون كأمة حية ودين قوى ، يعيشون أحرارا مستقلين فأعلنوا فكرة تقسيم الهند إلى قسمين: أحدهما يضم المقاطعات الإسلامية وهى : البنجاب وكشمير والسند ومقاطعة الشمال الغربى والبنغال وبلوخستان .

وفى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٠ أقامت الرابطة الإسلامية اجتماعها السنوى التاريخى فى مدينة لاهور وقدم هذا الاقتراح :

« الرابطة الإسلامية تعلن أن مشروع الاتحاد الذى بين فى دستور الهند سنة ١٩٣٥ غير ملائم، ومسلمو الهند لن يقبلوا هذا المشروع، وتعلن الرابطة الإسلامية أن أىّ دستور يقوم فى الهند لا يقبله المسلمون إلا إذا رُتّب حسب الأصول الأساسية .

أن تقسّم الهند جغرافيا بحيث يكون المسلمون الأكثرية فتقسم بطريقة يكونون متحدين ليحافظوا على ثقافتهم ودينهم وحضارتهم واقتصادهم وسياستهم » .

وقد وضعت الرابطة الإسلامية مشروعا لدستور حسب الأصول الأساسية تستطيع معه المقاطعات الإسلامية القيام بالدفاع والمعاملات الخارجية والمواصلات والضرائب ، ولما قدمت هذه الاقتراحات قامت القيامة الصغرى فى كل الهند وبدأت الصحف الهندوكية تكتب ضد المشروع ، وكان الهنادك يعتقدون أنهم سيحكمون الهند كلها وينتقمون من المسلمين إنتقام ألف سنة ، ولكن لما رأوا أن هذا المشروع يحطم آمالهم ثارت ثائرتهم وعارضوه معارضة شديدة ، لأن فكرة الباكستان تقضى على وحدة الهند ، كما أن المناطق الإسلامية غنية بالغلة والمعادن ، كما أنها ستتاخم الدول الإسلامية كإيران وأفغانستان وبلاد العرب .

ثار زعماء الهنادك وبدأوا يطالبون الرابطة الإسلامية بتوضيح الباكستان وحدودها وتعريفها، فأجاب السيد جناح « سنجيب عن كل شىء ولكن بعد الاعتراف بهذا المشروع وقبوله والتسليم أولا بتقسيم

الهند و إقامة الباكستان ، ثم نتكلم بالتفصيل والشرح لأن التفصيل قبل هـذا لايفيد، لأننا لو قدمنا الآن الشرح على الاعتراف والتسليم تتفتح أبواب جديدة وخلافات ، اقبلوا أصول التقسيم وتعالوا نجلس سويا نتفق على التفصيلات » ويجيب القائد الأعظم على الاعتراضات الموجهة ضد المشروع من الإنجليز فيقول « فصلت إيرلندا عن انجلترا وعقد التقسيم يشتمل على عشرة سطور فقط ، وكان تقسيم انجلترا من المسائل العويصة جدا سبّب لبريطانيا وساستها قلقا مستمرا طوال قرون متوالية ، اتفقوا على مبدأ التقسيم وتركوا التفصيل للمستقبل، و إنى أقول صدقا إن المستقبل أحسن وسيط . وغير هذا فإنى شرحت الباكستان وبينت الهيئة التركيبية لها ووضحت أجزاءها وعناصرها فى أكثر من عشرة سطور ، والأجدى الآن هو التسليم بالأصول ثم يمكن الاتفاق على التفصيل » .

بعد أن قدمت الرابطة الإسلامية مشروعها سنة ١٩٤٠ من لاهور بدأ المفكرون الآخرون يقدمون مشروعات واقتراحات جديدة للمحافظة على حقوق المسلمين ، ولـكنها باءت بالفشل واتفق المسلمون على مشروع الباكستان الذى تبنيه الرابطة الإسلامية .

كان على الهندوس أن يقيموا العقبات ضد هذا المشروع وأن يحرضوا الجماعات الأخرى ضده فقام السيخ مطالبين بإقامة سكهستان أى طلبوا إقامة دولة مستقلة لهم فى جزء من البنجاب لهم فيه أكثرية ، وكان الغرض واضحاً من هذا الطلب وهو إفساد مسألة الباكستان ، وكان

المؤتمر الهندي يشجعهم على المطالبة بهذا المشروع حتى يختلف مسلمو البنجاب وينشروا الدعاية ضد باكستان ويطالبوا إجراء استفتاء فى هذا الأمر فى المقاطعات التى تقطنها أكثرية مسلمة ، وأعلن السكرتير العام للحزب الاشتراكى فى الهند وهو مسترجوشى وقال صراحة « إن أكثر المقاطعات الإسلامية متصل بعضها ببعض وتوجد فيها أكثرية مسلمة ساحقة ، فالمسلمون فى السند ٧١ ٪ وفى بلوخستان ٨٧،٥ ٪ وفى الحدود الشمالية ٩٢ ٪ ولا معنى للاستفتاء فى هذه المقاطعات فهى إسلامية ويجب أن تعطي للمسلمين ، وتستطيع الأقليات أن تحافظ على حقوقها والرابطة الإسلامية وعدت بها ، والمسلمون لهم حق فى المطالبة باستقلال هذه المقاطعات » .

وفى مقدمة كتاب الباكستان والهند الإسلامية Pakistan & muslim India شرح القائد الأعظم فكرة الباكستان فقال « توجد اختلافات بين قومين فى الهند بين الهنادك والمسلمين وهذه الاختلافات أكثر ألف مرة من الاختلافات التى توجد فى أقوام أوروبا ، ولا شك فى أنه لا يوجد اختلاف فى النسل والدين واللسان والثقافة فى الدنيا كما يوجد فى الهند ، ومن حسن الحظ أن المسلمين فى مناطق منفصلة فى الشمال الغربى والشمال الشرقى عددهم ٧٠ مليونا يريدون فصلها وإقامة مملكة حرة يعيشون فيها أحرارا مستقلين ويصير الهنادك مستقلين فى الهندوستان ، ولكن الهنادك يتآمرون دائما ويقدمون مشاريع مختلفة ليسيطروا على

كل الهند و يستعبدوا المسلمين ، ومعنى هذا أن يخرج المسلمون أغلال الإنجليزية من أعناقهم ليلبسوا أغلال عبودية الهنادك » .

وتحدثنا السيدة أمينة السعيد المصرية فيما كتبته عن مشاهداتها فى الهند عندما اجتمعت بالقائد الأعظم وسألته عن رأيه فى مشكلة الهند الخطيرة قال:

« إن الخلاف بيننا و بين الهندوس جوهرى فالتفاهم والصداقة إذاً من المستحيلات ، فهم شعب ونحن شعب ور بط الإثنين لا يمكن بحال من الأحوال : نحن من الجنس الآرى وهم درافدا . . . ونحن من أهل الكتاب وهم وثنيون يعبدون البقرة و يقدسون الحيوانات ، وسنظل إلى آخر الدهر نذبح هذا المعبود ونأكله وسيظلون هم إلى آخر الدهر أيضا يقدسونه و يعبدونه . هم يتكلمون الهندوستانية[1] ولا يريدون عنها بديلا . أبطال تاريخنا أعداؤهم لأنهم دحروهم وهزموهم وأبطال تاريخهم أعداؤنا لأنهم دحرونا وهزمونا ، ويوم يحتفل أحد الفريقين بذكرى أبطاله يبكى الآخر حزنا وحسرة ولا يمكن أن تزول الخلافات بيننا و بينهم ، ولن نثق فى وعودهم فقد حاولنا وأبنا بالخيبة أكثر من مرة ، وحكومة المؤتمر دليل على صدق قولى وفظائعها معنا شهيد على ذلك ، فلن نقبل بعد الآن أن يحكمنا الهندوس وهم كثرة ونحن قلة فبمثل ذلك فناؤنا النهائى ، وفرصتنا الوحيدة باكستان وسنريق دماءنا إلى آخر قطرة فى سبيل تحقيقها ، فالمناطق الإسلامية يجب أن يحكمها مسلمون والمناطق الهندوسية يحكمها هندوس

(١) لعل المقصود هو الهندية القديمة لأن الهندوستانية هى اللغة الأردية .

وستبقى أقلياتنا عندهم وأقلياتهم عندنا، فيحفظ التوازن و يطمئن الطرفان إلى العدالة والمساواة » .

لقد وجدت فكرة الباكستان تأييدا ومعارضة شأنها شأن كل فكرة لها معارضون ومؤيدون ، فمن المؤيدين لفكرة الباكستان الدكتور أمبيدكر زعيم المنبوذين وهو رجل قانونى دستورى ، أيد فكرة الباكستان فى كتاب له وذكر أنها مطلب من مطالب المسلمين الحقة وعلى الهنادك أن يقبلوا هذا المشروع العتيد، وجاء ببراهين عديدة أثبت بها أن مطالب المسلمين حقة ، ويقول إن الهنادك يخسرون كثيراً إن لم يقبلوا هذا المشروع .

ومن أكبر أعداء الباكستان مستر غاندى ، لأنه كان يعتقد أنها حجر عثرة فى سبيل الحرية والاستقلال، ومع معارضته اضطر إلى أن يقول : « إن المسلمين جميعاً لو اتفقوا على أخذ الباكستان فلن توجد قوة تمنعهم عن أخذها » وهو يكتب فى صحيفته فى ٥ مايو سنة ١٩٤٠ « لو اتفق مسلمو الهند على أن ينفذوا هذا المشروع فلن توجد على هذه الأرض قوة تحول بينهم و بينه ومع كل المخالفات الشديدة إنهم سينجحون » .

وكان من الطبيعى أن تقوم الحكومة البريطانية معارضة لقيام الباكستان وكانت ترى فى قيامها هدما لمصالحها وتقوية للعالم الإسلامى ، فيمكن لهذه الدولة أن تتقدم فى توحيد الأمم الإسلامية وتتفق معها ومع

روسيا جارتها وكل هذه الاتفاقات مضرة ببريطانيا، ولما عرفت أن المسلمين اتحدوا على هذه المطالبة بدأت تعلن مخالفتها لهذا المشروع : ففى ديسمبر سنة ١٩٤٢ خطب نائب الملك لِنْلِتْجُو فى كلكتا قائلا بوجوب الوحدة الجغرافية فى الهند ، وفى هذا مخالفة لما ينادى به المسلمون، ولما جاء مستر ويفل أعلن إعلان الجندى « إنه لا يمكن تغيير جغرافية مملكة ما» وتكلم هؤلاء بطريقة كأن المسلمين يخضعون أمام حكمهم، ولكن المسلمين الذين زالت عنهم ستر الجهالة وأيقنوا بأحقيتهم فى الحياة واستقلالهم فى الوجود وعدم استعبادهم وخضوعهم لأى فريق، صمدوا كالجبال الراسيات واحتجوا ضد خطبة نائب الملك الذى اضطر أن يعلن فى خطبته بكلكتا سنة ١٩٤٥ « إنه يمكن إقامة حكومتين فى الهند » .

ونشر القائد الأعظم بيانا فى صحيفة Daily Worker بلندن فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٤ « أن الحكام البريطانيين أكبر معارضى الباكستان لأنهم يعرفون أن أنجح طريق للحصول على الاستقلال هو تقسيم الهند ، وهؤلاء يؤيدون الاتحاد لتبقى بريطانيا مسيطرة على الهند دائما، فالبريطانيون قد قادونا منذ قرن بهذه السياسة ، واجتهدوا فى أن يتركوا المسلمين والهندك فى صف واحد » .

استطاع القائد الأعظم أن يفهم العالم أجمع أن قيام الباكستان هو الطريق الوحيد لاستقلال الهند التام .

بدأ اللورد ويفل فى إلقاء كلمات تشير إلى معارضة قيام الباكستان فأجاب القائد الأعظم على هذه الكلمات فى ١٥ يناير سنة ١٩٤٥ بمدينة أحمد آباد بقوله « الباكستان طريق وحيد لعلاج الهند ، وقيام الباكستان لا يضر الهنادك . إن قيام الباكستان ضد بريطانيا لأنها ستفقد الهند ، والهند المتحدة مؤامرة بريطانية ولم يبق الهند متحدة إلا مدافع البريطانيين ، ولن يقبل المسلمون براهين نائب الملك لأن الإنجليز كلما يأتون بذكر الهند المتحدة يريدون أن يضموا المسلمين مع الهنادك ظلما ليبقوا مسيطرين على الجميع ، وإذا كانت إيرلندا منفصلة عن انجلترا رغم وجود صلات قوية ، فبيننا وبين الهنادك أشياء كثيرة جدا تمنعنا من الاتحاد ، فلماذا هم يحاولون أن نتحد وهم أنفسهم منفصلون » . حتى أعلن مستر اتلى رئيس الوزارة البريطانية فى البرلمان فى مارس سنة ١٩٤٦ « لن نسمح للأقلية أن تكون حجرا فى سبيل التقدم السياسى للأكثرية » فأجابه السيد جناح : « لو كان ضروريا أن نطالب بحقوقنا وتخضع الحكومة لقبول هذه المطالب بقوة وبإنذار و بإراقة الدم ، فإن المسلمين سيبينون للبريطانيين غدا من يستطيع أن يريق الدم أكثر » وأظهر أنهم إن لم يقبلوا هذا المشروع فإن المسلمين سيثورون ثورة دموية ؛ وسأل أحد مندوبى الصحف « ماذا تقصد بالثورة ؟ » قال : أقصد بالثورة الثورة .

الإنجليز والباكستان :

قد رأينا قبل قيام الباكستان كثيرا من الإنجليز الذين لم يخشوا الحكومة البريطانية ، أو الذين لم يتأثروا من المؤتمر الهندى ودعايته أيدوا الباكستان ، وقد أيدها كل من قابل القائد الأعظم واستمع لأدلته وبراهينه .

وفى أكتوبر سنة ١٩٤٤ أرسل القائد الأعظم بيانا نشرته صحيفة الديلى وركر « لو كان الشعب البريطانى مخلصا فيجب عليه أن يجبر الحكومة البريطانية على قبول مشروع الباكستان ، لأنه لا يوجد حل آخر لمشكلة الهند إلا هذا المشروع ، ويترتب على هذا تحرير المسلمين والهنادك والأحزاب الأخرى» .

نشر مستر طومس المؤرخ الإنجليزى بعد حرب الحرية سنة ١٨٥٧ كتابا طبع فى سنة ١٨٥٨م وكان قد عاش كموظف كبير فى البنغال مدة ، يقول فى كتابه : « إن مؤسس الثورة الهندية سنة ١٨٥٧ هم مسلمون لا هنادك ، هذا الشعب الإسلامى متكبر ولا يريد أن يخضع أمام أحد ، وذلك من عصور الخليفة الأول . يحاول هذا الشعب دائما أن يقيم حكومة إسلامية ، وما دامت الأحكام القرآنية موجودة فيهم فلا يمكن أن يكونوا رعية لحكومة غير إسلامية » .

يصرح هذا الانجليزى عدو المسلم بأن المسلمين لا يقبلون حكومة

غير إسلامية ولن يثبتوا أوفياء لحكام غير مسلمين ، ولهذه الآراء كان الانجليز يعتقدون أن المسلمين لن يسكتوا حتى يقيموا الباكستان ، وقد أظهر الساسة الانجليز والصحفيون آراءهم ، وبعد أن جالوا خلال الهند أيقنوا أن لا حل لمشكلة الهند إلا الاعتراف بمشروع الباكستان ، ومن هؤلاء الصحفيين بيورلى نيكلس الشهير .

كانت الحكومة البريطانية قد أرسلت وفدا من حزب العمال السياسى ليطالعوا أحوال الهند السياسية ، ونشر مستر وايت أحد أعضاء هذا الوفد فى ٨ فبراير سنة ١٩٤٦ « من العقل أن تحرر الهند فى أقرب فرصة لتستفيد من عواطفها ومساعداتها ، يحاول كل إنجليزى أن تبقى الهند متحدة ، ولكن الحالة الطبيعية تخالف هذا ، لأن تقسيم المقاطعات بطريقة لا تساعد على توحيدها ، ولو طالب المسلمون متحدين إقامة الباكستان فمن المستحيل أن نرفض هذا المشروع » . ونشر مستر هوبكن مارينسن نائب رئيس الوفد البرلمانى يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٤٦ فى صحيفة الأخبار المسائية Evening News :

« لا أرى أى حل للتعطيل السياسى فى الهند إلا قيام الباكستان ، وقد اتفقنا نحن أعضاء الوفد البرلماني على هذا . نجد فى قيام الباكستان الآن براهين قاطعة ودلائل ساطعة وقد أثبتت الانتخابات أن الأكثرية الساحقة الإسلامية تؤيد الباكستان ، وما دامت الأكثرية تطالب فكيف يمكن الرفض » .

الهنادك والباكستان :

بعد تقديم مشروع الباكستان فى سنة ١٩٤٠ فى مدينة لاهور نرى جميع الهنادك معارضين للمشروع ، ويعلنون أن الباكستان لن تقوم إلا على أرواحهم وأجسامهم وعظامهم ، وكانوا يهتفون فى كل مكان أن الهند إذا قسمت فكأن البقرة إلههم قسمت ، وكان زعماء المهاسبا[1] فى مقدمة الهنادك يدعون ضد الباكستان والقائد الأعظم . ومن أهمهم الدكتور ساوركر وبنديت مكرجي ، وكانوا يعلنون : «الهند لنا ونحن مواطنوها ، ومن المسلمين فريق جاء من الخارج والبعض الآخر قد أسلموا منا ، فالذين جاءوا من الخارج يجب أن يخرجوا ، والذين هم منا يجب عليهم أن يعودوا هنادك » . وقال غاندى الذى تزعم الهنادك منذ سنة ١٩١٩ : « إن المسلمين لو اتحدوا على إقامة الباكستان فإن أحداً لن يستطيع أن يمنعهم » ولكنه لما رأى أن الباكستان ستقام فعلا خرج فى الميدان يقود جيش أعداء المسلمين . وحاول كثيراً لهدم هذه الفكرة ، وساعده فى هذه الحركة راج غوبال أشاريه وجغت نراين لال ، ولكن غوبال غلب من براهين مستر جناح وأعلن فى سنة ١٩٤٢ أنه يجب على الهنادك أن يعترفوا بمشروع الباكستان ، فلما اعترف بالحق وهو من أكبر زعماء الهنادك بعد غاندى (وهو الآن الحاكم العام فى الهند بعد ذهاب الحاكم العام الانجليزى ، ومن أمهر القانونيين) فعند ما سمع

(١) جمعية هندوسية متعصبة تنادى بإقامة دولة هندوكية دما ولحما فى الهند .

الهنادك قوله بدأوا يخالفونه ، وساعدهم الزعماء الآخرون ، وكتب ضده جواهر لال نهرو والسردار بتيل ومستر غاندى ومولوى أبوالكلام آزاد .

وفى حفل للمؤتمر الهندى بمدينة الله آباد فى مايو سنة ١٩٤٢ سافر سردار بتيل وغوبال أشاريه من بمباى إلى الله آباد فى قطار واحد ، ولكن حاول بتيل أن لايرى وجهه هذا الزعيم الهندوكى حتى وصلا الى الله آباد ، واجتمع بعض الهنادك فى بمباى فى بعض مجتمعات المؤتمر الهندى ، وكان غوبال أشاريه موجوداً فتعرض بإهانات الهنادك .

تحمل غوبال كل هذا واشترك فى الاجتماع السنوى وألقى كلمة بين براهينه لتسليم مشروع الباكستان ، ولكنه فشل فى تفهيمهم ، واتفق المؤتمر على هذا الاقتراح :

« المؤتمر الهندى يخالف دائما تقسيم الهند ، ولن يقبل تحرير مقاطعة أو مقاطعات مستقلة ، ويعلن حزب المؤتمر الهندى أن تقسيم الهند مضر جداً ، ولن يوافق المؤتمر على أي مشروع يتعلق بالتقسيم » .

وكان من نتيجة ذلك أن استقال غوبال من المؤتمر وقبل غاندى استقالته ، وقال إنه يجب عليه أن يستقيل .

فى سنة ١٩٤٢ قبض على جميع الزعماء الهنادك وأطلق سراح غاندى لمرضه ، وحاول أن يقنع السيدجناح بأن لا يطالب بالباكستان ، واعتقد الهنادك أن غاندى يقدر على تحريف القائد الأعظم ، كما خاف كثير من الزعماء أن يقتنع غاندى ببراهينه ، حتى طلب منه بعضهم عدم

مقابلة جناح ، ولكن تمت المقابلات بينهما ، و بعدها كتب غاندى كتابا إلى جناح يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٤ يقول : « كل ما أفكر فى أمر الشعبين الهندوكى والمسلم أرانى قلقا ، إنى لن أقبل أن يكون المسلمون شعبا غير الشعب الهندى » .

ثم يكتب فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٤ إلى جناح يقول : « إننا سنعمل معاهدة للانفصال ، ولكن الأمور الخارجية والدفاع والداخلية والمواصلات والتجارة وغيرها من الأمور المشتركة ستبقى مشتركة بيننا » فهو فى هذا الخطاب يعترف بمشروع الباكستان ، و يعترف بتحرير المسلمين : وقام زعيم هندوكى وهو بتيل وهو الآن وزير الداخلية ووزير الولايات الهندية فى الهند ، يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٥ فى حفلة العيد الستينى للمؤتمر الهندى يقول : « لاتستطيع الحكومة البريطانية أن تعطى المسلمين باكستان والباكستان أمر كبير ، إنها لاتستطيع أن تعطى بوصة من أرض الهند ، ولكن أرى المسلمين يهتفون دائما باسم باكستان ، ولا يمكنهم أن يحصلوا على الباكستان إلا منا نحن الهنادك ، كأنه يقول : إننا اتفقنا على أن لانعطيكم الباكستان .

وقام بنديت نهرو فى ٨ يناير سنة ١٩٤٦ فى حيدر آباد السند فى مجتمع عام ، ويقطن فى هذه المدينة أكثرية ساحقة المسلمين فقال : « إنى أقول المسلمين إنهم سيخسرون كثيراً لو أقاموا الباكستان ، ولو نجحوا فى إقامة الباكستان فمعنى هذا أنهم يبقون مستعبدين ، لأن

الباكستان ستكون مملكة ضعيفة يسهل احتلالها . وقد علمتنا الحرب العالمية الثانية والأولى أنه لا حق للشعوب الصغيرة ، ولا يمكن المحافظة عليها ، ولذلك تقسيم الهند خطر كبير . وإذا نظرتم إلى الأمور الاقتصادية فإن الباكستان لاتستطيع أن تعيش بنفسها » .

وهذه مغالطة لا شك فيها ، فخوف الهند من التقسيم ظاهر جداً ، إذ أن ولايات الباكستان غنية بالمواد الغذائية ، ولا بد للهند من أن تعتمد عليها ، وصغر الدولة ليس سبباً فى ضعفها ، فهاهى بريطانيا قد حكمت الهند التى هى أكبر بكثير من الجزر البريطانية .

هناك في الهند هندوس من غير البراهمة يربو عددهم على المائة مليون ، وهم أعداء البراهمة ويفكرون فى التحرير والاستقلال بأنفسهم ، من هؤلاء الدكتور أمبيدكر زعيم المنبوذين الذى كتب كتاباً عن الباكستان يؤيد فيه مشروع الرابطة الإسلامية ، لأنه يرى فيه حرية للأحزاب المظلومة . وأعلن أن غاندى أكبر أعداء المنبوذين ، لأنه حارب فكرة الانتخابات المنفصلة. وغير هذا كثير من الزعماء منهم مستر كربلانى المحامى المعروف (بمدراس) الذى ينادى ويخاطب الأحزاب غير البراهمة ويقول : « يجب عليكم أن تتحرروا من براثن هؤلاء البراهمة الذين يريدون أن يضعوا تحت أقدامهم جميع الأحزاب غير البراهمة » .

وبعد أن أيد فى بيانه مشروع القائد الأعظم قال : « إنى أعتقد أن القائد الأعظم هو الزعيم الوحيد الذى يستطيع أن يحل عقدة المشكلة

السياسة الهنـدية ، وعند ما ينجح فى إقامة الباكستان ستكون الباكستان نموذجاً مثالياً للجمهورية الحقة ، عند ذاك سنستفيد كثيراً فى إقامة جمهوريات على مثالها فى الهند ، والذين يهتفون بالهند المتحدة هم فى نظرى أطفال فى السياسة . إنى أؤيد القائد الأعظم فى مطالبته بإقامة الباكستان كل التأييد لأن الباكستان جمهورية عالية مثالية ، وسيأتى اليوم الذى يقول فيه البراهمة لأبنائهم : قلدوا الباكستان فى نظمها وأصول جمهوريتها » .

وفى الهند حزب الاشتراكيين يضم العمال والفلاحين الفقراء الذين يستغلهم الأغنياء من الهنادك ، وهذا الحزب يتقدم تقـدما محسوسا . ويعتقد الهنود أنه سيكون فى المستقبل أقوى من المؤتمر وأنه سيتولى الحكم فى المستقبل القريب .

يشترك فى هذا الحزب المسلمون والهنادك والسيخ وأصحاب الأديان الأخرى . يهتفون بإعطاء الحقوق لأصحابها . وكانوا فى مقدمة من أعلنوا تأييد الباكستان بكل جرأة ، بل بدأوا بالدعاية لقيام الباكستان ؛ مما كان سبباً فى اضطهادهم ومهاجمتهم فى عقر دورهم وإحراق مكاتبهم ، بل وغلق باب المؤتمر دونهم .

نشر مستر (جوشى) السكرتير العام لجماعة الاشتراكيين فى الهند يوم ٣ يوليو سنة ١٩٤٥ أيام مؤتمر (سملا) يقول : « يجب على زعماء المؤتمر الهندى والرابطة الإسلامية أن يحاولوا مرة أخرى ليتفاهموا ،

ويجب على المؤتمر الهنـــدى أن يستعين بالمسلمين ويهدم دكتاتورية نائب الملك ، والاختلاف هو سبب تأخر الهند ، وإنى أرى أن يكون الأعضاء بالمساواة فى الوزارة التى يريد أن يشـكلها نائب الملك .

وقال الدكتور (أشرف) أحد زعماء هذه الجماعة يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٥ : « من الحماقة أن نقول إن مطالبة الباكستان ليست من الشعب الإسلامى ، وهذه المطالبة من السيد جناح فقط ليحارب بها زعماء الهنادك . مقصد الباكستان أن يقيم المسلمون جمهورية حكومية ، وهذه المطالبة تشبه مطالبة مستر غاندى باستقلال الهند، فالمسلمون يحاولون التحرر من سيطرة البريطانيين والهنادك معاً ، وإنى أريد أن أقول لجميع زعماء المؤتمر الهندى أن يقرأوا ويفندوا خطبة مولانا محمد على الذى كان من أكبر الزعماء فى المؤتمر الهندى ، وأكبر عدو للامبراطورية التى ألقاها فى سنة ١٩٢٣ وأعلن فيها: «أنه يجب أن نوحد بلادنا على أسس الدين ».

ولـكن مثل هذه البيانات ضحك منها الهنادك ولم يصغوا إليها . يوجد فى الهند عدد كبير من السنيين والشيعيين اتفقوا جميعاً على المطالبة بقيام الباكستان وساعدوا القائد الأعظم الذى استطاع أن يزيل من بينهم العصبية الممقوتة والاختلافات الـكثيرة التى كانت بينهم أيام حكم الانجليز والوزارات الهندوكية ، وحاول علماء المؤتمر أن يضلوا السنيين ويشيعوا الفرقة بينهم وبين الشيعة ، وقد تأثر بعض الفريقين واجتمع مؤتمر الشيعة وأعلن تأييد مشروع الباكستان وأرسل فى يوم ٢٣ يونية

سنة ١٩٤٥ السيد حبيب ابراهيم رحمت الله (المندوب السامى للباكستان فى انجلترا الآن) وهوأحد زعماء الشيعة ورئيس الغرفة التجارية ببمباى آنئذ هذه البرقية إلى نائب الملك« جميع الشيعةفى الهند متحدون مع المسلمين الآخرين تحت راية الرابطة الإسلامية ، وكلنا نعتمد على زعامة وقيادة القائد الأعظم جناح » كما أعلن ضياء الحسن قاضى القضاة سابقا يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٤٥ بيانا نادى فيه بالاتحاد وجمع الكلمة وضرورة الاشتراك فى الرابطة الإسلامية وأيد كلامه بالأحاديث النبوية .

وقسم آخر من الشيعة هم بهرا جماعة ملا طاهر سيف الدين من أتباع الفاطميين اتفقوا وأعلنوا أنهم مع الرابطة الإسلامية فى المطالبة بالباكستان وأمر زعيمهم بأن ينتخب كل الفاطميين القائد الأعظم وأعضاء الرابطة الإسلامية .

وجماعة أخرى من الشيعة هم جماعة خوجة وهم أتباع سير آغا خان ، الذى أذاع بيانا فى ٦ أغسطس سنة ١٩٤٦ جاء فيه « وحّد البريطانيون الهند وحكموا مائة وخمسين عاما فى الصورة المتحدة ، مع أن اختلافات اللسان و التاريخ والثقافة والدين كثيرة فى الهند ، وتوحيد هذه المناطق وجعلها تحت حكومة مركزية ليست من السياسة العملية » .

وإذا كان مشروع الباكستان قد لاقى تأييداً من الأحزاب السياسية والهيئات الدينية فقد لعب الطلبة دوراً مهما فى تأييد هذا المشروع

وفى مقدمتهم طلبة جامعة عليكره ففى أيام الانتخابات خرج الطلبة وانتشروا فى كل أنحاء الهند ودعوا المسلمين إلى تأييد الباكستان وكان طبيعيا أن يتعرضوا للاضطهاد بجميع صنوفه ، ولم يؤثر ذلك فى عزمهم ولم يوهن قوتهم فألقوا الخطب والمحاضرات ، وذهب سكرتير الرابطة الإسلامية لياقت على خان يوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ إلى جامعة عليكره وألقى خطبة قال فيها :

«الانتخابات القادمة ستثبت حياة المسلمين أو موتهم ، إنى أطالب طلبة هذه الجامعة والجامعات الأخرى أن يقوموا فى خدمة المسلمين وتحريرهم من العبودية وأن يشتركوا بالجرأة ، لقد كنت والقائد الأعظم نطلب من الطلبة أن لا يضحوا بدروسهم وأن لا يشتغلوا بالسياسة ، ولكنى الآن والحالة قد تغيرت نحن على باب الموت أو الحياة أقول لكم أخرجوا من المدارس والكليات، ولو ضاعت سنة الدراسة ساعدونا فى هذه الانتخابات ، فى مثل هذه الظروف ، قام طلبة أوربا من جامعاتهم وعرضوا أنفسهم للرصاص ولم يفكروا فى أنهم سيحرمون من الشهادات والدبلومات ، بل ضحوا بكل شىء لتحرير بلادهم والدفاع عنها ، وهذا وقت التجربة والامتحان ، وسيأتى الوقت الذى تضطرون فيه إلى بذل التضحية بالنفيس عندكم ».

خرج جميع الطلبة المسلمين من مدارسهم وجامعاتهم بعد نشر هذه

الخطب، ذهبوا إلى مقاطعات البنجاب والحدود الشمالية والسند والبنغال وآسام والأقاليم المتحدة و بهار وتركوا بيوتهم لتحرير بلادهم ، وكان من نتيجة ذلك أن نجحت الرابطة الإسلامية فى هذه الانتخابات نجاحا معدوم النظير .

و إذا كانت حركة قيام الباكستان قد لاقت تعضيداً وتأييداً من الهيئات والأحزاب الهندية فقد أيدتها الدول العربية ملوكا وشعوبا وأمراء ورؤساء الحكومات والهيئات ، ففى ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٥ سأل مندوب روتر الشيخ النشاشيبى عن رأيه فى الباكستان فأجاب : « محمد على جناح أيد مطالب الشام ولبنان قبل الممالك الأخرى ، وقد أرسل برقية إلى حزب العمال ببريطانيا احتج فيه ضد بريطانيا فى إسكان اليهود بفلسطين ، وهو يساعد العرب دائما ، و إنى أؤيد قيام الباكستان وأراه بشرى عظيمة للمسلمين، ونحن العرب جميعاً نؤيد مشروع باكستان لأنه سيفيد العرب و يساعدهم كثيراً » .

وأرسل أنور نشاشيبى عضو بعثة العرب فى لندن يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٤٥ إلى رئيس الرابطة الإسلامية بلندن السيد عباس على «لو شكلت الباكستان تحل قضية فلسطين بنفسها ، وستغير حكومة مائة مليون مسلم تاريخ آسيا كلها، وستكون هذه الحكومة العظيمة الإسلامية أكبر رحمة لجميع الدول العربية ، ولو كانت مثل هذه الحكومة موجودة

الآن ما تورطت فلسطين فى هذه المسائل ، وإنى أهنىء الرابطة الإسلامية ومسلمى الهند على الجهاد فى تشكيل حكومة إسلامية فى الهند ، وأقدم هذه التهانى منى ومن العرب جميعاً محبذين هذه الفكرة » .

وأرسل عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية برقية إلى القاضى محمد عيسى عضو الهيئة التأسيسية للرابطة الإسلامية ورئيس الرابطة بمقاطعة بلوخستان ونشر روتر نص هـذه البرقية يوم ١٥ يناير سنة ١٩٤٦ « نحن نفتخر بسماع صوت مائة مليون من مسلمى الهند من منصة الرابطة الإسلامية، ونحن فرحون لأن الرابطة الإسلامية تؤيد مبادىء الجامعة العربية وتشجع أعمالها وتساعد كثيراً فى قضية فلسطين ، ونحن نفرح بأن الرابطة تضم مائة مليون مسلم تحت راية إسلامية للاستقلال التام » . وأرسل سفير المملكة العربية السعودية الشيخ حافظ وهبه يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٤٦ من لندن إلى صحيفة مورننج نيوز بكلكتا يبغى على مخالفة أبى الكلام آزاد لجناح وانضوائه تحت راية المؤتمر .

وهكذا أيد مشروع الباكستان جميع العرب تجاراً وزعماء وسفراء وقناصل، كما أعلن الملك عبدالله ملك شرق الأردن يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٧ من أنقره فى مؤتمر الصحافة بمناسبة توحيد العالم الإسلامى فى نظام سياسى « سينسلك فى هذا النظام السياسى غير البلاد العربية والتركية إيران وأفغانستان وحكومات أفريقية الشمالية وحكومة الباكستان ، وكل هذه

الممالك الإسلامية كأفراد أسرة واحدة ، و يساعد بعضهم بعضا لتعيش هذه البلاد مستقلة حرة أبد الآبدين » .

و بالاختصار أيد جميع العرب والزعماء والعظماء فكرة قيام الباكستان .

انتخاب المجلس التشريعى المركزى :

أعلن المؤتمر الهندى أنه سيرشح مسلما لكل مقعد إسلامى من المؤتمر الهندى أو الأحزاب الأخري التى تميل إلى المؤتمر ، وكان الناس يعتقدون أنه لن يرشح أحدا أمام القائد الأعظم فى بمباى ، ولكن قام مستر حسين لال جى مرشحا نفسه منافساً للقائد الأعظم وأعلن أنه سينتصر عليه وسيكون الفوز حليفه لأنه من جماعة الشيعة ، وأعلن أن ثلاثين مليونا من الشيعة يساعدونه لأن جناحا ولو أنه من هذه الجماعة إلا أنه لم يدافع عن حقوقها ، فأعلن القائد الأعظم يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٥ « لو أردتم أن أرشح نفسى قمت ولو أردتم أن أبتعد فعلت ، إنى أريد خدمة المسلمين و إنى أستطيع أن أخدمهم داخل المجلس وخارجه » .

وكان يوم الانتخاب ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٥ نال القائد الأعظم ٣٦٠٢ صوتا ونال منافسه ١٢٧ صوتا وبذلك فقد التأمين ، وكان منافسه لال جى قد رشح نفسه فى دائرة أخرى جنوب بمباى وكان مرشح الرابطة الإسلامية أحمد إبراهيم هارون جعفر الذى فاز فى الانتخاب ونال ١٦٩١ صوتا وأخذ لال جى ٨٣ صوتا ، وبذلك فقد التأمين فى هذه الدائرة أيضا .

كان للمسلمين فى المجلس التشريعى ثلاثون مقعداً ورشحت الرابطة لكل منها ، كما رشح المؤتمر وجمعية العلماء وحزب الأحرار ومجلس المسلم فى كل مقعد مرشحين منهم ، ولكن الرابطة نجحت فى كل هذه الدوائر ولم يفز مرشح واحد من هذه الأحزاب حتى المؤتمر الهندى ، فكان فوزا عظيما للرابطة اضطرب له زعماء الهنادك ، فقام سبرو (١) بتشكيل لجنة ليقدم مشروعا جديدا بين المسلمين والهنادك ، وأرسل برقيات إلى نائب الملك ينبه الحكومة إلى عدم التفكير فى تقسيم الهند لأن الهند لا تتحمله ، فأعلن القائد الأعظم فى أبريل سنة ١٩٤٦ إنذارا يخاطب الحكومة «لو تأخرت الحكومة لضغط من الآخرين فيما أعلنت فإنى أريد أن أقول لها ممثلا جميع المسلمين ، بأننى أكون مقصرا لو لم أنبه الحكومة بالنتائج الخطيرة ، وبريطانيا نفسها تكون مسئولة عن كل هذه النتائج الخطيرة » بدأ زعماء الهنادك وعلى رأسهم غاندى يعلنون أن المجلس التشريعى المتحد سيحكم بالأمر ، فأعلن القائد الأعظم إن هذا كيد ومكر ، لأن المسلمين لن يسلموا بالهند المتحدة فكيف يسلمون بالمجلس التشريعى المتحد ، وهم يطالبون بتقسيم الهند ومشروع الباكستان ، فكيف يمكن وجودهم فى مجلس تشريعى فيه أكثرية هندوكية . لن يكون المجلس التشريعى إلا مجلسين ، مجلس للرابطة الإسلامية

---

(١) أحد زعماء الهنادك المعروفين .

ومجلس للمؤتمر الهندى . وأعلن فى بيان آخر أن الأمريكيين وأهل كندا يعيشون معا ، ويمكن جدا أن يعيش المسلمون والهنادك أيضا معاً ، كما يمكن مبادلة السكان حسب رضاهم بعد تشكيل الباكستان .

قام نائب الملك فى كلكتا وأعلن لأول مرة بإقامة حكومة أو حكومتين فى الهند ، وهذه أول مرة يخالف الهند المتحدة ، فنشر القائد الأعظم يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٥ بياناً قال فيه : « إنى أرى أن نائب الملك بدأ يفهم سياسة الهند ، ولذلك قال : إن بريطانيا تريد مخلصة وفية أن يقيم سكان الهند حسب رضاهم حكومة أو حكومتين ، وإنى أرجو من نائب الملك أن يعلن ويوضح بأن تقسيم الهند ليس بمضر بل مفيد ، ويوضح أن التقسيم حل وحيد لمشكلة الهند ؛ كما يجب أن يصرح أن المؤتمر الهندى ليس بأكبر حزب فى الهند فقط ، لأن معنى هذا أن كل الأحزاب أقلية والمسلمون ليسوا بأقلية ؛ بل هم شعب مستقل .

ولما نشر مشروع « سبرو » ظهر منه أنه لا يقبل إقامة حكومتين فى الهند ولا يبالى بحقوق المسلمين ، وأظهر فى هذا المشروع أن المسلمين ليسوا بشعب واحد ، ولأن لغتهم ومدنيتهم ودماءهم تختلف ، فلا نستطيع أن نقول إنهم قوم واحد ، لأننا لو سلمنا بهذا فمعناه أن نسلم بوجود أحزاب أخرى أيضا .

وقام بنديت نهرو يوم ٨ مارس سنة ١٩٤٦ بمدينة كانبور وأعلن

أن المسلمين لن ينالوا باكستان ولو طالبوا ألف سنة ، ثم قال : « إن تقسيم الهند لايجوز من حيث المصلحة السياسية ولا من حيث التاريخ، وهذا يحول بين رقى الدولة أيضا ، وستقام حروب عدة داخلية لأجل هذا التقسيم ، ويكون نتيجة ذلك بقاء حكومة أجنبية فى الهند » .

وأعلن زعيم العمال مستر جوشى مخاطبا المؤتمر الهندى يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٤٦ قال فى بيانه : « إنى بنفسى لا أحبذ التقسيم ، ولكنى أرى أننا لو لم نتفق على أمر ما سنندم غداً كثيراً ، بل إنى أطالب بأن تقبلوا مشروع الباكستان ثم تتعاون هندوستان وباكستان فى تقدم هذه البلاد ، وإنى أرى أن هذا هو الحل الأخير لمشاكل الهند» .

كان نجاح الرابطة الإسلامية فى انتخابات المجلس التشريعى نجاحا عظيما وفوزاً كبيراً ، فقام القائد الأعظم يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٥ فى حفل عام ببمباى وخاطب المسلمين قائلا : « إنى أهنئ المسلمين في الهند على نجاحهم الباهر ، فقد نالوا ١٠٠ ٪ من المقاعد الإسلامية وخسر المنافسون مبالغ التأمين . وإنى أرجو أن لايحاول أعضاؤنا بعد اليوم فى تفريق جماعتنا ، وتشتيت وحدتنا ، وهذا النجاح أمر فصل لمطالبة الباكستان ، كما يثبت أن الرابطة حزب وحيد يمثل مسلمى الهند ، والمؤتمر الهندى يمثل البراهمة من الهنادك ، ولا يمثل المسلمين والهنادك جميعاً . أما الأحزاب الأخرى فلا وجود لها الآن ، ولذلك فقد أمرت الأمناء لشعب الرابطة الإسلامية فى كل مقاطعة بأن يقوموا يوم ١١ يناير

سنة ١٩٤٦ يوم الجمعة بإقامة الحفلات و إظهار الفرح ، لنثبت أننا قمنا بجهاد إسلامى ونجحنا نجاحا كاملا ، ونبشر كل المسلمين فى الهند بهذه البشرى » .

وأرسل يوم ١٠ يناير (رسالة الفتح) إلى جميع المقاطعات : « إننى أهنئ المسلمين جميعا بهذا اليوم يوم الفتح ، أنه لايمكن لأحد أن يقدم مثالا فى تاريخ العالم كنجاحنا ، إن حزباً معارضا نجح مائة فى المائة أمام المنافسين الأشداء . إنى لفرح بأن مسلمي الهند قد اجتمعوا تحت رعاية الرابطة ، وصمموا على نيل الباكستان . لقد اتحد المسلمون على أمر ، وهو أنهم اتفقوا على أن يضحوا بكل مايملكون لأجل هذا الغرض ، ونحن لانخاف المؤتمر ولا الحكومة البريطانية ، وهذه الأحزاب لن تحول بيننا و بين وصولنا إلى المقصد ، ونحن سنقاوم المخالفين بكل ثمن » .

كما قال أيضا فى هذا اليوم أمام خمسين ألف شاب فى دهلى : « لن ترون مثالا لهذا النجاح » .

كان يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٦ يوما وحيداً فى تاريخ الهند ، أقام المسلمون فى كل مدينة وفى كل قرية مظاهرات الفرح ، وكانوا يبدون كرجل واحد وقلب واحد وروح واحد ، داسوا على الذهب حين بدر أمامهم ، وقاوموا كل شىء ، لم يخافوا باطلا ، ولم يرهبوا شيئا فى سبيل إعلان الحق . ولقد أثبتت الانتخابات أنهم لايغترون بعلماء السوء ، ولا الزعماء المزعومين ، فكان الهتاف فى كل مكان « تحيا الباكستان »

وكان هذا عيداً وطنياً فى تاريخ مسلمي الهند .

جاء بعد هذه الانتخابات وقت إجراء انتخابات المجالس التشريعية فى المقاطعات ، فقام المؤتمر الهندى بتخويف المسلمين وقتل بعضهم ، وفضّت اجتماعاتهم وقام حسين أحمد شيخ الهند وأبو الكلام آزاد و بنديت نهرو و بتيل بجولاتهم من مكان إلى مكان ؛ للدعاية ضد الرابطة ، كما استعملوا الأحزاب الأخرى المأجورة ، وكانت هذه الانتخابات دليلا لنيل الباكستان . قاوم الهنادك المسلمين والرابطة الإسلامية على أساس الهند المتحدة . وأعلنت أخيرا نتائج الانتخابات فأسفرت عن نجاح المسلمين فى هذه المقاطعات ، فمثلا فى مقاطعة آسام ، كان للمسلمين ٣٤ مقعداً نالت الرابطة ٣١ منها .

وفى السند ٣٤ مقعداً للمسلمين نالت الرابطة ٢٩ منها .

وفى البنجاب ٨٦ » » » » ٧٩ »

فنجح المسلمون بنسبة ٩٥ ٪

وفى البنغال ١١٩ مقعداً للمسلمين نالت الرابطة ١١٢ منها .

وهكذا نجحت الرابطة فى المقاطعات نجاحا باهراً ، وأثبتت أن مسلمى الهند لايطلبون غير الباكستان؛ وفى المقاطعات التى فيها أكثرية هندوكية ، وكانت تحت سيطرة الوزارة الهندوكية ، نجحت الرابطة فيها أيضا :

فى الأقاليم المتحدة ٦٦ مقعدا للمسلمين للرابطة ٥٤ منها .

وفى بهـــار ٤٠ مقعداً للمسلمين للرابطة ٣٦ منها .

وفى مدراس ٢٩ مقعداً للمسلمين للرابطة جميعها .

وفى أوريسا نالت الرابطة جميع المقاعد .

وفى بمباى « « « « وكان عددها ٣٠ مقعداً ، رغم مابذله المؤتمر الهندى من أموال طائلة .

بعثة كربس :

فى ٢٥ مارس سنة ١٩٤٦ أرسلت بريطانيا سير كربس واللورد لورنس وزير الهند ومستر الكسندر : ليساعدوا الهند فى نيل الحرية ؛ كما بيّن مستر أتلى رئيس الوزراء . وصلت البعثة إلى دهلى ودُعى زعماء الأحزاب للتفاهم ، وبقيت مدة طويلة فى دهلى ، ثم أقامت البعثة مؤتمرا ثلاثة أحزاب فى سملا، وكان مكونا من مندوبى الوفد والرابطة الإسلامية والمؤتمر الهندى ، واستمر المؤتمر أياما ولم ينجح لأن مستر أتلى كان قد أذاع فى هذه الأيام بياناً قال فيه :

« إننا لانترك الأقلية تحول بين تقدم الأكثرية » فأيقن المؤتمر الهندى أنه يستطيع أن يترك الرابطة ويتقدم، حتى نشر مستر بتيل فى خطبته أن رئيس الوزراء البريطانى يقصد بالأقلية الرابطة الإسلامية ، ويقصد بالأكثرية المؤتمر الهندى .

أما القائد الأعظم فكان أكثر احتياطا فى تلك الأيام فلم ينشر

بيانات ، ولـكن المؤتمر الهندى بدأ يفخر بكلام أتلى ويعلن معارضة الباكستان والرابطة الإسلامية ، وكان يحاول أن يأخذ زمام الهند فى يده . واضطر جناح أن يقابل يوم ١١ مايو جواهر لال نهرو فى منزله ليتفاهم معه ، ولـكن بلا نتيجة ، وكان يظهر أن زعماء المؤتمر الهندى لا يريدون أى تفاهم ، كأن هذه البعثة بشرى لهم ، حتى أعلنت الحـكومة رسمياً بفشل مؤتمر سملا يوم ١٢ مايو سنة ١٩٤٦ ، وقالت إن مؤتمر الأحزاب الثلاثة قد انتهى ولـكن العمل لم ينته ، وستحاول حكومة الملك المعظم أن يستمر فى العمل . وأعلنت البعثة يوم ١٦ مايو سنة ١٩٤٦ بيانا أظهرت فيه أنها حاولت كثيرا التوفيق بين الحزبين الـكبيرين فى الهند إما أن يتحدا وإما أن يقسما الهند ، ولـكنها لم تصل إلى نتيجة ما . وقام جناح يوم ٥ يونية سنة ١٩٤٦ فى مجتمع عام بدهلى ، وخطب قائلا بعد أن بين حوادث فلسطين وأفريقيا الجنوبية وأندونيسيا : « لن يقنع مسلمو الهند بأقل من نيل الباكستان ، وإنى أريد أن أوضح أن هذا الوفد جاء لإرضاء المؤتمر الهندي . وفرح الهنادك كثيرا من هذا الوفد ، ولـكنهم عرفوا أخيرا أن هذه حبوب السم محلاة بالسكر ، وإنى أقول بقوة إننا لن نسكت حتى نقيم الباكستان ، (تصـفيق حاد) بريطانيا تريد أن ترضى المؤتمر وتحول بيننا وبين حريتنا ، ولـكننا لن نهتم بكل هذا ، وإنى أريد أن أوضح من فوق هذه المنصة أن بريطانيا لن تستفيد من هذا التعويق ولا الهنادك ، لو أراد الهنادك الحرية وهم

يريدون من قلوبهم ؛ فليس أمامهم طريق غير الباكستان ، فأنتم أيها الهنادك والبريطانيون سواء قبلتم هذا المشروع أو لم تقبلوه ، فإننا سنحصله وإننا لن نسكت ، وسنحارب كل وسيلة تستعمل ضدنا » .

تشكيل حكومة مؤقتة :

أرسل رئيس المؤتمر الهندى فى ١٤ يونية سنة ١٩٤٦ خطابا إلى نائب الملك . بأن المؤتمر يقبل مشروع البعثة ويقبل الاشتراك فى المجلس التشريعى المركزى، ولكنه لا يقبل الاشتراك فى تشكيل الوزارة المؤقتة ، لأنه لا يسلم بالمساواة بين الهنادك والمسلمين ؛ وطلب من نائب الملك أن يترك كل الاختصاص للمجلس التشريعى المركزى ، ولكن نائب الملك لورد ويفل رفض هذه الشروط يوم ١٦ يونيه فى بيانه وأرسل الدعوة إلى الرابطة الإسلامية والمؤتمر الهندى، ثم كتب رسائل بأسماء زعماء المؤتمر من الرابطة يدعوهم إلى تشكيل الوزارة فقبلت الرابطة الدعوة وأظهرت أنها ستشترك معتمدة على نائب الملك، ولكن المؤتمر الهندى رفض الاشتراك. وكان على نائب الملك أن يترك الأمر فى يد الرابطة الإسلامية ، ولكنه نقض عهده وسحب دعوته وعين بعض موظفى الحكومة وأقام حكومة مؤقتة ؛ فاحتجت الرابطة على هذا العمل .

كان المؤتمر الهندى قد قام بعد قدوم بعثة كربس بدعاية واسعة النطاق فى كل أنحاء الهند ضد مشروع الباكستان والرابطة الإسلامية ،

حتى اضطرت إلى أن تعلن الحرب السلمية ضد المؤتمر ، وعقد المسلمون اجتماعا عظيما فى يوليو سنة ١٩٤٦ تناولوا فيه دعاية المؤتمر ضد الرابطة واتفقوا على عدم الاشتراك فى تشكيل الحكومة المؤقتة وعدم معاونتها فى شىء ، بل يجب محاربتها فى هدوء ، واتفقوا على أن يتنازل أصحاب الألقاب الإنجليزية عن ألقابهم ، فأعلن فورا فى هذا الحفل سير غلام حسين هدايت الله وسير فيروزخان نون وسير سعد الله وسير عزيز الحق تنازلهم عن هذه الألقاب ، وبعد هذا الاجتماع أعلن راجا محمود آباد والنواب سير أحمد سعيد خان وسير جمشيد على وسير ضياء الدين (مدير جامعة عليكره) ونواب ممدوت وكبار الزعماء الآخرين تنازلهم عن ألقابهم ، وشكلت الرابطة لجنة للعمل ضد الحكومة والهنادك الذين سخروا من المسلمين وقالوا إنه من السهل التنازل عن الألقاب .

فى الوقت الذى كان التطاحن فيه بين الرابطة والمؤتمر دعا اللورد ويفل نائب الملك البنديت جواهر لال نهرو لتشكيل الحكومة المؤقتة وترك الرابطة الإسلامية ، فقبل نهرو هذه الدعوة فورا ووافقت هيئة المؤتمر التأسيسية على تشكيل الحكومة ، وأرسل بنديت نهرو برقية بموافقة المؤتمر وبدأ ينشر بيانات فى الصحف « منها ، أننا لا نجبر أحدا على الاشتراك معنا ولا ننتظر أحدا بل نبدأ عملنا ونتقدم ونقوم بحكومة مؤقتة بنجاح » وفى بمباى قابل نهرو القائد الأعظم ، وقدم جناح شروط الاشتراك ولكن نهرو رفضها قائلا إنى لن أقبل شرطا واحدا منها ، ولو

أردت الاشتراك فبدون شرط، فقال جناح : لن نشترك إلا بالكرامة» خرج نهرو إلى دهلى وذهب إلى قصر نائب الملك ، ورأت الدنيا هذا الثائر العظيم يقسم يمين الطاعة والولاء للملك المعظم ، وأصبح مسئولا أمام نائب الملك حسب قانون الهند سنة ١٩٣٥ لا أمام مجلس التشريع ، وقد رأت الهند بعد حرب الحرية قرنا كاملا أن ثائراً من ثوار الهند قبل وظيفة الحكومة بغير نيل الاختصاصات ، وكان يستطيع نائب الملك أن يرد كل مطالبه .

غضب المسلمون من تشكيل الحكومة المؤقتة لأن الحكومة خانتهم وخدعتهم ولم تهتم بهم بل أهانتهم ، وأرادت أن تقوم بتشكيل حكومة مؤقتة دون اشتراكهم . وكان الهنادك يحتفلون فى كل مكان وأناروا المدن الهندية بهذه المناسبة وأقاموا الأفراح لقيام الحكومة المؤقتة ، فى الوقت الذى رفع فيه المسلمون الأعلام السوداء فى كل مكان محتجين على خيانة الحكومة . واتفقت الرابطة الإسلامية على أن يعقد المسلمون فى يوم ١٦/٨/٤٦ اجتماعات إحتجاجا ضد الحكومة ؛ وكان القائد الأعظم يقصد بذلك إعداد المسلمين على محاربة الحكومة ، ويظهر أن هذه الحرب ليست ضد الهنادك بل هى بين المسلمين والحكومة البريطانية التى خانت العهود واتفقت مع الهنادك على إفناء المسلمين ، واتفقت الرابطة على أن يكون هذا الجهاد هادئا مملوءا بالأمن والسلام حتى لا يصيب المسلمين ضرر .

وفى اليوم المحدد للاحتجاج خرج المسلمون فى كلكتا وهم ٢٦٪ بأعلامهم محتجين ضد الحكومة ، فاصطدم الهناداك بهم وبدأ القتال ، وقتل مئات من الفريقين ولم يترك النساء والشيوخ والأطفال ، وعمت الفوضى المدينة وأصيبت المتاجر ودور الشركات وامتدت الحرائق .

اقترب اليوم الثانى من سبتمبر وكان نهرو فرحا لأنه سيأخذ زمام الحكومة فى يده ، وأمر سكرتير الرابطة الإسلامية لياقت على خان المسلمين جميعاً أن يجعلوا اليوم الأول من سبتمبر يوما أسود و يعلّقوا على أبوابهم وحوانيتهم ودورهم الأعلام السوداء احتجاجا ضد الحكومة التى ستشكل . كانت الحرب الداخلية جارية فى كلكتا ووصلت أنباؤها إلى بمباى وقامت الفتنة وأغلقت المصانع حتى خشى نائب الملك أن تمتد إلى كل أرجاء الهند فلا تنجو منها مدينة ولا قرية ، فأراد أن يتفاهم مع الرابطة و يشركها فى الحكومة الجديدة . وقام نواب حميد الله خان حاكم إمارة بهوبال الإسلامية بدور رسول الاتحاد ، واتفق معه غاندى على كيفية اشتراك الرابطة فى تشكيل الحكومة ، ووقع مستر غاندى على هذا الاتفاق لأن حاكم بهوبال كان يعرف أنه لا يمكن إقامة الأمن فى الهند إلا بالصلح والتفاهم بين الرابطة والمؤتمر ، وكان جناح يحبذ هذه الفكرة و يؤيدها و يقول : « بدلا من أن نتفاهم مع الحكومة يجب أن نتفاهم مع غاندى والمؤتمر » . فلما وقع غاندى على هذا الاتفاق عرف الهنود أن الفتنة قد خمدت وعاد الأمن ، وقابل القائد الأعظم بنديت نهرو

وحاول التفاهم معه ولكنه فشل ، لأن نهرو كان يعتقد أن الحكومة فى يده ، ولما قيل لنهرو أن المستر غاندى قدوقع على الاتفاق قال : إنى لست مسئولا عن هذا التوقيع » وأعلن غاندى فى اليوم الثانى أنه وقع على هذا الاتفاق دون أن يقرأه جيداً وبذلك سحب توقيعه ، ولم يشأ المؤتمر أن يتفاهم فى هذا الموضوع وبذلك فشلت محاولات حاكم بهوبال، فقام نائب الملك بنفسه ليتفاهم فى هذا الأمر وقبل مطالب الرابطة المعقولة التى رفضها المؤتمر الهندى ، وطلب من جناح أن يقدم خمسة أعضاء من الرابطة أعضاء فى الحكومة المؤقتة ؛ وأرسل القائد الأعظم هذه الأسماء وأعلنها رسمياً وكان اشتراك الرابطة فى تشكيل الحكومة المؤقتة اشتراكا دون تعاون لأن الرابطة والمؤتمر لم يتفقا على شىء .

ولم يستطع المؤتمر منع الرابطة من الاشتراك مع بذل المحاولات الكثيرة لإبعادها ، حتى قامت الحرب فى دور الحكومة بينهما . وكان أول خلاف ظهر هو عند تقسيم الوزارات، فقد أراد المؤتمر أن تكون فى يده الوزارات المهمة كالمالية والخارجية والداخلية والتجارة ، ولكن الرابطة رفضت وتدخل نائب الملك وأعطاها وزارتى المالية والتجارة . كما ظهر خلاف آخر عندما قدم المؤتمر مسلماً من أعضائه وهو آصف على الذى تزوج من هندوكية وكان أن اختار القائد الأعظم واحدا من المنبوذين من نصيب أعضاء المسلمين وهو مستر مندل ، وقد وقع هذا الاختيار على غاندى كالصاعقة إلا أن المؤتمر لم يكن فى وسعه الاعتراض على هذا

الاختيار ، لأن نائب الملك كان قد أعلن أنه لا حق لحزب أن يعترض على الأسماء التى يقدمها الحزب الآخر .

قلنا إن الفتنة قد قامت فى كلكتا و بمباى وامتدت إلى كل أرجاء الهند ، و بدأت من قرية بينى آباد بمقاطعة بهار ، وقام القتال بين المسلمين والهنادك حتى أن الهنادك قتلوا من كان ينتسب إلى المؤتمر الهندى من المسلمين ، وقد دمرت أكثر القرى والمدن إلا بعض المدن الصغيرة وقد هاجر المسلمون من هذه القرى ، وكان عددهم خمسة ملايين بعد أن احترقت دورهم ونهبت أموالهم وامتدت إلى منطقة نواكهالى فى مقاطعة بنغال ، ثم قامت فى كل مقاطعة بهار ، وكان زعماء المؤتمر الهندى يقودون الحركة وقد أوتى من الأعمال الوحشية ما يخجل منه الجبين ، حتى اضطر بنديت نهرو إلى أن يعلن أن الحكومة ستستعمل المدافع لإخماد هذه الفتن المخزية ، واضطر غاندى إلى أن يعلن أنه سيصوم حتى الموت إن لم تقف هذه الحركات الدامية ، وقد طالبت الرابطة الإسلامية تكوين لجنة للتحقيق ولإعادة البنات اللاتى نهبن وأجبرن على تغيير دينهن ، ولكن حكومة مقاطعة بهار رفضت مطالب الرابطة ، وانتشرت نار الفتنة فى قرية جره مكتشير وأكثرها من الهنادك الذين يحتفلون ببعض الأعياد التى يؤمها وفود كثيرة وتجار مسلمون من دهلى وميرت ، وفى نوفمبر سنة ١٩٤٦ كان عيد من هذه الأعياد وجاء آلاف من المسلمين بأمتعتهم

وأثاثهم وهاجمتهم العصابات الإرهابية وقتلت النساء والأطفال والرجال وتركت الجثث فى الشوارع ، كما لم يعثر على من اختطف من النساء .

أعلنت الحكومة أنه فى يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ سيعقد المجلس التشريعى سواء اشتركت الرابطة أم لم تشترك ، ولكن القائد الأعظم الذى ظل صامتاً ثلاثة شهور محاولا التفاهم والصلح أعلن أنه من المستحسن أن لا تعقد جلسات المجلس التشريعى إلا بعد أن يتم التفاهم ، إذ أن المجلس يحتاج إلى التعاون التام وشىء من هذا غير موجود ولكن لم يؤبه لقوله ولم تؤجل الجلسات ولم يسمع كلامه ، فاضطر إلى رفض الاشتراك وسافر إلى السند ، ولما أيقن نائب الملك أن الدستور الذى يوضع فى غياب الرابطة لا يكون دستوراً ولا يمكن تنفيذه على الجميع اضطر مستر أتلى رئيس وزراء بريطانيا أن يدعو القائد الأعظم ولياقت على خان ونهرو وبتيل و بلديو سنج زعيم السيخ ليستشيرهم فى لندن ، وقد رضى جناح بالسفر ولكن الباقين رفضوا ، ومع إلحاح أتلى سافروا على شرط أن لا تؤجل جلسات المجلس التشريعى ، وسافر زعماء الهند مع نائب الملك اللورد ويفل إلى لندن ، وقد فشلت المباحثة معهم على انفراد أو مجتمعين ، وعاد نهرو و بلديو سنج لحضور جلسات المجلس التشريعى بدهلى ، وعقدت الجلسات بدون اشتراك المسلمين ، وقدم مستر جيكر اقتراحا إلى بنديت نهرو بأن لا يقدم أى اقتراح قبل اشتراك الرابطة الإسلامية ، فغضب بتيل وقال له « منذ متى عينت محامياً للرابطة » .

أخيراً عقدت الهيئة التأسيسية للرابطة جلستها التاريخية فى كراتشى ، وطالبت الحكومة البريطانية بنسخ المجلس التشريعى الهندوكى وبإقامة المجلس التشريعى الإسلامى الآخر ، وقد تم لها ذلك عند ما قامت الباكستان .

حركة الحرية فى البنجاب :

فى أوائل سنة ١٩٤٧ قام المسلمون يحتجون ضد حكومة البنجاب لحلها الرابطة والحرس الوطنى ، كما أن خضر حيات خان رئيس وزراء البنجاب ضغط على المسلمين واضطهدهم وقد قبضت الحكومة عليهم وعلى زعمائهم وهم فيروز خان نون وممتاز دولتانا وافتخار الدين خان ممدوت وشوكت حيات خان ؛ وقام الشعب ضد الحكومة التى أمرت الصحف بأن لا تكتب حرفا فى هذا الشأن ، وازدادت النار اشتعالا وأطلق البوليس الرصاص على الشباب ، وملئت السجون بالمجاهدين ، وخرجت النساء ونظمن جيشاً وقبض على أكثر السيدات المعروفات ، فقبض على حرم شاه نواز وحرم أمير الدين وفاطمة بيغم وسلمى تصدق وحرم بشير أحمد (سفير الباكستان فى تركيا الآن) وحرم غلام حسين هدايت الله (رئيس الوزراء وحاكم السند سابقا) وحرم فيروز خان نون والآنسة زاهدة حياة (شقيقة شوكت حيات خان أحد وزراء البنجاب) والآنسة شاه نواز ، وضربن بالعصى وألقيت عليهن القنابل المسيلة للدموع ، وقد اضطهدن اضطهاداً فظيعاً

واستمر جهاد أهل البنجاب حتى سقطت الحكومة وأعيد الحرس الوطنى وأطلق سراح المقبوض عليهم ، فأقيمت الأفراح فى البنجاب، وكان فتحاً عظيما ونصراً مبيناً للرابطة الإسلامية .

وفى يوم ٢ مارس سنة ١٩٤٧ استقال خضر حيات خان بعد أن أعلن مستر إتلى بأن بريطانيا تريد تحرير الهند ولا تريد البقاء فيها بعد يونيه سنة ١٩٤٨ ولو اتحد المسلمون والهنادك فتسلم إليهم زمام الحكومة .

أعلن خضر حيات خان أن الرابطة الإسلامية هى الحزب الوحيد الذى يستطيع تشكيل الوزارة فى البنجاب ، ولما عرف أن حاكم البنجاب دعا رئيس الرابطة بالمقاطعة افتخار الدين ممدوت لتشكيل وزارة جديدة وأن علم الرابطة سيرفع على دور الوزارة فى البنجاب اضطرب الهنادك ، واتفق الطلبة منهم على أن يضربوا يوم ٤ مارس سنة ١٩٤٧ ليظهروا شعورهم ضد وزارة الرابطة ، ولكن البوليس حال دون هذه المظاهرات الهندوكية واضطر إلى إطلاق الرصاص، واستعد الهنادك لإثارة الفتنة . وقام وزير هندوكى هو لاله ستْشَر بعد استقالة رئيس الوزراء المسلم بقيادة الثورة ، وقام خطيبا فى الجماهير يوغر الصدور ضد الرابطة والمسلمين وكان المتظاهرون يحملون أعلام المؤتمر ، والسيخ يهتفون ضد الباكستان ، وتحرجت الحالة وازدادت تحرجا بعد أن تدخل الشرطة فى الأمر، واضطر الوزراء الذين كانوا فى الوزارة المؤقتة إلى الاستقالة ، وأخذ حاكم البنجاب زمام الأمور فى يده ، ومع أن رئيس الوزراء المستقيل أبدى أنه سيقوم بالأعمال حتى

تشكل وزارة جديدة إلا أن الوزراء الهنادك تعقيدا للأمور رفضوا تحمل المسئولية بعد اتهامهم وكان فى الإمكان إخماد الثورة بتكليف الرابطة الإسلامية بتشكيل الوزارة الجديدة خاصة وأن المسلمين أكثرية ساحقة فى هذه المقاطعة كما أن الرابطة أكبر حزب فيها ولكن الحاكم الإنجليزى لم يوافق على هذا وأخذ زمام الحكم فى يده فانتشرت الفوضى فى كل القرى والمدن ودمرت مدينة إمرتسر كلها وأحرقت مدينة لاهور كما دمرت مدن أخرى وكان لكبار الهنادك اليد الطولى فى هذه الثورة فقد كانوا يمدون الثائرين بالأسلحة لإهلاك المسلمين .

حذت حكومة الحدود الشمالية حذو حكومة البنجاب ، لأن شقيق عبد الغفار خان غاندى الحدود الشمالية كان رئيس وزراء هذه المقاطعة وكان من حزب المؤتمر الهندى ، وكان حزب الرابطة هو أكبر الأحزاب وكان الشقيقان يحاربانه ، وقامت ثورة اشتدت الحكومة فى إخمادها وقبض على الحرس الوطنى وسجن زعيم المسلمين عبد القيوم خان (رئيس وزراء الحدود الشمالية فى الباكستان الآن) وعمت الفوضى حتى استقال رئيس الوزراء ونجحت الرابطة الإسلامية .

كان بعد هذه الثورات المستمرة واضطهاد المسلمين أن يصمم القائد الأعظم على إقامة الباكستان و يعمل على تقسيم الهند . وقد نشر محرر صحيفة « تريبون » بلندن مقالا عن سياسة الهند كتب فيه : « إن

المؤتمر الهندى أخطأ كثيرا فى السياسة ، والآن لابد من تقسيم الهند ، ولابد للمؤتمر أن يتحمل هذا التقسيم » .

رأت الهند كلها أن جميع الساسة الذين كانوا يؤيدون المؤتمر بدأوا يخالفونه ويؤيدون الرابطة ومشروع الباكستان بنشر المقالات فى العواصم الأوروبية والأمريكية ، ويصرحون بأن مشكلة الهند لن تحل إلا بتقسيم الهند ؛ بل وأبدوا النصح للمؤتمر الهندى وزعمائه ، فطلبوا منهم التسليم بمطالب الرابطة ؛ فقام هؤلاء يستفسرون عن نظام الباكستان لو أقيمت ؛ وكيف تعامل الأقليات فيها فطمأنهم القائد الأعظم قائلا : « كيف تكون نظم الباكستان ؟ هذا ما سيتفق عليه مجلس الباكستان التشريعى ، ولكنى أريد أن أظهر أن حكومة الباكستان ستكون مسئولة أمام الشعب ، ولن نميز بين النسل والفرقة والقبيلة . والشعب هو الذى يتفق على كيفية الحكم ووضع البرنامج . أما الأقليات فالباكستان ستحافظ على الأقليات التى تعيش فيها وستعد باكستانية وتحافظ على حقوقها ومطالبها . الباكستان ستنصف هؤلاء كحكومة إسلامية وتنصف الأقليات ولا خطر عليها فى الباكستان ، وسيشتمل الدستور الأساسى على المواد اللازمة لحفظ حقوق الأقليات والمحافظة عليها وعلى عقائدها وستكون مطمئنة فى حكومة الباكستان » .

استدعى نائب الملك إلى لندن وأرسل اللورد مونت بيتن إلى الهند ليستعد فى تسليم الحكومة حتى يونيه سنة ١٩٤٨ وبعد وصوله بدأ

يتفاهم مع الزعماء ، ولما أيقن أنه لايمكن التفاهم بين الرابطة والمؤتمر قام بوضع مشروع باحث فيه مستر أتلى وجميع الوزراء وساسة بريطانيا ؛ ورجع إلى الهند فى ٣٠ يونيه ونشر مشروعه وخلاصته أن حكومة الملك المعظم أعلنت فى ٢٠ فبراير أن الحكومة البريطانية ستسلم زمام الحكومة إلى أهالى الهند فى يونيه سنة ١٩٤٨ وكانت الحكومة ترجو أن تتحد أحزاب الهند وتضع دستورا أساسياً يمثل جميع الأفراد ، ولكن هذه الأمنية لم تتحقق لأن الرابطة لم تشترك فى وضع هذا الدستور ، وتحب حكومة جلالة الملك المعظم أن تنقل اختصاصات الحكومة إلى أهل الهند حسب رضائهم ، وكان هذا سهلا لو اتحدت الأحزاب ، ولما لم يتحدوا فكرت الحكومة لتعرف رأى أهل الهند ، وبعد مشورة مستمرة مع الزعماء قامت الحكومة بوضع مشروع ، وتصرح الحكومة بأنها لاتريد وضع دستور أساسى بنفسها ، لأن هذا عمل أهل الهند وحدهم .

أما ما يتعلق بمقاطعة البنجاب والبنغال فيجتمع أعضاء المجلس التشريعى من هذه المقاطعات غير الأوربيين و يقسمون إلى قسمين : قسم أعضاؤه من المديريات التى فيها الأكثرية مسلمة ، وقسم آخر أعضاؤه من المديريات التى فيها الأكثرية هندوكية ويتفقون إما على تقسيم هاتين المقاطعتين أم لا ، فلو اتفقوا على التقسيم فيقوم نائب الملك بتشكيل لجنة للنظر فى التقسيم مع مراعاة أن المديريات التى فيها أكثرية

مسلمة تكون مع المسلمين والتى أكثرية سكانها هنادك تكون مع الهنادك ، حتى لاتقوم فتنة ، كما ينظر الأعضاء فى مصير مقاطعة آسام فإذا رأوا تقسيمهاتلحق مديرية سلهت بمقاطعة بنغال ، لأن فيها أكثرية مسلمة وتؤخذ آراء سكانها ، فلو أحبوا الالتحاق بالبنغال الإسلامية تشكل لجنة لإلحاق المديريات التى فيها أكثرية مسلمة بالبنغال والمديريات التى فيها أكثرية هندوكية تلحق بآسام .

وهذا المشروع يتعلق بالهند البريطانية دون دويلات الهند .

وحكومة الملك المعظم متفقة على ما طالبت به أحزاب الهند الهامة بنقل الحكومة إلى أهل الهند بسرعة ، ولذلك قررت شهر يونيو سنة ١٩٤٨ لنقل هذه الاختصاصات .

سلم نائب الملك فى هذا المشروع الذى سبق الإشارة إلى بعض أجزائه بتقسيم الهند ، و بعد تقديم هذا المشروع قام زعماء الأحزاب الثلاثة : نهرو وجناح و بلديوسنج ، مخاطبين شعوبهم من الإذاعة ، داعين إلى الهدوء والسكينة والاطمئنان ، طالبين مساعدة نائب الملك حتى ينتقل زمام الحكومة إلى أهل الهند .

وقف القائد الأعظم محمد على جناح هاتفاً : « با كستان زنده باد ، لتحيا الباكستان » وقال : « إنى ما قمت الآن لأشكر المجاهدين الذين جاهدوا لتشكيل الباكستان ، والنساء اللاتى اشتركن فى هذا الجهاد . إنى أثنى على الأعمال الجليلة التى قاموا بها ، و إنى شريك فى الآلام

التى لحقت بهؤلاء المجاهدين والذين استشهدوا والذين نهبت أموالهم . أنا شريك فى حزنهم ، ويجب على المسلمين أن يلتزموا الهدوء ، وأرجو منهم أن يحافظوا على الأمن والقانون ، ولتحيا الباكستان » .

وقام نهرو قائلا :

« كنا نحلم منذ قرون بوحدة الهند ، وهذا ألم شديد بأن تفصل بعض المقاطعات ، ولكننا اتفقنا على هذا وهذا أمر جائز ، نحن أخذنا الحرية فالذين قطعوا منا لو أرادوا الاتحاد مع الهند لهم حقهم فى هذا ، والآن يجب أن لاتبقى الفتنة ، بل يجب الهدوء والسكون ... إنى خاطبتكم منذ تسعة شهور لما أخذت زمام الحكومة فى يدى وقلت لكم : نحن فى سفر ولم ننزل بعد المنزل المقصود ، وقلت إننا ربما نختم هذا السفر قريبا ، وهذا المنزل هو منزل الحرية الكاملة . لقد قضينا تسعة أشهر فى المصائب ، وقد تقدم الهنود وخلقوا لأنفسهم احتراماً ووقارا بين أقوام العالم ، والذين أوذوا فى مناطق الفتن والفساد ، إنى لمتألم لآلامهم وإنى معهم فى حزنهم ، وسنساعدهم بكل ما يمكن ، ونحاول أن لاتعود هذه الفتن مرة أخرى . ويجب أن تعرفوا أن وقار الهند وعظمتها لن تبقى بالقوة الخارجية ، بل بمصادقة أهل الهند ، ونحن اتفقنا على بعض الأمور ونرجو من الشعب أن يوافق عليها معنا ويسلم بأمن وسلام » .

وألقى بلديو سنج زعيم السيخ كلمة قال فيها : « كنا نطالب بالحرية لأنها حقنا من الولادة ، ولقد جاء اليوم الذى نحصلها فيه ، ومن اليوم دخلنا

فى هذه الحرية ، ولو قلنا إننا مسرورون من هذا الإعلان ، فليس هذا ببعيد عن الصدق ، وحريتنا الكاملة الصحيحة كانت بأن نكون متحدين ، ولكن لسوء حظنا لم ننجح وقسمت بيننا ، إنا على يقين من أن تقسيم الهند الذى فرق بيننا يربطنا من حيث السياسة والاقتصاد والجغرافية و . و . ويمكن أن يجمعنا مرة أخرى قريبا » .

طالب المؤتمر بتقسيم مقاطعة البنجاب ومقاطعة البنغال ، كما طالب المسلمون بتقسيم الهند ، وما كان للرابطة الإسلامية أن ترفض طلب المؤتمر .

ولما أعلن تقسيم الهند وتشكيل الباكستان هنأ زعماء المسلمين وملوكهم بإقامة هذه الدولة العظيمة ، وقد شاركهم بعض حكام دويلات هندوكية كرئيس وزراء تراونكور الهندوكى الذى أعلن بيانا قال فيه :

« كنا نتمنى أن تقام الباكستان فأقيمت وقد فشل مستر غاندى فى إقامة الهند المتحدة وظفر القائد الأعظم ظفراً ، عظيما ، ولو أنه خسر شيئا ، ولكنه فى الجملة نجح نجاحا باهرا » .

هكذا أعلن زعماء المسلمين فرحهم بقيام الباكستان ، وكان يعتقد أعداؤها أنها لن تقوم على شىء لقلة مواردها ، ولكن ذهب اعتقادهم هباء .

عام المصائب والمصاعب

كان مولد الباكستان فى اليوم الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ محفوفا بالمصاعب الكثيرة ، ولاقى أهلها من المصائب ما كان كفيلا بالقضاء عليهم وعليها ، وهى فى مهدها ، لولا إيمان قوى وعزيمة صادقة ، وإخلاص نادر المثال ، وعون عظيم من الله العلىّ القدير الذى وعد عباده المؤمنين بالفوز المبين .

لو قامت المصاعب ، ونزلت المصائب ، يوم بزغ وجه الدولة الجديدة لهان الخطب ، ولو بقيت أسبوعا أو شهرا لسهل الأمر ، ولكن انقضى العام الأول كاملا مملوءا بالأحزان والشدائد ، أبلى فيه الباكستانيون بلاء عظيما ، وتحملوا مصائبه ، وواجهوا شدائده بعزيمة ثابتة ، وقلوب آمنة مطمئنة ، حتى زالت الغمة ، وانكشف البلاء .

ولم يكن بدء هذه المصاعب هو يوم مولد الباكستان ، ولكن يرجع عهدها إلى حرب الحرية سنة ١٨٥٧ عند ما اتحد المسلمون وبعض الهنادك على تحرير الهند ، ورأينا كيف سارت بريطانيا في معاملة المسلمين الذين اتحدوا مع الهنادك اتحادا زلزل صرح الاستعمار ، إلا أنه كان اتحادا قصير الأجل ، فتدخلت المبادئ المختلفة بين الهنادك والمسلمين من حيث الديانة والعقيدة والعادات ، وأجبر المسلمون على التفكير فى

كيانهم ومستقبلهم ، كما قامت الجماعات الهندوكية بالتبشير و إجبار المسلمين على الارتداد عن دينهم ، مما أفقد ثقة المسلمين بهم وعدم الاطمئنان إليهم ، وقام القائد الأعظم بتقديم شروطه الأربعة عشر لحفظ حقوق المسلمين .

وعلمنا مما كتبنا من أمر لجنة سايمن البريطانية ومؤتمر المائدة المستديرة ونفاذ قانون الهند وقيام الوزارات الهندوكية واضطهاد المسلمين و إيذائهم مما كان سبباً فى قيام الفتن وانتشار الثورات وخسر فيها المسلمون كثيرا من الأرواح والأموال مما دعا الرابطة الإسلامية إلى المطالبة فى اجتماعها السنوى الذى عقد بلاهور فى مارس سنة ١٩٤٠ بتقسيم الهند و إنشاء باكستان ، وعرفنا مالاقاه هذا الطلب من معارضة حزب المؤتمر وزعمائه ، وما لاقاه المسلمون من فوز ساحق فى انتخابات سنة ١٩٤٦ مما أدهش الإنجليز والهنادك فاضطروا إلى التسليم بالأمر الواقع و بتقسيم الهند ، وحاول الهنادك تضييق مساحة باكستان وحرمانها من بعض أراضيها ، وأعلن نائب الملك لورد مونتباتن فى يونيه سنة ١٩٤٧ مشروعه وقال بوضوح : « إن الباكستان حق المسلمين » . وقامت لجنة برئاسة سير ريد كليف بتعيين حدود البنجاب والبنغال وتقسيمها لوجود أكثرية هندوكية فى شرق المقاطعة الأولى وغرب الثانية . وقد عارض المسلمون فى هذا التقسيم ، لأن أكثرية المقاطعتين مسلمة ؛ ولكن

الرابطة لم يكن فى وسعها رفض هذا التقسيم لأنها هى التى طالبت بتقسيم الهند .

واتفق البرلمان البريطانى يوم ١٨ يوليه سنة ١٩٤٧ على قانون حرية الهند ، وأعلن أن الهند ستقسم وتعطى الحرية الكاملة يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ وستظهر فى التاريخ دولتان عظيمتان مستقلتان .

جاء يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ وكان يوم حرية المسلمين وبدء حياة جديدة فى ظل الاستقلال ، وكان زعماء المسلمين والهنادك قد قسموا الموظفين والأمتعة والأدوات ، كما قسم الموظفون فى الحكومة المركزية إلى قسمين ، فالذين اختاروا الباكستان أرسلوا قبل ١٤ أغسطس بقطارات خاصة من دهلى إلى كراتشى ، وكان المسلمون يستقبلونهم فى جميع المدن التى تمر بها القطارات بالهتاف والترحيب ، وكانوا يتقدمون خطوة خطوة إلى أرض الحرية ، ويبتعدون شيئا فشيئا عن أرض الأعداء . خرج القطار الثامن يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٧ من دهلى فى الساعة العاشرة ليلا ، وخرج من محطة بتندا وفى طريقه وضع الهنادك القنابل فحطمت بعض عرباته ، وتعرض الموظفون للأخطار وحرقت الأمتعة التى كانت ترسل إلى كراتشى ، وقامت الفتنة العظمى بعد ذلك فى البنجاب الشرقية التى يقطنها السيخ والهنادك ويكونون فيها أكثرية ، واستمرت هذه الفتن حتى خرج المسلمون من هذه

المقاطعة وهاجروا إلى الباكستان وتعرضوا للقتل فى المدن والقرى ومحطات السكك الحديدية ، وكانت القطارات تحمل جثث الموتى بدلاً من نقل الأحياء . ولو فصلنا ما وقع من الحوادث لاحتجنا إلى آلاف الصفحات .

هاجر هؤلاء المهاجرون إلى دولتهم الجديدة وهم يعلمون أنهم سيفقدون أموالهم وأملاكهم ، وما أقرب الشبه بين هذه الهجرة وهجرة المسلمين الأولين من مكة إلى المدينة ، ففى الهجرتين عبر ودروس ، وفى الهجرتين أوذى المهاجرون ، وعذب المسلمون ، وحملوا على الارتداد ، ولكن الإيمان القوى والعقيدة الثابتة والصبر على المكروه كلها كانت حصونا لم يقو المشركون على اختراقها والوصول إلى غرضهم من ورائها .

استقبلت الباكستان المهاجرين وقد كانوا ملايين وألوف فى حالة يرثى لها ، فشدة الجوع وقسوة العطش أضعفت من قواهم ، وكان شهر سبتمبر من سنة ١٩٤٧ من الشهور التى سيذكرها المسلمون دائما فقد وقعت فيه حوادث القتل العام فى دهلى وأخرج منها مئات الألوف يريدون الهجرة إلى الباكستان وقتل أكثرهم فى الطريق ووصل منهم عدد قليل لم يلبث أن شغل بالتفكير فى الأهل والأموال ، وكانت الأخبار السيئة تصل إليهم عما لحق بذويهم الذين بقوا فى الهند من أذى واضطهاد . وكان من نتيجة الهجرة والقتل والإيذاء أن توقفت مرافق الحياة واختل

نظام المواصلات من السكك الحديدية والبرق والبريد ، وبلغ عدد المهاجرين من البنجاب الشرقية حتى يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ أكثر من ٧٥٠ ألف مهاجر ، وبلغ حتى ١٠ مارس سنة ١٩٤٨ خمسة ملايين ونصف مليون مهاجر[١] .

كانت الهجرة عاملا اضطربت له الحكومة الباكستانية المركزية وحكومات المقاطعات ، فحالة المهاجرين سيئة وعددهم بلغ الملايين ، وغدت مشكلتهم من أكبر المشاكل التى شغلت بال أولياء الأمور ، إذ كان لزاما عليهم توفير المساكن لهم ، وإدخال الطمأنينة على نفوسهم ، وتهدئة خواطر الثائرين من إخوانهم ، وإرسال المؤن والغذاء إليهم ، ولقد تعطل دولاب دواوين الحكومة ، وكانت مرتبات الموظفين تصرف لهم دون قيامهم بالأعمال ، وعطلت التجارة ، وسدت طرقها ومنافذها . وكانت هذه المشاكل باعث خوف يتزايد كلما تزايد عدد المهاجرين ، وقد زاد من هذا الخوف تلك الدعاية التى قام ببثها أعداء الباكستان ، فقد أذاعوا أن الهند ستهاجم الباكستان وستقضى عليها وهى فى المهد ، ولكن وعد الله عباده المخلصين أن لهم النصر والفوز ، فلم يمر العام الأول حتى تغلبت الدولة الفتية على هذه المصائب ، وزال الحزن الذى كان يبدو على الوجوه وقويت عزائم الباكستانيين ، وغدوا يفكرون فى مستقبل دولتهم وما يجب عليهم عمله لتقدمها ورقيها ، فقام

---

(١) عدد المهاجرين الآن فى الباكستان يتجاوز ثمانية ملايين .

المهاجرون بزرع الأراضى فى السند والبنجاب ، وكان فضل الله عظيما ، فأمطرت السماء فى السند حتى قال أهل كراتشى : « إننا لم نر مثل هـذا المطر قبل قيام الباكستان » وجاء المحصول وافراً حتى صدر منه جزء كبير إلى الدول الأجنبية . وحين استقرت الأمور واستوردت الباكستان الآلات والمواد ، وباشر الموظفون أعمالهم ، انتظمت سبل المواصلات ، وصلح أمر البرق والبريد ، وعقدت مع الهنـد ودول أخرى كثيرة معاهدات لتنظيم العلاقات البريدية وغيرها .

والتجارة التى كانت قد عطلت سوقها بعد التقسيم نتيجة هجرة الهنادك والسيخ وتعطيل القطارات والبريد عادت فراجت سوقها .

ويمكن القول بأن الباكستان بدأت عامها الثاني مطمئنة قد زال عنها الخوف ، وبدأت تنظم أمورها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ، ولم تقف فى عام المصائب لتحل المشاكل ، بل جاهدت جهادا مباركا فى تعمير بنائها وإحكامه ، لتحتل المـكان اللائق بها فى المعترك الدولى .

دستور الباكستان وأغراضه

فى يوم الاثنين ٧ مارس سنة ١٩٤٩ وقف دولة لياقت على خان رئيس وزراء الباكستان يلقى الكلمة التالية فى المجلس التأسيسى بكراتشى عاصمة الباكستان ، يعالج فيها الأغراض المتوخاة من دستور الباكستان :

سيدى الرئيس :

سأتكلم اليوم عن الأغراض المتوخاة من الدستور ، وسأعرض خلال البحث للقواعد التى يقوم عليها دستورنا الجديد .

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان لله سبحانه وتعالى الملك كله ، ولما شاءت إرادة الله — جلت قدرته — أن يمنح دولة الباكستان السلطة والقوة ، تزاولها بواسطة شعبها فى الحدود التى رسمها لها ، وهى الوديعة المقدسة .

قرر المجلس التأسيسى الذى يمثل شعب الباكستان أن يضع دستورا تسير وفقه الباكستان المستقلة ذات السيادة .

دستورا تمارس الدولة به وظيفتها ، وتتمتع بالسلطات المخولة لها بواسطة نواب منتخبين عن الشعب .

دستورا تمارس الدولة به وظائفها ، مقتفية أثر التعاليم التى توحى

بها الديمقراطية والحرية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعيـة ، كما جاءت فى تعاليم الإسلام .

دستورا يكيف حياة المسلمين أفرادا وجماعات حسب تعاليم ومعتقدات الإسلام السمحاء ، كما وردت فى الـكتاب الـكريم والسُّنة .

دستورا يمنح الأقليات فيها الحرية التامة لمزاولة مهنهم والقيام بأعمالهم و بعباداتهم وفق تعاليم دينهم ، كما سيتركهم يتمتعون بحرية فى النهوض بثقافاتهم .

دستورا يكون من الأراضى الداخلة الآن فى حوزتها ومن التى قد تنضم إليها فى المستقبل اتحادا فدراليا .

دستورا بموجبه تـكون الوحـدات مستقلة فى حدودها وحيزها ضمن السلطات المخولة لها .

دستورا يكفل للجميع الحقوق الأساسية للانسان المتضمنة المساواة فى الحقوق وتـكافؤ الفرص والمساواة أمام القانون والتمتع بالعدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحرية الفـكر والتعبير عن الرأى وحرية العقيدة والإيمـان والعبادة والاجتماع فى حدود القانون والأخلاق العامة .

دستورا يضمن حقوق الأقليات ومصالحهم الحقيقية ، وكذلك حقوق الطبقات المتأخرة .

دستورا يكفل استقلال القضاء . . . دستورا يكفل سلامة أراضى الاتحاد واستقلاله وحقوقه فى امتلاك الأرض والبحر والهواء .

حتى يتسنى لشعب الباكستان النجاح والسؤدد ، وأن ينال مكانه المجيد اللائق به بين أمم الأرض كافة ، ولأن تساهم الباكستان مساهمة تامة فى إقرار السلام العالمى وفى تقدم الإنسانية ورفاهيتها .

سيدى : إن هذه المرحلة التى تجتازها بلادنا اليوم من المراحل الخالدة فى تاريخها ، وهى ثانى خطوة تخطوها فى سبيل المجد والعزة ، بعد أن خطونا بالأمس مرحلة أولى هى تحقيق استقلالنا ، ذلك الاستقلال الذى هيأ لنا فرصة لأن نبنى فيها لنا دولة ، وأن نحقق بها مثلنا العليا التى كنا نصبو إليها . ولا يفوتنى فى هذه الفرصة السعيدة أن أذكر المجلس بأبى الأمة قائدنا الأعظم الذى طالما عبر عن آرائه فى هذا الموضوع فى أكثر من مناسبة ، تلك الآراء التى قابلتها الأمة بما هى جديرة به من إجلال وتعظيم .

والباكستان لم تنشأ إلا لأن مسلمى شبه القارة أرادوا أن يتبعوا فى حياتهم الطريق السوى الذى رسمه لهم الإسلام ، وأن يتعاملوا حسب تعاليمه وتقاليده السمحاء ، وإلا لأنهم أرادوا أن يبينوا للعالم أن الإسلام يستطيع أن يجد الدواء الناجع لتلك الأمراض والعلل التى تتفشى اليوم فى كيانه ، وتسرى فى بنيانه . والعالم يرجع بأسباب ذلك الفساد الذى ينخر فى جسم البشرية إلى أن الناس لا يوازنون بين خطوهم وبين تقدمهم المادى ، الأمر الذى أدى إلى إتاحة الفرصة للغول المخيف الذى خلقه العقل البشرى الرائع ، وصاغه فى شكل مبتكرات علمية ،

لأن يهدد الروابط التى تربط الهيئة الاجتماعية بعضها ببعض ، كما يهدد البيئة المادية التى تحيط بهم ، والتى فيها ينصهرون . أما إذا صمد الإنسان أمام عقيدته الدينية ولم يضعف إيمانه بالله . وإذا لم يهمل الجوانب الروحية فى نفسه وقيمتها النفسية ، فإن نفسه تكون طاهرة منيرة الجنبات ، لا يعتور حياته أى ضيق ، ولا يهدد كيانه أى خطر ، يوجهه إليه هذا المارد العلمي المخيف . وخلاص المدنية من محنها لا يكون إلا بالوازع الطيب والخشية من الله ، فتجند قوى البشرية عندئذ لفعل ما يتفق والمستوى الخلقى الرفيع الذى وصل إليه ورسمه لنا المعلمون الملهمون ، الأنبياء والرسل ، من كل ملة ومن كل دين ، وأننا كباكستانيين لا يعيبنا أننا مسلمون ، لأننا نعتقد بأننا باتباع ديننا القويم وتعاليمه السمحاء ، نستطيع أن نسهم بقسط كبير فى رفاهية هذا العالم ، ولهذا ضمنًا ديباجة مشروع قرارنا إيماننا الصريح ، وعقيدتنا التى لا يعتورها أدنى شك بحصولنا على كل قوة وكل سلطان من رب العالمين . ورأينا هذا وعقيدتنا تلك يتعارضان كلية مع آراء وعقائد (الميكيافليين) الذين لا يرعون حرمة للقيم الخلقية ، ولا يقيمون وزنا للجوانب الروحية ، ولا يسمحون لها أن تسبغ على طريقة حكمهم الشعوب أى لون منها ، ولهذا أيضا خرجنا عن مألوف العادة فذكرنا أنفسنا بأن الدولة ما هى إلا أداة رحمة وأنها ليست آلة تعذيب وضر .

ونحن — شعب الباكستان — نعتقد بإخلاص ويقين ، كما نؤمن

بشجاعة بأن كل قوة وكل سلطان يجب أن تتمشى مع تعاليم الإسلام وألا تحيد عنها قيد شعرة ، فإن القوة الممنوحة لنا ماهى إلا وديعة مقدسة وضعها فى يدنا رب العالمين لنفيد بها بنى الإنسان ، لا لتكون أداة نقمة أو عاملا من عوامل الظلم والأنانية . وهنا يطيب لى أن أشير إلى أن كلامى هذا لا يعد إحياء للنظرية القديمة البالية ، نظرية الحق الإلهى ، الذى كان يدعيه الملوك والحكام ، لأن ما نصصنا عليه فى الديباجة صريح ظاهر من أننا لا نبغى إلا السير حسب تعاليم الإسلام . ونحن نعترف بأن الشعب هو مصدر السلطات ، التى أودعها إياه الله والشعب نفسه هو الذى يقرر فيما بينه الكيفية التى يزاول بها هذه السلطة ، ويمارس بها هذا السلطان . لهذا السبب وضّح مشروع القرار صراحة بأن الدولة لن تزاول سلطتها إلا عن طريق ممثلين للشعب ، ينتخبهم حسبما يشاء ، وكيفما يريد . وهذا هو معنى الديمقراطية ، وهذا هو المقصود منها ، لأن السلطة لا تعرف طريقاً غير طريق الشعب ، فهو صاحبها ، وهو صاحب الحق فى التصرف فيها .

سيدى ! لقد بينت أن الشعب وحده هو صاحب السلطة ، وهذه الحقيقة كافية لأن تستبعد أى خطر من قيام حكومة يديرها رجال الدين ، وإذا أردنا أن نعرف ماهية مثل هذه الحكومة ، ما مبناها وما معناها ، رأينا أن معناها الحرفى ينصب على كونها حكومة الله ، وواضح جداً أن العالم كله ما هو إلا حكومة يديرها الله ، وإلا فهل

يوجد فى أى ركن من أركان المعمورة دليل محسوس ملموس على عدم قدرته جل وعلا وعلى انتفاء كونه مصدر كل صغيرة وكبيرة ! ولكن إذا نظرنا إلى هذا التعبير من ناحيته الفنية وجدنا أنه يقصد بها تلك الحكومة التى يديرها و يتولى السلطة فيها قسس يستمدون سلطتهم هذه من أناس يدَّعون لأنفسهم حقوقا خاصة يفرضها عليهم مركزهم الكهنوتى ، وأرى ألا داعى لأن أؤكد بأن هذه الأفكار غريبة عن الإسلام ، فهو دين لا يعترف بأعمال القساوسة ولا بأية سلطة كهنوتية أخرى ، ولهذا كان عسيراً على مثل تلك الحكومة أن توجد ، وذلك لسبب بسيط ، هو أن الإسلام لا يعرفها . . . فإن قام نفر من الناس يعلن أن نظام حكومة الباكستان هو النظام الذى تفرضه هيئة دينية . فإن هؤلاء الناس واهمون ، يفعلون ذلك إما لقصور فى فهمهم و إدراكهم ، و إما لعكوفهم على لون من ألوان الدعاية الخبيثة .

سيدى ! إنكم تلاحظون أنه عند ما ذكرنا الأغراض المتوخاة من دستورنا أكدنا قيامها على مبادىء الديمقراطية والحرية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية . ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل ذكرنا فى موضع آخر وجوب تمشيها مع التعاليم التى أقرها الاسلام . وهنا أرى من الواجب علىَّ أن أشرح هذا فى شىء من الإيضاح ، لأن هذه العبارات كثيراً ما تستعمل فى غير موضعها . فإذا وجَّهنا نظرنا مثلا إلى الدول الغربية و إلى روسيا السوفيتية لوجدناها تدعى اتباعها للنظم

الديمقراطية ، فى حين أن العالم كله يعرف أن نظاميهما مختلفان وأن حكومتيهما لا تسيران على وتيرة واحدة . لهذا كان علينا أن نلقى شيئاً من النور على هذه الكلمات حتى نفسر المعانى الصحيحة المقصودة منها . فنحن عند ما نتكلم عن الديمقراطية التى يقرها الإسلام نعنى بها الديمقراطية التى تتسرب إلى جميع نواحى حياتنا ، ونشير بها إلى النظم العادلة التى تسوى بها الحكومة فى معاملتها للأفراد . فلا تفرقة هناك بين جنس وجنس ولا بين لون ولون ولا بين طبقة وأخرى . وظلّ الإسلام ينشر ألويته حتى فى أوقات محنته ، و بقيت مجموعته سليمة من كل إجحاف أو تحيز مما كان يفت فى عضد أجزاء أخرى من العالم .. وما يقال عن هذا يصح أن يقال عن تسامحنا . فإن تاريخنا الناصع ، حتى فى الأوقات التى لم يكن لدى المسلمين فيها حكومة منظمة ، وحتى فى العصور الوسطى ، ليسجل مدى الحرية التى كانت تتمتع بها الأقليات فى الدول الإسلامية ، ليس هذا فحسب ، بل كان الإسلام ملاذاً ومأوى لأولئك الخوارج على المسيحية ولأولئك المسلمين الذين كانوا هدفا للاضطهاد والعذاب والتنكيل ، والذين شردوا من ديارهم بعد أن حرقت بيوتهم ، وعوملوا فيها معاملة الحيوان الخسيس . . . كل هؤلاء وجدوا عند المسلمين صدراً رحباً ومعاملة كريمة . . . والتاريخ يذكر بين طياته أنه حينما طرد معارضو السامية اليهود من أكثر من مملكة فى أوربا ، لم يجد هؤلاء وطناً يحطون رحالهم فيه سوى الأمبراطورية

العثمانية . وأقوى دليل على مدى تسامح المسلمين وجود أقليات قوية فى بلادهم تستطيع فى حرية وأمان أن تمارس عبادتها وطقوس دينها وثقافاتها . وهنا فى هذا الجزء من شبه القارة حيث للمسلمين قوة غير محدودة ، يتمتع غير المسلمين بحقوقهم كاملة ، فى حماية وفى طمأنينة .

وهذه مناسبة طيبة أذكر فيها ما لاقته بعض اللغات المحلية فى الهند من ازدهار وانتشار تحت حماية المسلمين ورعايتهم . وأصدقائى البنغاليون يذكرون ولا شك، أن أول تراجم وضعت للمخطوطات الهندوسية التى نقلت من السنسكريتية إلى البنغالية لم تظهر إلا بتشجيع من الحكام المسلمين . وهذا التسامح الذى يتميز به الإسلام هو الذى يتيح للأقليات التى تعيش بين ظهرانيه أن تتمتع بحياتها حسب هواها دون خوف . وبهذا تستطيع تلك الأقليات أن تقوم بدورها ضمن مجموع الأمة فى ترقية تفكيرها وثقافتها ، وفى وضع اللبنات فى بناء مجدها الكامل .

وإذا بحثنا ناحية العدالة الاجتماعية فى الإسلام رأيناه يهتم بها ويوليها عنايته الفائقة . فهو يصور مجتمعاً تسود فيه هذه العدالة بين جميع الطبقات . وهى لا تعنى عنده طلب الإحسان ولا فرض أنظمة جبرية على فريق دون فريق ، بل هى عدالة تقوم على قوانين أساسية ومبادىء تحول بين الإنسان وبين العوز والحاجة . والعدالة الاجتماعية تكفل للمرء تمتعه بكل الحريات ، ولهذا كان معنى الديمقراطية والحرية

والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية فى الإسلام أعمق بكثير من معناها الذى يتردد فى كثير من المناسبات .

وتشير الفقرة الثانية من القرار إلى تكييف حياة المسلمين أفراداً وجماعات حسب تعاليم الإسلام وحسب مقتضياته على ما جاءت فى القرآن الكريم والسنة ، وأعتقد أنا أن اتباع المسلمين لقواعد دينهم أمر لا يغضب أحداً من غير المسلمين .

وأنى لأشير بهذه المناسبة إلى أن الباكستان لن تقف موقف المتفرج المحايد ، مكتفية بأن يزاول المسلمون فيها حرياتهم فى حدود دينهم ، لأنها بذلك تكون قد أنكرت المثل العليا التى صاحبت إنشاء الباكستان . وهى لا تستطيع أن تفعل ذلك ، لأن هذه المثل هى حجر الزاوية فى بناء الدولة التى جاهدنا ما جاهدنا فى سبيل قيامها . والباكستان ستوفر لنفسها كل تلك العوامل والأحوال التى ستؤدى إلى قيام جماعة إسلامية حقة . وهى ستبذل فى هذا السبيل جهوداً إيجابية .

سيدى ! إنكم تذكرون ولا شك تلك التصريحات التى طالما أدلى بها فقيدنا العزيز الخالد الذكر قائدنا الأعظم محمد على جناح ، وتذكرون كذلك أنها كانت تتحد فى معناها ومبناها مع تلك التصريحات الأخرى التى كان يفضى بها زعماء حزب الرابطة الإسلامية التى كانت توضح الأغراض النبيلة التى سعى المسلمون لتحقيقها بتأسيس

دولة الباكستان . هذه الأغراض هى رغبتنا فى اتخاذ طريق للحياة يتناسب وتقاليدنا وتعاليم ديننا وأخلاقنا . وقد طالما رددوا كذلك أن الإسلام فى واقع الأمر ليس مجرد علاقة بين الفرد وخالقه ، ورددوا كذلك أن الإسلام لا يتعارض مع سلامة الأداة الحكومية ، لأن الإسلام ليس مسألة تعالج المعتقدات الخاصة وحسب ، وليس هو قواعد لتنظيم الأخلاق وتبيين الصالح منها والطالح ، بل الإسلام عبارة عن قواعد موضوعة ، يؤدى اتباعها إلى تحلى المرء بالأخلاق الحميدة تجاه المجتمع الذى يعيش فيه ، وتبحث عن الطرق التى تتيح للجماعة أن تعالج بها أمورها اليومية وما قد يعرض لها من مشاكل . والإسلام فى غايته يهيّئ المجتمع لأن يحيا « حياة طيبة » كتلك الحياة التى نادى بها الأغريق ، إنما مع فارق واحد ، هو أن الإسلام يدعم عمده القائمة على القيم الروحية ، الأمر الذي يحدو بالدولة لأن ترشد المسلمين وتوجه نشاطهم نحو نظام اجتماعى جديد ، يقوم بدوره على قواعد الإسلام الأساسية التى تتضمن قواعد الديمقراطية الحقة والحرية والتسامح والعدالة الاجتماعية . وإنى أذكر هذا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، لأن كل ما قلته لا ينطوى على كل قواعد الدين الواردة فى القرآن وفى السنة . وليس هناك مسلم لا يستوحى كلمة الله ولا يستلهم حياة الرسول . وعلى هذا اتفقت كلمة المسلمين أجمعين ، وليس بين معتقداتهم ولا آرائهم خلاف ، كما أنه ليس بينهم طوائف يختص كل

منها بعبادة خاصة أو بنظام مغاير . أقول هذا لأننى لا أحب للأقليات التى تعيش بين ظهرانينا أن تشك فى يوم من الأيام فى نوايا الدولة تجاهها والباكستان معنية بأن تطهر أهليها من أى خلاف قد ينشأ عن اختلاف بين وجهات النظر . وليس معنى هذا أنها ستحد أو ستكبت معتقدات المذاهب الإسلامية المختلفة ، كلا ، فإنها لن تسمح للأغلبية فيها ، وكذلك للأقلية ، بأن تؤثر الواحدة فى الأخرى ، فلكل معتقده ولكل أموره الداخلية ، ولكل أن يستعمل حريته إلى أقصى مايحدده القانون . ونحن بهذا نهتدى بكلام رسول الله صلوات الله عليه الذى يقول فيه إن اختلاف الرأى بين أتباعه وأنصاره نعمة من النعم ، ولهذا نأمل فى أن يكون اختلاف وجهات النظر بيننا مدعاة للقوة ، وقوة للإسلام ، وتأييداً للباكستان ، لا معاول هدم لمصالحنا ، ولا عوامل ضعف لبلدنا ولا لديننا . وطالما أننا لا نبغى من وراء اختلافنا فى الرأى مصلحة ذاتية ، وطالما أننا لا نحيد بها عن القصد القويم الذى نجاهد كلنا لتحقيقه ، من خدمة الإسلام وتحقيق الأهداف التى يرمى إليها ، فإننا نكون قد اكتسبنا من هذا الاختلاف ، ونكون قد جنينا من تضارب الآراء ، ثمرة الدرس والإقناع .

ظاهر من هذا إذن أن هذه الفقرة تهيىء للمسلمين فرصة ، كانوا يبحثون عنها طيلة تلك الأجيال السابقة التى أصيب الاسلام فيها بالمحن والخضوع والخنوع ، يخلقون فيها أنظمة خاصة لتدبير أمورهم ، وبهذا

يرفعون شعلة الإسلام عالية فوق الرؤوس ويبينون للملأ أن الإسلام ليس قوة موفقة ناجحة وحسب ، بل هو علاج أكيد شاف للكثير من العلل والأمراض التى تعانى منها الإنسانية اليوم الشىء الكثير .

ونحن عندما ولينا وجوهنا شطر بناء هيئة اجتماعية مسلمة . لم ننس حقوق غير المسلمين فينا ، لأننا إن فعلنا ذلك ، كنا غير جديرين لأن نكون مسلمين ، ولخالفنا تعاليم ديننا التى تفرض علينا رعاية حقوق الأقلية . وعلى هذا فليس هناك ما يمنع تلك الأقليات من ممارسة عباداتها والعمل على تقدم ثقافتها ، وتاريخ الحضارة الإسلامية ملىء بأمثال هذه الأفعال المجيدة التى قامت بها بعض الأقليات فى هذا الصدد ، فأضافت لبنة إلى بناء ذلك التراث المجيد الزاخر الذى بنوه لأنفسهم وتركوه لنا من بعدهم .

وإننى أؤكد القول لتلك الأقليات بأننا نؤمن بأنه إذا قامت بدورها فى تقدم الفكر وبالتالى إلى تقدم المعارف الإنسانية، فأنها تكون كذلك قد ساهمت فى بناء مجد الباكستان كما تكون قد ساعدت فى خصب حياة الأمة . لهذا كان واجبا على تلك الأقليات أن تنظر إلى أمامها ، وألا تكتفى من هذا بالمرح فى حدود الحريات المكفولة لها ، بل عليها أيضا أن تنظر بعين الاعتبار والتقدير إلى الأغلبية الموجودة ، وأن تكون معها على وفاق وحسن تفاهم ، فعندئذ نكون قد ضممنا حلقتنا إلى سلسلة تاريخ المسلمين العظيم .

سيدى ! إن القرار المعروض أمامكم يصوّر حكومة اتحادية تفرضها العوامل الجغرافية التى تباعد بين طرفى الباكستان ، شرقيه عن غربيه ، فمن المستحيل علينا أن نفكر فى تأليف حكومة واحدة ترعى شئون الشرق وشئون الغرب ، بينهما مسافة طويلة تزيد عن ألف ميل ، وأنى لآمل فى أن يتمكن المجلس التأسيسى من أن يبذل جهوده ويعمل على التقريب فيما بين القسمين . وقد كنت دائما ضد النزعات الأقليمية مناديا بكبتها ، إلا أن من غير المعقول أن نطالب باتحاد مثل هذا . وأنا على يقين من أن كل أجزاء الباكستان ، مهما تعددت ومهما بعدت ، ستقوم بسقطها فى إنعاش حياتنا القومية ، ويجرنى هذا لأن أصرح بأننا لن نسمح لأية عوامل مهما كانت أن تفت فى عضد وحدتنا القومية ، ونحن بإزاء القيام بمجهود مضاعف به نزيد من العلاقة بين سكان تلك الجهات عما هو عليه الحال الآن . ولهذا السبب أيضا كان من الأصلح أن يدرس المجلس التأسيسى هذه الحالة ، ويتخذ فيها قرارات ، يمكن بمقتضاها أن توزع الأمور والمسائل بين الإدارة المركزية وبين مختلف الوحدات بدقة ونظام ، كما يمكن بموجبها أن تتخذ كل وحدة منها وضعها الصحيح فى بناء دولتنا العتيدة .

وإنه لمن المألوف أن تضمن بعض الحقوق الأساسية ولكنى لا أحب أن أتجه هذا الاتجاه ، فنحن لا نريد أن نأخذ بيد ما نعطيه باليد الأخرى . وأرانى قد بالغت فى تكرار رغبتنا فى قيام حكومة حرة

شريفة تمنح أقصى ما يستطاع من حرية للأفراد . وكل الناس سواء أمام القانون . وهذا لا يتعارض مع قانون الأحوال الشخصية الذي ينتمى إليه أى فرد من الأفراد ، إذ هى قوانين مكفولة لهم محمية من جانبنا .

وكثيرا ما ردَّدنا القول من فوق أعواد المنابر أن الباكستان لا تقوم لخدمة مصالح ثابتة أو لخدمة الطبقات الثرية ، بل إن الباكستان — كما عولنا عليه — تهتم ببناء اقتصاد قومى يقوم على دعائم الإسلام الثابتة التى تقضى بتوزيع الثروة توزيعا حسنا ، والتى تقضى بمحو الحاجة وإزالة الحرمان . والباكستان تسعى لأن تقطع دابر الفقر فيها ولأن تستأصل شأفة كل عوامل التأخر والتقاعس بين بنيها ، وهى إن نجحت فى ذلك استطاعت أن تزيل من طريق الإنسان أشق ما يعترض تقدمه وأكبر ما يصده عن النجاح والفلاح . وأمام الباكستان جهود طويلة وصعاب شتى ، تبذلها فى هذا السبيل ، فالفقر منتشر فى وقتنا الحاضر بين جموع الناس ، والأمية فاشية بينهم ، فواجبنا إذن أن نعمل دائبين على رفع مستوى معيشتهم ، وعلى تحريرهم من ربقة الفقر ، وتخليصهم من قيود الجهالة . وكلما استطاع الإنسان أن يمارس حقوقه السياسية بحرية استطاع أن يدلى برأيه وبصوته فى تقرير السياسة التى يريد أن تسير عليها الحكومة ، كما يستطيع أن يكون حراً فى انتخاب من يمثله لتصريف شئون الدولة ، ومن يجعل نصب عينيه خدمة مواطنيه قبل أى شىء آخر . ولأننا نؤمن بحرية الرأى والفكر ،

ولأننا نعتقد بأن الآراء يجب أن يفصح عنها دون قيد أو شرط ، عولنا على ألا نمنع أحدا من التصريح بما يريد أن يعبر عنه من مكنون صدره ، كما عولنا على ألا نقف حجراً عثرة بين أى فرد كان و بين استعماله حقه فى تأليف الجماعات والهيئات ، ما دامت فى حدود القانون ، لا تهدف إلا لأغراض نبيلة مشروعة . و إختصاراً للقول أقول بأننا نبغى أن نقيم نظامنا على الحرية وعلى التقدم وعلى العدالة الاجتماعية ، ونحن نبغى كذلك أن نزيل الفوارق الموجودة بين الطبقات على أن يتم هذا فى هدوء دون أن تتحمل طائفة عبئا جديداً ودون أن نضع أية قيود على الفكر البشرى أو على ميول الناس المتعددة ما دامت مشروعة .

سيدى ! هناك مصالح عدة تتحقق إذا حمينا الأقليات التى تعيش بيننا قانونا . وهذا القرار المعروض أمامكم ينطوى على هذه الحماية . ونحن لن نقصر حمايتنا على فئة دون أخرى ، إذ أننا نهتم كذلك بالطبقات المتأخرة التى أوقعها سوء الطالع فى المحنة التى هى فيها ، والتى لم يكن لها يد فى وجودها و إنه لمن تقرير الواقع أن نعلن بأننا لسنا مسئولين عن حالة هذه الطبقات الحاضرة ولكنهم الآن مواطنون مثلنا ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، فمصلحتنا إذن فى أن نكرس جهدا خاصا لانتشالهم مما هم فيه ، ورفعهم إلى المستوى الذى يعيش فيه بقية المواطنين ، وعندئذ يمكن للدولة أن تفيد منهم ومن مواهبهم ، و يصبحون ساعتئذ مواطنين صالحين أكفاء ، جديرين بأن يتحملوا شيئا من عبء المسئولية التى

تثقل كاهل كافة المواطنين ، التى يوجهونها لفلاح الدولة ولتقدمها فى مختلف الميادين ، تلك المسئولية التى ينهض بها اليوم أناس أتيحت لهم الفرصة وساعدهم الحظ لأن يقوموا بهذه الأعباء دون غيرهم . ونحن على يقين من أنه طالما وجدبين ظهرانينا طوائف متأخرة ، ولو قليلا ، عن مستوى بقية الشعب ، فإن وجودهم هذا كاف لوصم المجتمع بوصمة مخزية . وواجبنا إن أردنا لبلادنا حقا أن تنهض وأن تقوم أن نعنى بمصالح هذه الفئات .

وأخيراً أقول بأننا نعتقد اعتقاداً جازماً بأننا لو أقمنا دستورنا على تلك الأسس التى يتضمنها هذا القرار ، فإننا نستطيع وقتئذ أن نمهد الطريق أمام الباكستان لأن تتقدم ولأن تطرد فى النجاح . وليس ببعيد ذلك اليوم الذى يزهو فيه أهل الباكستان ببلدهم و يعتزون بها ، بعد أن يكونوا قد قضوا القضاء المبرم على فوارق الجنس والطبقات . و إننى لعلى ثقة كذلك بأن المستقبل لنا ، و إن فرص النجاح المهيأة لرجالنا قريبة ميسورة . وأن شعبنا لجدير بهذا ، فهو قد احتل الصدارة بين الأمم ، وحاز إعجاب العالم أجمع للتضحيات الجمة التى بذلها فى سبيل حريته وللنظام التام الذى اتبعه فى تحقيق ما يصبو إليه ، ولقوة الشكيمة والصبر وقوة الاحتمال التى أظهرها ساعة الشدة وساعة الضيق . شعب هذه صفاته ، وهذه ميزاته ، لا يستحق أن يحيا فقط ، بل هو يستحق لأن يكون أمينا على تلك الرسالة المجيدة التى كلفه القدر بأدائها فى

سبيل تقدم البشرية ورفاهية الإنسانية . وإنه لجدير بنا اليوم أن نحتفظ بروح التضحية التى عرفت عنا، وجدير بنا أن نظل متمسكين بأهداب المثل العليا التى جاهدنا طويلا للوصول إليها . علينا أن نقوم بهذا ، وعلينا أن نجاهد لتحقيقه بإخلاص . . . إما وصولنا إلى نقطة الانتهاء ، وإما ارتقاؤنا إلى قمة المجد ؛ وإما كتابة تاريخنا فى سجل الإنسانية كطور من أطوار العزة والسؤدد ، فهذه مسائل ، نتركها للقدر ، يكافىء بها المجدّ المخلص ، ويثيب عنها من كرّس حياته لخدمة الله والصالح العام .

سيدى ! إن شعبنا هـذا شعب توفر له التاريخ بتقاليده الغراء وكتب له المجد صفحات خالدات بمداد من نور . وسجلنا عامر بجلائل الأعمال ، لم نترك ناحية من نواحى الحياة إلا وأرسينا فيها حجراً وأقمنا فيها منارة ، وبطولتنا نادرة زينت بطون الـكتب ، واغتصبت من الجميع الإعجاب والتقدير . ورؤوسنا المفـكرة أضافت إلى التقاليد جديداً راح يصمد ويقاوم عبث الأيام ، حتى فنوننا وشعرنا وهندستنا أضفنا عليها من الجمال والجلال ما جعلها غرة فى جبين الدهر ، لم يطاول عظمتنا الروحية إنسان . شعبٌ هذه حاله ، قدِّر له أن يسطر تاريخه من جديد ، تهيّأ له هـذه الفرص ، ويمهد له هذا الطريق ، شعب هذا ماضيه ، مؤكد نجاحه ، مكفول مستقبله . وإن هذه الأغراض التى يتوخاها قرار الدستور المعروض عليكم ، لتعتبر أول خطوة فى طريق

سيرنا نحو خلق بيئة توقظ روح الأمة . وإن القدر الذى اختارنا لتمثيل هذا الدور فى بعث أمتنا ، مهما كان هذا الدور متواضعا ومهما كان بسيطا ، ليغمرنا بفادح الأعباء التى وضعها فى طريقنا والتى طلب إلينا أن نجاهد لإزالتها ومحوها . فدعونا نتهز هذه الفرص لنعالج أمورنا بالحكمة وبعد النظر ، وعندئذ نستطيع أن نجنى ثمار أعمالنا وجهودنا المتواضعة فى سهولة ويسر ، وفي قدر أكبر بكثير مما كنا ننتظر ونتوقع ، بعون الله ومشيئته التى رضت بقيام الباكستان وآذنت لها بالبدء فى تخطيط معالم تاريخها العظيم .

الدهر بخيل ضنين بهذا الذى سمح به ، فليس يسيراً بسيطاً أن تقوم دولة فى كل يوم وفى كل حين ، وليس يسيراً بسيطا أن يسفر صباحه عن شعب يستيقظ ويتأهب ليخطو خطوته نحو النهضة ، وليس كثيرا ما يفرج القدر عن شعب كان ينغمر فى الخضوع والاستعباد ليخرج إلى النور ليستقبل فجر مستقبل باهر .

بهذه الإشعاعة الضيقة من نور الأمل التى تهبط علينا بشيراً بطلوع يوم كامل نقوم لنحيي مشروعنا هذا . والله المستعان ؟

كلمة معالى محمد ظفر الله خان

وزير خارجية الباكستان

فى تعقيبه على خطاب دولة رئيس الوزراء

وقف معالى محمد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان فى المجلس التأسيسى بكراتشى يوم ١٢ مارس ١٩٤٩ يعقِّب على خطاب دولة رئيس الوزراء الذى قدَّم به مشروع قرار الدستور الجديد فقال :

سيدى :

إن معظم حضرات النواب المحترمين الذين نقدوا مشروع قرار الدستور إما لاحتوائه على نصوص لم ترق فى أعينهم ، وإما لخلوه من نصوص أرادوها أن تكون ، كانوا متأثرين بالخوف ، الخوف من « المجهول » . وهؤلاء الناقدون يظنون أن رغبة أهل الباكستان فى وضع دستورهم على أسس مشتقة من دينهم أمر غريب ومظهر من مظاهر الرجعية ، ولو نصت بإسهاب على حرية نمو الثقافات وتقدمها ولو توخت فى مراميها للوصول إلى المثل العليا التى تختلف وجهة نظرهم فيها عن وجهة نظرنا .

ولقد قيل بأن الدين والسياسة أمران مختلفان منفصلان ، علينا أن نتخذ الحيطة كى لا يطغى أحدهما على الآخر . وقيل كذلك بأن الدين لا يخرج عن نطاق العقيدة ، بينما تعالج السياسة المسائل العقلية ، كأنما قدّر للعقيدة أن تنطوى على أمور تخالف العقل وتستبد به .

سيدى ! ليس هذا ما عناه الإسلام ، وليس هذا ما يقوم عليه الإسلام . ولنقلّب صفحات القرآن الكريم ولنر ما يحويه ، فإنك ما تكاد تقرأ بعض آياته حتى يصادفك ما يطلب إليك عمل التدبير والتفكير ، حتى ترى فيه حضاً على النصيحة ، وطلباً إلى أعمال الروية والإمعان قبل الحكم على الأشياء وقبل قيام العقل بالاستنتاج . وإنى شخصياً ما أحببت الإسلام وما تعلقت به إلا للأسس القويمة التى يقوم عليها ، وإلا لأنه لا يتعارض البتة مع تفكيرى ، وهو على العكس من ذلك يشبع شغفى وفهمى إلى المزيد من المعرفة ، كما يعمل على توسيع مداركى وتنمية مواهبى . والإسلام دين كلما تعمق الإنسان فى دراسته ، وكلما تدبر فى معانيه وفى مراميه ، تبين له مدى الجميل البعيد الذى يخفيه ، وأحس بالتهافت على نهل مورده العذب ، وهذا ما يثير فىَّ الإعجاب . وليس من خصائص القرآن أن يلقى الدرس أو أن ينير الطريق وحسب ، بل هو أداة تهذيب وتدريب ، وعامل من عوامل تربية الفهم وإشباع رغبات الذهن . وقد وضّح القرآن رسالة نبيه ورسوله محمد عليه السلام إلى الناس بأن قال : « يتلو عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ومن هذه الآية الكريمة يتبين أن الرسول الكريم أرسل إلى الناس ليتلو عليهم آيات الكتاب وليفسرها لهم حتى يفسح الطريق أمام عقيدتهم وثقتهم بالخالق أن تقوى . وتبين الآية كذلك أن واجب الرسول تطهير قلوب الناس بتبصيرهم بتعاليم دينهم وبإرشادهم إلى الطريق السوى . وهو يعلمهم الكتاب بأن يفسره لهم ، ثم يعلمهم الحكمة وهى المسألة التى أهيب بحضرات النواب المحترمين أن يعطوها مزيداً من اهتمامهم ورعايتهم . . فإن الحكمة هنا معناها الفلسفة التى تقوم عليها تعاليم الدين وقوانينه . . وهذا أيها السادة ما يمتاز به الإسلام . . . وهذا ما أرسل لأجله النبى صلاة الله عليه وسلامه . . .

سيدى ! إن الفكرة التى تنادى بفصل الدين عن السياسة حتى لا يطغى أحدهما على الآخر ، فكرة خاطئة فاشلة ، مردها إلى أنهم فشلوا فى الوصول إلى المعنى الحقيقى الصادق للدين .

ما هو الدين ؟ وما هى وظيفته ؟ الدين هو طريق الحياة الذى يتيح للمرء أن يصل بواسطته إلى أقصى درجة ممكنة من المواهب الروحية والخلقية والجسمانية والعقلية . ووظيفة الدين أن يبنى ويدعم تلك العلاقة السماوية المتجانسة التى تربط الإنسان بخالقه من جهة ، والتى تربط الإنسان بأخيه الإنسان فى كل ما ينشأ بينهما من مختلف

العلاقات من جهة أخرى . والسياسة ما هى إلا مظهر من مظاهر علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، فإن قام نفر من الناس يحاول أن يدلل على وجود بعض الفوارق بين الدين والسياسة واعتبارهما من ثم أمرين مختلفين ، فإنهم بهذا يبنون على صرح الدين الضخم المتين بناء صغيراً حقيراً لا يتناسب البتة معه . وهؤلاء الناس يظنون أن الدين ما هو فى الواقع إلا علاقة روحية بين العبد والخالق ، تظهر فيما يقوم به هذا العبد من فروض العبادة ومن الاختلاف إلى المساجد ، لتأدية بعض الطقوس . . ليس هذا من الإسلام فى شىء ، وليست هذه بالآراء والأفكار العميقة التى يدعو إليها .

وأول صفة ذكرها القرآن لله سبحانه وتعالى فى فاتحته أنه جل وعلا « رب العالمين » . ومعناها أنه المتحكم فى خلقه أجمعين ، وأنه هاديهم فى حياتهم ومعاشهم بقوانينه وأوامره ونواهيه .

والقرآن الكريم يبين للناس طريق الهداية وطريق الصواب ، ويقيم الرسول الكريم مثالا طيبا على سمو الحياة الإنسانية ، كما تبين السنة الشريفة أعمال النبى وتعاليمه الغراء . فالإسلام إذن يسعى لخير الناس كافة ، وهو يوجههم إلى الوجهة المثلى ، وهو كما ذكرت يبنى وينظم العلاقة بين الإنسان وخالقه ، ثم بين الإنسان وأخيه الإنسان ولا تقتصر تعاليم الإسلام على مجرد العبادة وأداء الفرض نحو الخالق ، بل أنه يهتم بمعالجة كل شئون الحياة وينظم معاملة الفرد للفرد والفرد للمجموع

كما ينظم المعاملات القومية الدولية ، وقد تعدى الإسلام هذه الحدود فراح يخطط معالم العلاقات الدولية ويضع القوانين الواجب اتباعها أيام الحرب وأيام السلم ، كما نص فى كثير من تضاعيفه على كيفية إدارة الدولة وتنظيم التجارة والاقتصاد . وهو يهتم كثيرا بتنظيم الروابط الاجتماعية وغيرها . والإسلام يعد اتباع هذه المسائل من صميم العبادة . لأنها خضوع لأوامر الله وامتثال لطاعته ، وكل دقيقة تمضى على حياة الفرد فى طاعته وخضوعه ما هى إلا تسبيح بحمده تعالى ، وما هى إلا تعظيم لقدره . وعلى هذا أصبح لزاما علينا أن ننظم شئوننا وأعمالنا ، أفرادا وجماعات ، حسب هذه التعاليم . وإنى لأهيب بزملائى أعضاء هذا المجلس من غير المسلمين أن يتدبروا هذا الأمر ملياً ، فإننا إن كيفنا حياتنا حسب هذه التعاليم ، فهلا يكون حقاً علينا وصدقا أن نتصرف فى كل أعمالنا مترسمين هذه الخطى متتبعين هذه المبادىء ؟ وهلا يكون واجبا علينا ، وهذا هو الحال ، أن نتبع قرآننا ونترسم خطى نبينا ؟

وإنه لحق أن نذكر أن دستور الباكستان لم يترك المسلم حق التمتع بحريته مطلقة من كل قيد أو شرط بل عمد إلى النص على المعالم والخطوط التى تساعد المرء على تصريفه الأمور وتكييفه حياته حسب تعاليم الدين ، وإلا لما كان هناك ضرورة للنص على هذه التعاليم فى هذا الدستور . ولأصور هذا فى شىء من التفصيل .

يعالج الإسلام الشئون الاقتصادية ، ويهتم بتوزيع الثروة توزيعا

يكفل أقصى ما يستطاع للإفادة منها . ولهذا يحرم الإسلام بعض الأمور كما ينص على البعض الآخر . من هذه الأخيرة معالجته مسائل الوراثة والزكاة ، ومن الأولى تحريمه إقراض النقود بفائدة . هذان مثلان من كثير لسنا فى حاجة للإفاضة فيها . ولم يعترض أحد فى يوم من الأيام على اتباع المسلمين لقواعد الوراثة ولو أن المسلمين أنفسهم لم يتبعوها فى بعض الأحيان . وهل يستطيع إنسان أن يقول بأن المسلمين يخالفون قواعد الديمقراطية إذا ما وضعوا دستورهم وتشريعهم بشكل ينظم طريقة جباية الأموال أو طريقة جمع الزكاة من إخوانهم المسلمين ؟ وهل يستطيع إنسان أن يعترض على الأغراض التى يجمعون لها هذه الأموال ؟ . وهل يقدر أحد أن يعترض على النص بعدم الإقراض بفائدة مع الاتجاه الى وضع أسس تنظم هذه الأمور حسب قواعد المشاركة واقتسام الأرباح ؟

ولأذكر طرفا من المسائل الاجتماعية التى يعالجها الإسلام ، فهو يحرم لعب القمار وتعاطى المسكرات ، وعلى هذا فإننى مندهش لموقف غير المسلمين إذا ما أدى تسليمنا بهذه الأوامر الى إقلاق راحتهم وإثارة خواطرهم مع أن هذين الأمرين من الآفات الاجتماعية التى يشقى بها العالم الإسلامى . وإنى لعلى يقين من أن المواطنين غير المسلمين بالباكستان يهمهم جدا أن نتكاتف سويا لاقتلاع بذور هذه الآفات .

وإنى أحب فى هذا الصدد أن أؤكد بأنه بينما ترك للمسلمين

حرية توجيه حياتهم ، أفراد وجماعات ، الى الوجهة التى يريدون ، مادامت متمشية مع التعاليم التى أقرها الإسلام ، ترك غير المسلمين يكيفون حياتهم كيف يشاءون ، دون إجبارهم على إتيان عمل من الأعمال ، أو إرهاق كاهلهم بعبء جديد . وهم يصممون على أن الدين منفصل عن السياسة وأنهما يظلان هكذا الى أبد الدهر . ودستورنا يؤكدلهم حريتهم فقد نص على السماح لهم بممارسة عباداتهم و بالعمل على ترقية ثقافاتهم ، وعلى هـذا فمصالحهم المشروعة مكفولة ، وهم كإخوانهم مواطنى الباكستان أحرار فى مزاولة حقوقهم الإنسانية الرئيسية كما أنهم متساوون معهم فى المركز الاجتماعى وفى انتهاز الفرص مادامت متكافئة معمساواتهم مع غيرهم أمام القانون . وهم أحرار فى التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم ، أحرار فى القيام بطقوس أديانهم ، أحرار فى اجتماعاتهم ، طالما كان هذا خاضعا لنصوص القانون وما دام فى الحدود التى جرى بها العرف وقواعد الأخلاق الحميدة . وهم يعاملون على قدم المساواة مع مواطنيهم الباكستانيين فى السماح لهم بالتمتع بالمزايا التى يمنحها الدستور القائم على الحرية والديمقراطية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية ، تلك الدعائم التى نادى بها الإسـلام ، والتى ستطبق على الجميع دون تحيز أو محاباة . فأى شىء بعد هذا تطمع فيه أية أقلية تعيش فى الباكستان ، أو أية فئة أخرى ؟ .

وقد أثير حول هذا الموضوع الأخير بعض المخاوف ، فقد أساء بعضهم فهم المقصود من التعاليم التى جاء بها الإسلام ، ووصفوا مشروع القرار بخلوه من الإبانة عنها والإيضاح لكنى أحب أن أشير إلى أن هذه التعاليم فضلا عن انتفاء فكرة التميز والتفريق فيها ، فإنها تؤدى معناها الصحيح كما توسع من آفاقه .

وكما أشار زميلى وزير المواصلات نرى فى هذا العالم كثيراً من الحكومات ذات النظم المختلفة . وكلها يدعى اتباعه للنظم الديمقراطية . فهناك النظام الإنجليزى الذى يتميز بالملكية الدستورية حيث يمارس السلطة السياسية البرلمان . والنظام الإنجليزى أحسن نظام ديمقراطى فى عالمنا الحديث . وإلى ما قبل عام ١٨٣٥ كانت السلطات السياسية فى أيدى الطبقة الأرستقراطية وفى بعض الفئات المتنورة من الطبقة الوسطى أما اليوم فقد أصبح للرجل العادى رأى نافذ كما أصبح له صوت مسموع .

وهناك النظام الأمريكى حيث يوجد نوع آخر من الديمقراطية . فهناك ينوب الرئيس مباشرة عن الشعب وهو يمارس سلطة تنفيذية كبيرة ، وهو الذى يعين الوزراء ممن ليسوا أعضاء فى المجلس التشريعى وممن لا يسألون أمام البرلمان . وقد بلغ من تغلغل روح الديمقراطية فى أمريكا أن قضاة بعض المحاكم ينتخبون لتولى مهام مناصبهم لمدة معينة ولو أن لهم حق الدخول فى انتخابات أخرى . ونتيجة هذا أن

يظل القاضى دائماً منتبهاً إلى أعماله خشية أن يقع فى زلل يمنعه من تولى منصبه ثانية .

أما النظام الروسى فإنه نظام يقوم على سيطرة حزب سياسى معين على الدولة . وهم يدعون بأن نظامهم هذا أحسن نظام يمثل روح الديمقراطية الحقة .

أما فى الصين فإن حكومة الكومنتانج المركزية وحتى أتباع الشيوعية أنفسهم يدعون اتباعهم للطرق الديمقراطية .

وكان النازيون يدعون أنهم حماة الديمقراطية كذلك وأن نظامهم أحسن نظام فى هذا السبيل ولا يغيب عن بالنا أن الدول الاسكندينافية ودول غرب أوربا تتمتع بنظام برلمانى ديموقراطى .

ومن هذا يتبين أن الديموقراطية تتخذ لنفسها أشكالا وألواناً ، ولكن أين هى روح الديموقراطية الصحيحة فى هذا ؟ الديموقراطية الحقة هى أن يتحمل المسئولية السياسية مندوبون عن الشعب انتخبهم وفق مشيئته وحريته و بمحض إرادته . وطالما تحققت هذه المبادىء بقيت الديموقراطية فى خير وسلام . ودستورنا اليوم يتضمن هذه المبادىء فهو ينص على أن الدولة تمارس سلطاتها وسياستها عن طريق مندوبين منتخبين عن الشعب .

وقد يتساءل البعض عن مدى شيوع هذه المبادىء فى الإسلام . فالقرآن أشار بأن النيابة عن الأمة ما هى إلا وديعة ، وأن المسلمين عند

انتخاب من يتكلم باسمهم عليهم أن يختاروه من الأكفاء القادرين على القيام بما كلفوا به عن جدارة واستحقاق . والقرآن بهذا يرفع النيابة إلى مرتبة القداسة وإلى مرتبة الإجلال .

وخير ما يحفظ ويكفل أى نظام سياسى هو وجود قضاء مستقل فيه . والإسلام منذ ظهوره اهتم باستقلال القضاء . وليس هناك أعظم ولا أهم من استقلال القضاء فى أية أمة من الأمم ونزاهة القاضى وردت فى القرآن الكريم ، فالله سبحانه وتعالى يقول : «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ويقول كذلك : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » ودستورنا يتضمن توجيهات ، لصيانة القضاء واستقلاله ، والمجتمع الإسلامى كان ولا يزال مجتمعاً تسود فيه الأفكار الإسلامية القويمة عن الحرية كما تشيع فيه روح المساواة . ولم يكن الإسلام فى يوم من الأيام ليميز بين الأجناس ولا الطبقات ولا الألوان . والمسلمون لا يعترفون بسيادة طائفة على أخرى أو قسم على آخر ، وإذا كان التاريخ قد تعرض لمثل هذه الأخطاء فى أيام الركود والهزيمة ، وإن كان المسلمون قد ارتكبوا بعضاً منها فإن هذا جرى فى وقت كان الإسلام فيه فى محنة ، وكان المسلمون أنفسهم يجرون فى أعمالهم فيه فى حماس جانبه التوفيق ، وهو أمر إن دعا إلى الأسى إلا أن الإسلام منه براء ، لأن الإسلام قام منذ البداية ينادى بالتسامح . والقرآن يقول : (لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى) كما

يقول : (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وفى القرآن كثير من هذه التوجيهات وكثير من الآيات التى تدور حول هذا المعنى . ويطيب لى أن أورد هنا حادثاً فى حياة الرسول الكريم يصور معنى التسامح فى هذه الأمور . حدث أن وفد إلى النبى جماعة من المسيحيين لتبادل الرأى معه ، ولما طالت المحادثات استأذنت الجماعة فى الانقطاع عنها يوماً من الأيام ، ولما استفسر النبى عن سبب هذا أجابوه بأنهم سيكونون فى هذا اليوم فى عيد لهم ، وأن عليهم والحالة هذه أن يبعدوا عن المدينة حتى يستطيعوا أن يحتفلوا بعيدهم الدينى على طريقتهم ، وهنا طلب إليهم النبى صلى الله عليه وسلم ألا يتركوا المدينة وأن يقوموا بطقوس دينهم وعبادتهم فى مسجده هو نفسه . هذا وكان من عادة النبى أن يمارس أعماله العامة فى المسجد حيث كان يستقبل الوفود والبعثات كما كان المسجد فى نفس الوقت حلقة للتعليم والتدريس فضلا عن اعتباره محلا للعبادة والتهجد . ويقال إن هؤلاء المسيحيين دخلوا المسجد فى يوم عيدهم حيث خلعوا صلبانهم ووضعوا صورهم وأيقوناتهم حيث كان النبى يعبد الله . وإنى ما قصدت من إيراد هذا الحادث إلا لأبين لمواطنينا غير المسلمين مدى التسامح الذى يظهر المسلم لأخيه المسلم ، وهو بلا شك يهز نفوس المسلمين الذين ينساقون فى جهل نحو التعصب الممقوت ونحو نظرتهم إلى مثل هذه الأمور . ولهذا رويت الحادث . وليسمح سيدى الرئيس أن أوجه لأصدقائى غير المسلمين

نصيحة متواضعة . إنى أهيب بهم أن يطالبوا المسلمين بأن يتوخوا فى أعمالهم تعاليم الإسلام وأن يقوموا بتنفيذ نصوصه بصدق وإخلاص حتى تتبدد مخاوفنا جميعاً . وأخوف ما نخاف أن يعمد المسلمون اللانسياق وراء البهرج الكاذب أو يعمدوا إلى التعصب الممقوت بدلا من أن يتبعوا هذه التعاليم السمحاء ، والله سبحانه وتعالى يقول : (ذلك الكتاب لا ريب فيه) أى لا ضرر هناك من اتباع هذا القرآن الكريم وهذا ما يجب أن نتبعه ونطبقه خصوصاً فيما يتعلق بحرية الفكر والتسامح . وعلى المجلس الذى يقع على كاهله عبء وضع الدستور ، وعلى قادة المسلمين عموما أن يتبينوا مدى انطباق كل الأعمال والتصرفات على تعاليم الإسلام ، وأن يتبينوا كذلك أن ما ورد منها فى صلب الدستور ينفذ بدقة وإحكام .

وقد طالما حاولت أن أفصح لإخواننا غير المسلمين عن الأفكار التى تعتمل فى أذهاننا مما لا يدركون ماهيتها والتى يريدون بطبيعة مركزهم أن يصلوا إلى كنهها . فهم فى واقع الأمر -- كما يبدو لى — متخوفون شغوفون لأن يعرفوا كل هذا لأنهم إلى اليوم لا يجدون أمامهم صورة مجسمة لهذه التعاليم التى سيتشكل بها دستور الباكستان. وحتى التاريخ الإسلامى الحديث خلا من مثل هذه الصورة . ولنا ما يبرر افتخارنا بالأعمال المجيدة العظيمة التى قام بها حكام المسلمين فى السلم وفى الحرب ، وبشديد تقواهم وبساطة معيشتهم ، كما أن لنا أن

نفخر باتساع مجال تفكيرهم ورعايتهم للعلوم ولتفهمهم لشتى الفنون وللآثار الخالدة النبيلة التى تركوها من بعدهم . ونحن نعتز كذلك بمستوى المعيشة الرفيع الذى حققوه لشعوبهم فى مختلف أنحاء الأرض والذى دام إلى عديد من الأجيال . ولكننا مع هذا لا ندعى بأن هذه الفترة من التاريخ الإسلامى كانت متمشية فى أمورها السياسية ولا فى إدارتها لدفة الدولة حسب المثل العليا التى صورها الإسلام ، فوراثة العرش مثلا لا تتوافق تماما مع مثل الإسلام العليا . ولهذا لا أريد أن ألقى اللوم على إخواننا غير المسلمين إذا ما أحسوا بحيرة وارتباك وإذا ما توجسوا شراً من كثرة الإشارة والتصميم على الرجوع إلى تعاليم القرآن والسنة التى سيتضمنها دستورنا . ومما لا شك فيه أن الخطاب الجامع الذى قدم به دولة رئيس الوزراء الدستور إلى المجلس قد خفف من حدة هذه المخاوف كما عمل على إزالتها الخطب والبيانات النفيسة التى ألقاها حضرات مولانا شبير أحمد عثمانى شيخ الإسلام والدكتور اشتياق حسين قريشى وزميلى المحترم وزير المواصلات ؛ فقد كانت كلها عاملا أزال الشك من النفوس ومحا الريبة من الصدور . وقد حاولت مراراً أن أقدم لهم فى هذا الموضوع حقائق مادية بأمل أن تزيل هذا اللبس الذى استحكم على عقولهم وأن تؤكد لهم صدق نوايانا نحوهم . وكل هذه حقائق ثابتة سجلها التاريخ بين ثنايا صفحاته ، يستطيع الإنسان بسهولة أن يستعين بها عند ما تدعو الحاجة إلى ذلك . وعلى هذا أرى أن من

الصواب أن يطالب غير المسلمين إخوانهم فى الوطن ، المسلمين ، بالعودة إلى جادة الصواب وإلى طريق العقل واتباع سياسة التسامح والخير ، إذا ما أبصروا منهم انحرافا عن هذه التعاليم ، وليس صحيحاً أن مشروع القرار ينطوى على إشارات غامضة أو غير ثابتة من حيث ارتباطها بتعاليم الإسلام والقرآن الكريم والسنة ، بل الصحيح أن مشروع القرار يصبح إذا ما خلا من هذه الأفكار والتعبيرات التى يحاول النقاد استبعادها مجرد مجموعة من العبارات الطنانة البراقة التى تبهر العيون دون أن يكون لها أثر فى الأخذ بيد من وكل إليهم ترجمة هذه الأغراض التى يتضمنها الدستور من حيز الكتابة إلى حيز التنفيذ .

وقد أثير بهذا الخصوص بعض المخاوف فقد قيل مثلا إن هذه التفسيرات والتأكيدات التى ألقيت فى داخل هذا المجلس قد تكون موافقة للتيار الحالى ولكن قد يغضى عنها النظر وتتجاهل فى مقبل الأيام ، ولكن هذا الوهم خاطىء لأنه لا يتمشى والأسس التى وضعناها فى هذا الشأن . وحالما يعتمد المجلس هذا المشروع يبتدىء بتأليف لجنة لوضع الاقتراحات المادية التى تقوم على المشروع متضمنة القواعد الرئيسية التى ينص عليها الدستور . وسيناقش المجلس بعد ذلك هذه المقترحات وسيدخل عليها ما يراه من التعديلات ، وعندئذ يضع مسودة الدستور وعلى هذا يتبين أن التفسيرات والتأكيدات التى حدثت داخل هذا المجلس سيكون لها صدى عند وضع الدستور الأخير .

وإلى الآن كنت أتحدث عن مشروع القرار ، ولكننى أريد أن أعرج قليلا على مقدمته . فمهما اختلفت الآراء حول صلب القرار فإن أحداً لن يجرؤ على أن يعيب الديباجة ، ولهذا كان عجيباً أن يوجه لها بعض النقد ، على أن عجبى يزداد حينما أرى هذا النقد موجهاً إليها من مندوبى الطائفة المسيحية . وقد يبدو صعباً على أن أتبع الاعتراضات التى أقاموها فى هذا الصدد والتى نشرتها صحيفة « الستيتسمان » بعدد يوم الجمعة ١١ مارس ، فقد صرحوا بأن الأقلية المسيحية بالباكستان لن تقبل الفكرة القائلة بتخويل الخالق السلطة المكينة لدول من صنع الإنسان ، سواء أكانت الباكستان أم غيرها ، ومع أن ما ورد فى الصحف يبين الاهتمام بما جاء فى الديباجة خاصاً بتحديد السلطة الممنوحة للشعب ومن ثم للدولة ، إلا أن من الصعب القول بأن الديباجة تنص على تخويل سلطة كبيرة ، وهذا أمر بغيض يؤذى شعور المسلمين بقدر ما يؤذى شعور المسيحيين . وإذا قام الاعتراض على مجرد بيان أن للسلطة ، سياسية كانت أو غير سياسية ، التى تمارسها الدولة بواسطة مجموعة ، أو بواسطة فرد ، هى سلطة ممنوحة من الخالق ، لكان هذا الاعتراض داعياً إلى كثير من العجب . وقد قيل لنا إن الإنسان مخلوق صوره الخالق . وحيث أن الله لا يتخذ لنفسه صورة طبيعية أو مادية ، وحيث أنه لا يتشكل فى أية صورة كانت فإن صورة الله هنا تنطبق على معنى مجازى ، أى أن الإنسان يتحلى بصفات إلهية ، وأن وجوده

على ظهر الأرض إنما كان بقصد إكثار هذه الصفات . ولهذا الغرض منح الإنسان إلى حد ما السيطرة على هذا العالم الطبيعى ، وبعبارة أخرى يمكن أن يقال إن العالم الطبيعى خلق ليفيد أغراض الإنسان الروحية والمادية والطبيعية ويعمل على تقدمها وارتقائها . وعلى هذا تكون السلطة الممنوحة للإنسان بصدد علاقته بالعالم سلطة ممنوحة له يزاولها لتحقيق هذه الأغراض وهذا المصير .

ولا أظن أن أحداً يؤمن بالله ينكر ما جاء فى بداية الديباجة من أن السيادة على العالم كله لله سبحانه وتعالى ، أما بقية الديباجة فهى وإن قامت على فكرة أن السلطة ، سياسية كانت أو غير سياسية ، التى خولها الإنسان قد زوده الله الحاكم الأعلى بها ، يزاولها فى الحدود التى رسمها له ، إلا أنها تنص وتؤكد على أن الأمة تزاول سلطتها السياسية على أنها وديعة مقدسة ، عليها أن تتصرف فى شئونها وأعمالها بالروح التى تمليها عليها . وقد قام جدال حول هذه النقط وتساءل البعض عن مصدر هذه السلطات ، هل هو الشعب أم الدولة ؟ أما الإسلام فإنه بلا شك قد أعطى السلطة والسيادة إلى الشعب والقرآن نفسه يبين أن الأمة هى التى تودع هذه السلطة الأيدى التى تراها جديرة بأن تنوب عنها . وما الدولة إلا خادم للشعب ، وهى كغيرها من الأدوات الأخرى ، المستعملة فى مختلف الوجوه ما وجدت إلا بقصد تلبية رغبات الشعب وخدمته . وعلى هذا فليس هناك داع للخوف من

أن الديباجة تتضمن آراء فاشية أو نازية ، إذ هى اعتراف و إعلان بأن الله هو الحاكم الأكبر على العالم ، وأن الإنسان يستمد قوته منه ، تلك القوة التى يضعها فى يده وديعة مقدسة . وهذا ما ينبغى أن يتذكره و يتدبره الشعب وكذلك مندوبوه الذين عينوا أو انتخبوا لينو بوا عنه ، إذ عليهم دائما أن يراعوا الله فى أعمالهم .

ما هى الآفات التى يحاولون أن يلصقوها بالديمقراطية من أنها شرك أو وهم وضلال ؟ يقولون إن الانتخابات بدلا من إجرائها على أساس أنها وديعة مقدسة تنحدر وتسف حتى تصبح مجالا لعرض أحط الغرائز ومثارا للمنازعات والنضال الحزبى وتحيزا للعصبية . والإسلام يستنكر كل هذا و يعده تبديدا للوديعة المقدسة . و إن أية حكومة ديمقراطية لا ينتظر منها الخير طالما قام فى سبيل انتخاباتها العامة أى عائق . وعلى الإنسان أن يتصرف فى هذا الموضوع كأنما هو واقف بين يدى الله . هذا هو المبدأ الذى أقره الإسلام منذ أربعة عشر قرنا وهو ما نصت عليها ديباجة المشروع . وطالما روعى هذا المبدأ وأصبح غاية كل ناخب ظلت الديمقراطية فى أمان وفى مأمن من أى عدوان .

سيدى ! هذه هى بعض المثل التى يراعى مشروع القرار أن يلفت إليها أنظار من سيقع عليهم عبء وضع الاقتراحات الأخيرة التى سيكون عليها الدستور . و إنى لأشعر بالأسى حينما أتلفت إلى كل أرجاء المعمورة فلا أجد لمثل هذه القواعد وهذه الأسس أثرا ولكننى أشعر

بالغبطة والرضا حينما أرى أن فى مكنة أية هيئة أو مجموعة أو دولة الاستفادة منها أو اقتباس ما تراه لازما لها ، لأن هذه التعاليم الشريفة لا تزال موجودة بيننا . وكما ظهر خلال المناقشات التى دارت فى هذا المجلس نرى أن العالم يميل لأن يأتم بفكرتين ، وها نحن نثبت للعالم بأن هناك فكرة ثالثة تقوم على تآخي الإنسان وتعاون البشرية ، فكرة تحاول أن تزيل الاختلافات القائمة بين الناس سواء أ كانت اختلافات طائفية أو عائلية أو وراثية أو خلافات تنشأ من وجود ثروات أو ما شاكل ذلك من مختلف المصالح الذاتية . هذه الفكرة تحاول أن تحقق كل هذا بأقل قدر من التشريع والتقنين و بأ كبر قدر من تشجيع الجهود وتقديم الخدمات والتضحية . وهى تسعى لهذا عن طريق الخلق الحميد . لا يكون على درجات ، ولا يكون على صور متفاوتة ، بل يكون حسب قدرة المرء فى تسابقه للوصول إلى أقصى حد فيها، مدفوعاً بالإخلاص والحافز الطيب . وهذا أهم ما يتطلبه الخلق القويم ، وليس هناك منها مهرب . أما القانون فعمله تحديد المعالم وتخطيط الخطوط . والشوق إلى استجلاب رضاء الله والتسابق إلى نيل مغفرته هى التى تطهر قلب الإنسان وتصفى نواياه وحوافزه ، وعلى هذا فإن قيمة كل شىء تتوقف على مدى الدافع إليه . ولو قدر لنا أن ننجح فى وضع دستورنا حسب المشروع الذى ندرس اليوم كان هذا توفيقاً لنا فى أمر

من الأمور التى نضعها نصب أعيننا ، ونسعى لتحقيقها . ونحن إن أمكننا أن نضع هيكل هذا الدستور ، فإن علينا بعد ذلك واجبا آخر ، علينا أن نكسوه بمقومات الحياة ، من لحم وعظم وعضلات ، حيث تجرى فيه الدماء نقية صحيحة ، وحيث يقوم كأقوى ما يقوم عليه الكائن الصحيح النقى وأنى لأدعو الله أن يكلأنا برعايته ويسدد خطانا حتى ننهض بالواجب الملقى علينا بإخلاص ونزاهة، إنه سميع مجيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الإسلامية وغايتها

(الخطبة التى ألقاها فضيلة الأستاذ الأكبر العلامة شبير أحمد العثمانى رئيس مؤتمر العالم الإسلامى الدائم فى المجلس التأسيسى لدولة الباكستان فى جلسته المنعقدة فى ٩ مارس سنة ١٩٤٩ الميلادية بمناسبة تقديم دستور الباكستان وأغراضه) .

معالى الرئيس والسادة الكرام :

إن أول شىء أريد أن أعرب عنه فى هذا المقام هو أنى لا أقتصر على تأييد الاقتراح العظيم الذى قدمه صاحب الدولة لياقت على خان إلى هذا المجلس لبيان ما يبنى عليه دستورنا الجديد من المبادىء والأسس . وأنى لأرى من الواجب على فوق ذلك أن أهنئه بهذا الاقتراح وعرضه على هذا المجلس فى مثل هذا العصر الذى بلغ فيه الصراع الشديد بين الدين ونظريات الإلحاد والإباحية إلى ذروته . وإذا تأملتم المسألة وأوليتموها ما هى جديرة به من الجد والعناية تبين لكم جلياً أن هذه التهنئة ليست عن شخصى فقط بل الحقيقة أنها من قبل الروح الإنسانية المضطهدة التى لا تزال ترسف منذ آماد بعيدة

تحت أغلال القوى المادية القاهرة والمتطاحنة فيما بينها المتكالبة على حطام هذه الدنيا الدنيئة . وهى تئن تحت أعبائها وأثقالها المؤلمة المفجعة وتستغيث بمن ينقذها من تلك المخالب ويعيد إليها حياتها وهى تبث شكاتها إلى العالم بحالة ترق لها معها قلوب الذين يضطهدونها ويصبون عليها صنوف الآلام والشدائد . فيقومون ويندمون على ما اقترفته أيديهم الآثمة . حتى أنهم كثيراً ما يبحثون عن دواء ناجع للأدواء التى أورثوها الإنسانية بأعمالهم ومنكراتهم . لكنهم يخيبون فى مسعاهم كل مرة ويخطئون المرمى حين يلتبس الأمر عليهم بين الداء والدواء . فيرون السبب الحقيقى دواء للداء وبلسما شافياً له .

من يشف من داء بآخر مثله أثرت جوانحه من الأدواء

فليذكر كل منكم أن الدنيا اليوم قد وقعت فى شبكة أصول ومبادىء وضعتها من تلقاء نفسها فلا يمكن لها أن تتخلص من هذه الشبكة مهما حاولت الخلاص وبالغت فى الجد والسعى . بل الحق أن عقود الشبكة تزداد اشتباكا وارتباكا بقدر ما تبذل من جهدها للخلاص منها . فقد ضلت سواء السبيل . فكل سبيل تسلكها بعدها وتسعى لها سعيها تبعدها عن الفوز الحقيقى والفلاح المنشود .

الصراط المستقيم :

فإذا أردنا أن نقر نظام حياتنا على أسس الصلاح والعدل ونكمله بالفوز والنجاح . ينبغى لنا أن نبدل الخط الذى يجرى عليه ركب حياتنا

اليوم من غير تفكر ولا روية . ونحن لا نرى بأساً إذا تقهقرنا فى حياتنا قليلا لنزداد تقدما على الصراط السوى كما تشاهدون أن القاطرة إذا أرادت أن تستبدل الخط الذى تجرى عليه بغيره تتقهقر إلى الوراء ثم تتقدم إلى الخط الذى تريد الجرى عليه ، وكذلك إذا رأينا رجلا يجرى على طريق من الطرق جريا ولا يلوى على شىء حتى يخشى عليه أن يقع فى هوة بعد بضع خطوات لا يجوز لنا أن ندعه وشأنه يجرى على حاله . بل يكون من واجبنا إذاً أن نأخذ بحجزه وندفعه إلى الوراء قليلا ثم نهديه إلى طريق آخر مستقيم ، يوصله إلى ما يريده و يبغيه ، وهكذا حال الدنيا اليوم ، فإن أرادت هذه الدنيا الجديدة المكلومة المعذبة أن تتخلص من أثقالها وقيودها التى ترسف فيها ، فلا مندوحة لنا عن تدبر أحوالها وتأمل شئونها والإمعان فى أسسها ومبانيها من جديد ، وذلك أن الشجرة إذا لم يكن جذرها مستحكما متأصلا فمن العبث أن نبلل أوراقها وغصونها ، ولا يمكن أن تصلح وتتحسن فروعها وتنمو على منوال صحيح معتدل إلا إذا صلحت أصولها ومبانيها ، بل لابد لذلك من إصلاح أساس هذه الأصول والمبانى . فلا تأبهوا أصلا لطبقات الرجعية والتحجر . واقبلوا بقلوب رحبة وصدور واسعة على معضلات الحياة المتعددة اليوم ولا تدخروا وسعاً فى إدراك سرها شأن المستبصرين الباحثين عن الحق .

وكل ماشاع فينا اليوم من النظريات المضلة والأفكار الباطلة وسلمنا

بها كحقائق ثابتة وأصول صحيحة من جراء دعاية الأمم القوية ذات النفوذ والسلطان ، وبما استولى علينا قصداً ومن غير قصد ، من قبل سلطانهم القاهرة ولمعان حضارتهم الآخذة بالألباب ، يجب علينا أن نفكر فى كل هذه النظريات والأفكار ونعيد فيها النظر من جديد ، عاقدين العزم على ألا نرى حرجا فى ترك ما رسخ فى أذهاننا منذ قرون وأخذنا به عقيدة ثابتة غير مبالين بتركه بعد بزوغ الحق ووضوح الصواب ، ونعد بعد ذلك الإصرار عليه ذنباً لا يغتفر ، فإذا كانت الدنيا اليوم تطمح أن تبلغ إلى غاية صالحة لفلاح الإنسانية الحقيق وسعادتها ، فلابد لها من أن تفكر وتنعم النظر فى النظريات القديمة الراسخة التى نبذها كثير من الأمم وراء ظهورها فى سبيل تنافسها المادى وتسابقها الاقتصادى . وخذوا لذلك مثلا نظرية بطليموس فى سكون الأرض وعدم حركتها . فقد بقيت هذه النظرية مستولية على أذهان الناس قروناً عديدة . ولم يلتفت أحد خلالها إلى ما كان يقول به فيثاغورس حتى جاء اليوم الذى عملت فيه عملها البذرة التى كان قد بذرها فيثاغورس ، فظهرت وأورقت وأثمرت وآتت أكلها ، والذى يستمسك بالحق ويدعو إليه لا يبالى فى دعوته أن الناس لا يتقبلون دعوته فى زمان أو لا يصغون إليها إلى زمن طويل — لا يهمه هذا ولا ذاك فى قليل ولا كثير ، فالحق حق أكان معه أحد أم لم يكن ، وإنه على يقين ثابت من نفسه أنه سيأتى اليوم الذى يضطر فيه

المكذبون بدعوته إلى الالتجاء إلى كنفه بعد ما طردتهم الدنيا ولفظتهم ، وها هو قد ظهر ذلك المنشود كما قال دولة لياقت على خان فى خطابه :

« قد أشرق نور الحق من وراء الأفق مؤذنا بانبثاق الفجر — فجر الهداية والعدل والإنصاف » .

حدود الله والمقصود من ورائها :

فالذى نحتاج إليه اليوم ألا يحول بيننا وبين الحق حجاب يحرمنا التمتع بنعيمه ويسلبنا الانتفاع بخيراته فإن دولتنا الجديدة باكستان تريد أن تضع نبراسا ساطعا من الرشد والهداية فى سبيل الإنسانية المرتطمة فى أوحال المادية ومجاهلها المتسكعة فى ظلمات الإلحاد والمروق ، فهى لا تتحدى العالم ولا تريد إعلان الحرب عليه ، وإنما هى تنير سبل الأمن والدعة والنجاة للإنسانية ، وتأخذ بيد الذين ينشدون سبيل الطمأنينة والهناءة فى هذا العالم ، والذى نراه ونجزم به أنه لا بد لنا من أن نعلم — قبل أن نختار نظاما خاصا للدنيا عامة ولباكستان خاصة — من هو المالك الحقيقى والحاكم المقتدر لهذا الكون الذى نعيش فيه وليست دولتنا باكستان إلا جزءا من أجزائه . أله وجود أم لا ؟ فإذا اعتقدنا أن ليس ملكه وصاحبه الحقيقى إلا خالق جميع الموجودات ذو القوة المتين — كما أظن أن معظم أعضاء هذا المجلس يعتقدون — فلا بد لنا من التسليم بأنه لا قبل لنا بالتصرف فى ملك أحد ولاسيما ملك هذا المالك الحقيقى المقتدر الذى لا يشاركه فى ملكه

أحد . إلا بقدر ما يأذن لنا به ، فإنه لا يجوز لأحد أن يتصرف فى ملك غيره تصرف مالكه وصاحبه . أما إذن صاحبه ومشيئته فلا يمكن العلم بها إلا إذا أعلمنا بها ودلنا عليها بنفسه ، ولأجل هذا الغرض قد بعث الله الرسل والأنبياء ، وأنزل معهم الكتب ليعلموا الناس ما فيه مرضاته ، ويرشدوهم إلى حدود ما تسعه مشيئته . فنظرا إلى هذه الوجهة من الرأى قد وضعت فى الاقتراح كلمات « فى ضمن حدوده — حدود الله — الموضوعة » وهذا المقام هو الذي تفترق فيه سبل الممالك الدينية والممالك اللادينية المحضة .

أما النظرية السائدة اليوم بأن الدين إنما هو علاقة فردية بين العبد وربه ، ولا علاقه له بشئون العباد ومعاملاتهم ، ولا صلة له بأمور سياستهم ، فلم يعترف بها الإسلام البتة . نعم يمكن أن يكون لهذه النظرية مقام من الصحة والخطورة عند الديانات الأخرى التى لا تملك لنفسها نظاما مخصوصا للحياة البشرية . لكن الإسلام لا مجال فيه لمثل هذا التصور المحدود . بل الحقيقة أن تعاليم الإسلام وأمثال هذه التصورات الباطلة على طرفى نقيض .

القائد الأعظم :

قد أرسل القائد الأعظم — رحمه الله وغفر له — بكتاب إلى الزعيم الهندوكى غاندى فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٤ الميلادية . فكان مما كتب فيه :

« القرآن نظام جامع لحياة المسلمين وفيه أحكام لجميع مستلزمات حياتهم الدينية والاجتماعية والأهلية والجنائية والعسكرية والاقتصادية ، وهو مجموعة للأحكام المقنعة الكافلة لكل فعل وقول وحركة للإنسان — من المناسك الدينية إلى شئون الحياة اليومية ، ومن حقوق الجماعة إلى حقوق الأفراد وواجباتهم ، ومن قانون المكافأة فى الدنيا إلى قانون المجازاة ومحاسبة الأعمال فى اليوم الآخر . ومن ثم فإذا أنا صدقت بأن المسلمين أمة مستقلة بمشخصاتها وميزاتها فإنما أريد بذلك أنهم أمة مستقلة وفق جميع الأقدار والقيم التى يعتد بها فى الحياة الدنيا وما بعدها » .

وكذلك قال القائد الأعظم سنة ١٩٤٤ فى بيانه الذى أذاعه يوم العيد :

« ومما لا يغيب عن بال كل مسلم أن تعاليم القرآن لا تنحصر فى العبادات والأعمال الخلقية ، بل القرآن الكريم دين المسلمين وقانون حياتهم ، ومعناه أنه مجموعة كاملة من الأحكام الدينية والاجتماعية والتجارية والمدنية والعسكرية والقضائية والجنائية . وقد أمرنا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بأن يكون عند كل مسلم منا هذا القرآن ليتدبره ويتأمل سر معانيه حتى يكون سبباً لهدايته فى الحياة الفردية والجماعية » .

فهذا قليل من كثير مما قال قائدنا الأعظم مراراً فى هذا الصدد . فهل من الممكن بعد هذه التصريحات المفحمة الواضحة أن يجترىء رجل

على القول بأنه لا صلة للحكومة وسياسة البلاد بالدين ونظمه الكاملة . أو لو كان القائد الأعظم اليوم حياً بين ظهرانينا لما كان ممكناً أن يعرض هذا الاقتراح على هذا المجلس . وقد قال الله تبارك وتعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما » (النساء) .

وقال : —

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» (المائدة : ٤٥) .

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (المائدة : ٤٧) .

الحكومة الدينية فى الإسلام :

وليتذكر كل منكم أيضاً أن الحكومة الدينية فى الإسلام لا تشبه البابوية أو الهيئات الاكليريكية فى المسيحية . فالإسلام هو الدين الحق الذى قد أتى على بنيان هذه الفكرة الباطلة ونددبها تنديداً . وذلك بما ورد فى التنزيل من قوله تعالى :

« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » .

فالمراد بالحكومة الإسلامية حكومة تدبر شئونها وتدار دفة أمرها حسب أصول الإسلام ومبادئه الحقة السامية الطاهرة ، فلا تكون إلا حكومة مفكرة من الطراز الفذ المبتكر . ومما لا مراء فيه أن حكومة فكرية — دينية كانت أو غير دينية كالحكومة الشيوعية

فى روسيا — لا يمكن أن يقوم بإدارة أمرها وتسيير شئونها إلا الذين آمنوا بمبادئها وغاياتها . أما الذين لا يؤمنون بها فيمكن أن تستخدمهم الحكومة وتنتفع بمواهبهم وكفاءاتهم فى سياسة البلاد ولا يمكن لها أبداً أن تفوض إليهم تحديد خطتها وتعيين مناهجها ، أو تلقى إليهم مقاليد المناصب الهامة .

وظيفة البشر فى الأرض :

والحقيقة أن الحكومة الإسلامية ليست بحكومة بشرية ، بل هى حكومة نيابية عن الله تبارك وتعالى ، خالق هذا الكون ومالكه الحقيقى . فإن الحكم والتشريع ليس فيها إلا بيده ، وما الإنسان فيها إلا خليفة عنه ونائبه فى الأرض ، ووظيفته أن يقوم ويضطلع بواجبات النيابة فى حدود الله المرسومة كالواجبات الدينية الأخرى .

والحكومة الإسلامية فى أكمل صورها تكون حكومة راشدة . وكلمة الرشد تدل على أقصى ما يمكن أن تبلغه الحكومة من مراتب الكمال ، ومعنى ذلك أن تكون الحكون والذين بيدهم زمام أمرها وعامة سكانها صالحين راشدين . والقرآن لم يجعل غاية الحكومة الإسلامية وهدفها الأسمى إلا أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فى دائرة نفوذها وسلطانها .

والإسلام يخالف الرأسمالية السائدة اليوم فى البلاد الغربية . والحكومة الإسلامية تأمر بتوزيع الثروة المدخرة بطرق خاصة متناسبة

ليست فى شىء من طرق الاشتراكية الفظيعة . وتريد أيضاً أن لا تدع هذه الثروة سائرة دائرة بين مختلف الطبقات والأفراد وهى تستخدم لذلك طرقا قانونية وتسير عليها بالقسط والعدل والنصفة وأيضاً لا تبطل الحكومة الإسلامية الملكية الفردية بل تأذن للأفراد بجمع المال والثروة إلى حد متناسب معلوم ، وتقيم لادخار الثروة الزائدة بيتاً للمال عاماً يشترك فيه جميع أفراد المجتمع بحقوق سواسية فبتوزيع هذا المال المدخر فى بيت المال العام وتقسيمه بين الناس ، تقيم الحكومة الإسلامية أسس العدل والنصفة ، وتنصف الغنى والفقير وتعطى كلا من الطبقتين ما تستحقان من الحقوق وتحملهما ما يجب عليهما من أداء الواجبات .

الشورى :

والشورى أساس الحكومة الإسلامية كما قال الله تبارك وتعالى :

« وأمرهم شورى بينهم » . فالحكومة الإسلامية هى أول مؤسسة فى العالم قامت فى وجه الأمبراطورية والقيصرية ووضعت مبدأ « استفتاء الرأى العام » وعهدت بوظيفة الملك إلى الإمام المنتخب من قبل الجمهور والمؤيد برأيهم ، أما التحكم بطرق الإرث والاستبداد والعدوان وإقامة الدكتاتورية ، فهذا كله مما يناقض مبادىء الإسلام . فالإسلام لا يخول المملكة ما يخول من

النفوذ والسلطان إلا بأيدى الجمهور ومشيئتهم العامة . غير أنه لا يأذن لهم أن يهملوا إمارة البلاد ولا ينظموا شئونها ويستأثروا بالسلطة دون غيرهم ، ويعموا الفوضى ويفسدوا فى الأرض . وهذه من مزايا المملكة الإسلامية التى ترفع رأسها بين الممالك الجمهورية فى العالم .

غاية ما تطمح إليه الحكومة الإسلامية :

وغاية ما تطمح إليه الحكومة الإسلامية ألا يقوم بناء المملكة إلا على أساس الإنسانية الخالصة ، وعلى أصول ومبادىء عالية تقوم هى بتشييد دعائمها وتوطيد أركانها غير مكترثة للحدود الجغرافية والعنصرية والجنسية والطبقات والتفاوت في المكسب والمعاش ، والحكومة الإسلامية أول حكومة فى الأرض أسست بنيان خلافتها الراشدة على دعائم الإنسانية المحضة تحقيقا لهذا المطمح الأسمى والبغية العليا ، وهى تراعى الرأى العام والمساواة فى الحقوق وحرية الرأى والفكر والبساطة فى المعيشة كل الرعاية فى كل عمل من أعمالها .

ومن واجبات الحكومة الإسلامية أن تحافظ على نفوس الذين يقطنون فى مملكتها ومن غير المسلمين — إذا كانوا متعاهدين — وعلى أموالهم وأعراضهم وحريتهم الدينية وحقوقهم المدنية العامة . فإذا اعتدت قوة ظالمة على أموالهم وأعراضهم ومدت إليها يد العدوان فمن واجب الحكومة الإسلامية أن تحاربها ولا تحملهم مالا قبل لهم بحمله . والبلاد التى دخلت فى حوزة المملكة الإسلامية بطريق المعاهدة

والسلم ، لا بد للمملكة من المحافظة على الشروط التى تم عليها الصلح بينها و بين أهلها من غير المسلمين . ثم إن هذه الحقوق التى تمنحها غير المسلمين لا تكون مجرد فضل من الحكومة الإسلامية وأغلبيتها الساحقة من المسلمين ، بل الحق إنها ذمة الله وذمة رسوله فى أعناق المسلمين لا يجوز لهم أن يغفلوا عنها طرفة عين أو يحيدوا عنها قيد شعرة .

المفاسد المزعومة :

أما المفاسد التى تنسب إلى الحكومة الدينية عامة ، فالجواب عنها سهل يسير لا يحتاج إلى كثير من البيان والتفصيل . فمن شاء فليرجع إلى عصر الخلفاء الراشدين المهديين وليقارن بينه و بين الحكومات الحاضرة المتمدينة ، ولينظر أيهما أحلى جنى وأطيب ثمرا ، وأرسى أصلا وأبسق فرعا .

فالذى نراه اليوم فى كل صقع وفى كل ناحية من مظاهر الظلم والعدوان ونقض العهود واستغلال الأموال وسفك الدماء والخراب والدمار والتباغض والتنافر بين مختلف الطبقات البشرية وعدم المساواة بين الأفراد و بخس حقوق الجمهور ، لا نرى عينا لها ولا أثرا فى عهد الراشدين الزاهر الذى لم يأت الزمان بمثله بعد .

وجملة القول إن هذه المفاسد المزعومة ليست من قبل الحكومة الدينية بل إنما منشأها الحقيقى تلك الضلالات البشرية التى كانت سببا فى تأسيس الحكومات المعادية البحتة .

فكأنى بالزعيم الوطنى (غاندى) كان يقصد إلى هذا الأمر نفسه حينما أشار على الوزراء الوطنيين سنة ٣٧م أن يسيروا فى شئون الحكومة وتدبير أمورها على منهاج الخليفتين الراشدين أبى بكر وعمر . وكذلك أشار القائد الأعظم — رحمه الله وغفر له — إلى هذا الأساس من الدستور حينما ألقى خطبته الرئيسية فى مؤتمر الطلاب المسلمين فى جالندهر سنة ٤٣ م . فقال رحمه الله :

« والذى أراه وأعتقده أن القرآن الكريم قد بين منهاج حكومة المسلمين بما لا مجال فيه للمراء والارتياب ، وذلك قبل ثلاثة عشر قرنا من يومنا هذا » .

وأيضا صرح بذلك فى كتابه الذى بعث به إلى فضيلة الشيخ . (بيرمانكى شريف) فى شهر نوفمبر سنة ٤٥ م . ومما قال فيه :

« وغنى عن البيان أن المجلس التشريعى الذى تكون أغلبية أعضائه من المسلمين لا يرجى منه أن يسن قوانين تناقض الشريعة الإسلامية . وكذلك لا ينتظر من سكان باكستان المسلمين أن يخضعوا لقانون غير إسلامى ويعملوا به » .

فلم يزل القائد الأعظم وغيره من زعماء الرابطة الإسلامية يعلنون بمثل هذه الإعلانات الواضحة بين آونة وأخرى قبل تأسيس باكستان مما لا يمكن استقصاؤه فى هذا المقام خوف التطويل .

وصفوة القول أنه لا يبقى بعد هذه التصريحات منزع للشك

والريب — لا لمسلم ولا لغير مسلم — فيما كنا نقصده من وراء هذه التصريحات ونريده بها . أما ما يوجد اليوم من توجيه النقد إلى النظام الإسلامى ودستور المملكة الإسلامية . ومما يقال فيهما من مختلف الأقاويل ، فياليتهم لو تفكروا فى ذلك وأبدوا فيه آراءهم وأظهروا عدم رضاهم به حينما كانت هذه الإعلانات توزع وتنشر بصراحة تامة . وحينما عاهدونا على تقسيم البلاد على علم منهم ومعرفة بكل ذلك . وحينما اشتركت الأقلية الباكستانية معنا فى الجد والكفاح معترفة بغايتنا ومستسلمة للفكرة السائدة .

فأنى لهم اليوم أن ينحرفوا عن وجهة النظر فى هذه ويتناسوها بعد أن برزت مملكة باكستان إلى حيز الوجود . وكيف يعلمون أن المملكة الهندوكية الجديدة قد انشئت بمساعى الهنادك والمسلمين الوطنيين معاً. وأن باكستان إنما أسس بنيانها بكفاح المسلمين وتضحياتهم الغالية وحدهم . وما حداهم على ذلك إلا فكرة المحافظة على خصائصهم ومميزاتهم القومية ، فإن المتجاهل لهذه الأمور الواضحة البينة المتغافل عنها فلا كلام لنا معه .

ومما ينبغى أن لا يغفل عنه فى هذا المقام أن سيل الاشتراكية الملحدة الجارف لا يزال يتدفق إلينا من كل ناحية وصوب . وذلك بما حدث من الخلل والفوضى فى نظام العالم الاقتصادى وحياة البشر الاقتصادية ، والذى أراه وأعتقده اعتقاداً جازماً أنه لا يمكن أن يقف

فى وجه هذا السيل الجارف ويقاومه إلا النظام الاقتصادى الذى جاء به الإسلام ، فإذا كنا نحب أن تبقى باكستان والعالم الإسلامى بمنجاة من هذا الخطر الداهم وشروره ، فلا سبيل لنا إلا أن نعلن اعتزامنا على إقامة النظام الإسلامى القويم فى باكستان ونشرع فى العمل به من غير تلكؤ ولا تمهل . وندعو العالم الإسلامى كله إلى الاجتماع على كلمة الله و إقامة الدين الحق والتعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فإذا اتحد على هذا المنوال جميع الممالك الإسلامية فى تشريعها وقانونها ودستورها ، فهنالك نستطيع فقط أن نظفر بالوحدة الإسلامية التى ما زالت نصب أعيننا منذ أمد بعيد ، والتى يرجى منها أن تكون سداً منيعاً دون عدوان الاشتراكية المشئومة وشرور الرأسمالية الممقوتة .

الانقلاب التدريجى :

وقد يخطر بقلوب كثير من الناس أن المنهاج الذى ما زالت تسير عليه شئوننا الاجتماعية إلى يومنا هذا ، كيف يمكننا أن نغيره فى يوم واحد بإعلان التشريع الإسلامى وتنفيذه فى البلاد ، فإذا فعلنا ذلك فكان انقلابا عظيما فى أحوالنا وتصرفاتنا الاجتماعية يقلب حياتنا القومية رأسا على عقب وكذلك نضطر عندئذ أن نربى ونخرج رجالا غير قليلين لتنفيذ الدستور الجديد فى البلاد ، ويحتاج هذا العمل إلى مدة من الزمن غير يسيرة ، فأقول إن فيما يقول به هؤلاء الناس

جانبا من الصحة وقد يشعر به الذين يطالبون بإقامة الدستور الإسلامى أيما شعور ولا نقصد بمطالبتنا بإقامة الدستور الإسلامى والنظام الإسلامى إلا أن تكون غاية المملكة وما تطمح إليه من الهدف الأسمى جلية واضحة . حتى إن كل خطوة نخطوها فى هذه السبيل المباركة تكون مقربة لنا من الغاية المنشودة . والظاهر أن هذا العمل الهام لا يتأتى فى عشية أو ضحاها ، بل لابد له من التمهل والتدرج ، فكلما استطعنا أن ننهض به مسرعين، فعلينا أن نقوم به على الفور من غير تلكؤ ولا إمهال. وأما حين لا نجد الجو ملائما لتنفيذه ، فلنا أن نتريث فى أمره ونصرف ما فى وسعنا من الجهد المستطاع لتمهيد السبيل له بأسلوب حسن بالغ فى الحكمة فإن الإنسان لا يكلف فوق ما يطيق . وهذا ما صرحت به مرارا فى مختلف خطبى التى ألقيتها وتصريحاتى التى أذعتها للناس قبل التقسيم . فقلت فى خطبتى بلاهور : إنه من الممكن أن لا تتأتى هذه الغاية العليا المحبوبة إلا بالتدريج ، غير أن الذى لا مراء فيه هو أن كل خطوة نخطوها فى مهمتنا تكون أكثر وأجدى مما قبلها من الخطوات تقريبا للأمة المسلمة إلى هذا المقصد الزكى الطاهر ، كما أن ظلمة الليل لا تتقلص إلا شيئا فشيئا ، ثم يتنفس الصبح وتشرق الأرض بنور ربها ، وكما أن السقيم الذى أضناه المرض لا يبل من مرضه بغتة ، بل يتدرج إلى الصحة شيئا فشيئا ويتمتع بالقوة والعافية يوما فيوما. فهكذا نرجو أن تتقدم باكستان إلى نشاطنا القومى واستقلالنا الكامل بخطى متئدة وأقدام متزنة » .

مهمة وضع الدستور الجديد :

سيدى معالى الرئيس : أريد فى خاتم القول أن أقول لأعضاء هذا المجلس الكرام ، أن لا يستوحشوا من هذا الاقتراح ولا يفزعنهم هول ما انطوى عليه من المرمى البسيط .

فها أنتم ترون بأعينكم أن الخلاف بين مختلف الفرق الدينية تضاءل شأنه وكاد ينعدم نفوذه بفضل حركة باكستان الجليلة ، وإن بقى شىء من أثره اليوم ، فالأمل أن تنقشع سحبه عن قريب بالتعاون والتوادد فيما بينها إن شاء الله تعالى . والفرق الدينية والبلاد الإسلامية كلها تشعر بمسيس الحاجة إلى النظام الإسلامى وشدة افتقارها إلى المنهاج الإسلامى العادل . والذى أراه أن إخواننا من غير المسلمين إذا اختبروا هذا النظام العادل قليلا ، تجلت لهم الحقيقة واطمأنت قلوبهم إليه وزال عنها بعض ما عسى أن يكون قد لصق بها من سوء الفهم وقلة الاستئناس بهذا النظام . بل المرجو أنهم يغتبطون معنا بأننا نحن الباكستانيين ، جميعا قد أسدينا بإقامة هذا النظام خدمة جليلة للإنسانية وذلك فى مثل هذا العصر الذى عمت فيه الفوضى واتسع الخرق على الراتق . وما ذلك على الله بعزيز .

فالأمر الجلل الخطير الذى أمامنا اليوم هو أن نفوض أمر وضع هذا الدستور الجليل إلى رجال ذوى إصلاح ، متضلعين فى علوم الشريعة

عارفين بدقائق الدساتير الحديثة ودخائلها ، حتى يتمكنوا من مراعاة مختلف الجوانب والنواحى المهمة المودعة فى هذا الاقتراح ، وكذلك ينبغى أن يكون الذين يناط بهم هذا الأمر متفطنين لما ينطوى عليه هـذا الاقتراح من خفايا النـكت البالغة ، حتى يتأتى الدستور وفق ما يرمى إليه هذا الاقتراح من الهدف الأسمى ولا يحيد عن جادة الحق قيد شعرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباكستان اليوم

قامت الباكستان بعد جهاد مرير لتكون دولة لمسلمى الهند الذين لاقوا من الاضطهاد أنواعا ، ومن الأذى أشد صنوفه وألوانه ، بعد أن كانوا سادة على الهند ألف سنة تنطق بعظمتهم آثارهم الباقية ، وبينا فيما كتبنا المصاعب الكثيرة التى واجهت الدولة الناشئة والمصائب العديدة التى نزلت بأهلها ، وكيف تغلب عليها أولو الأمر حتى عادت الأمور إلى مجراها الطبيعى ، ونزلت الباكستان فى المعترك الدولى ، وليس بعجيب أن تسمو هذه الدولة فى مدة وجيزة إلى مصاف الدول الكبرى ، فهى أكبر دولة إسلامية وخامس دولة فى العالم حباها الله بميزات طبيعية ساعدتها على احتلال مركزها بين دول العالم .

والباكستان قسمان : باكستان الشرقية، وتتكون من شرق البنغال وسيلهيت وهى جزء من مقاطعة آسام ، وباكستان الغربية، وتتكون من مقاطعات غرب البنجاب ، وإقليم الحدود الشمالية الغربية ، وبلوخستان والسند . وتسقط الأمطار الغزيرة على باكستان الشرقية ، وتبلغ نسبة هطولها حوالى الخمسين بوصة فى السنة مما جعلها لا تعتمد على وسائل الرى ومشروعاته كالجداول والخزانات والسدود ، وعلى النقيض نجد

سهول باكستان الغربية تمتد منحدرة من سفوح جبال هيمالايا التى تنبع من قممها الأنهار بفروعها الكثيرة مما ساعد على تنظيم الرى بطريقة يسرت رى الملايين من الأفدنة فقد شقت الترع وحفرت الجداول والقنوات وأقيمت السدود التى من أهمها سدّ « سَكَّر » نسبة إلى مدينة سَكَّر بالسند ولهذا السد أهمية كبرى إذ بواسطته أمكن رى ستة ملايين من الأفدنة .

مما تقدم يتبين أن الباكستان بلاد زراعية وتبلغ مساحة الأراضى المزروعة فيها حوالى ٤٤ مليوناً من الأفدنة ، وأهم محاصيلها الزراعية الجوت والقطن والقمح والأرز وقصب السكر والشاى .

تنتج الباكستان ٤٠ ٪ من كل إنتاج شبه الجزيرة الهندية الباكستانية من القمح ، ٣٣ ٪ من الأرز ويصدر منهما مقادير كبيرة .

أما الجوت فتنتج منه الباكستان ٧٥ ٪ من مجموع ما تنتجه هى والهند متحدتين ، ومعنى هذا أنها تكاد تحتكر زراعته . ويزرع القطن غالباً فى غرب الباكستان ويصدر الجزء الأكبر من محصوله إلى كثير من البلاد الأجنبية كالولايات المتحدة والصين وأوربا .

وإذا كان الله تعالى قد منح الباكستان أنهاراً كثيرة وأرضا خصبة وإنتاجا وافراً فقد خبأت أرضها مقادير هائلة من المعادن كالبترول والفحم والكروم والنحاس والكبريت والحديد والجبس والملح وغيرها . وعلى محصولاتها ومعادنها قامت عدة صناعات هامة كالنسيج

والغزل والزجاج واستخراج السكر ، وقد أسس أكبر مصنع له فى آسيا فى بلدة مردان بباكستان الغربية ، كما أقيمت مصانع للأسلحة والذخيرة وتوليد الطاقة من مساقط المياه ولصناعة عربات السكك الحديدية وهى فى سبيل تأسيس عدد من المصانع الكبرى لصنع الآلات الميكانيكية والأدوات الزراعية .

وإن كانت الحكومة قد اهتمت بالزراعة والصناعة فلم تغفل عن التجارة وتشجيعها فتصدر الفائض عن حاجتها من الأرز والقمح والجوت والقطن والشاى ، وأهم الدول المستوردة من باكستان هى انكلترا والولايات المتحدة وبلجيكا والاتحاد السوفيتى وفرنسا وإيطاليا والصين واستراليا وأسبانيا .

وتستورد باكستان الأدوات الميكانيكية والمعادن والمنسوجات الصوفية والقطنية والخيوط والسيارات والأدوية والورق ، وتقل قيمة ما تستورده عن قيمة صادراتها ، وهذا دليل على سلامة مركزها التجارى ومتانته .

كانت مشكلة اللاجئين أولى المشاكل وأهمها ، فإسكانهم وإطعامهم وتيسير سبل الحياة لهم كل هم الحكام وشغل أولى الأمر الشاغل ، وقد تيسر إسكانهم جميعاً حتى لم يعد واحد منهم بدون مأوى ، كما تيسر إعادة الأمور إلى مجراها بعد أن هاجر الهندوس إلى الهند وغادروا الباكستان وكانوا يقومون بأعمال البنوك والمصارف فيها .

وفى ميدان الثقافة قطعت الباكستان شوطاً كبيراً فأنشأت المدارس والكليات وشكلت الجمعيات الثقافية لتوثيق روابط الصداقة بالبلاد الإسلامية وأكبر هذه الجمعيات الجمعية الباكستانية العربية الثقافية والجمعية الباكستانية الإيرانية والجمعية الباكستانية التركية والجمعية الباكستانية الأفغانية ، وكان رئيس الجمعية الأولى العلامة المغفور له شيخ الإسلام شبير أحمد العثمانى ورئيس هذه الجمعيات كلها صاحب المعالى فضل الرحمن وزير المعارف العمومية ، وأقيمت كلية عربية فى كراتشى تدرس جميع موادها فى الفرق العالية باللغة العربية الفصحى ، ويجبر طلبتها على استعمال العربية فيما بينهم ، كما تقام حفلات ثقافية أسبوعية تلقى فيها المحاضرات باللغة العربية كذلك قررت الحكومة تدريسها بجميع المدارس الثانوية ابتداء من هذا العام ، والغرض من كل هذا واضح هو نشر اللغة العربية فى الباكستان حتى تأخذ مكان الانجليزية ، وقد تعلمها بعض الوزراء والحكام واستطاعوا مخاطبة سفراء البلاد العربية بها ، وأراد الشعب أن يسير على نهج وزرائه وحكامه .

وشكل علماء الباكستان والمؤلفون والمترجمون جمعية باسم « رابطة التأليف والترجمة » يشتغل أعضاؤها بوضع كتب إسلامية وأدبية ليستفيد منها طلبة الكليات والمدارس .

ومن أكبر الجمعيات الإسلامية الثقافية فى الباكستان مؤتمر العالم الإسلامى الدائم الذى كان رئيس الشرف الأول له القائد الأعظم محمد على

جناح عند ما كان يسمى باسم جماعة الأخوة الإسلامية وسنفرد فصلا خاصاً نوضح فيه أغراض المؤتمر وأساليبه وتأريخه .

ولم تنس الباكستان جيشها الذى هو سياج استقلالها المتين وقوتها التى ترد بها عادية الأعداء المغيرين ، فاعتمدت فى ميزانيتها مبالغ كثيرة لترقيته وتسليحه وإقامة مراكز التعليم والتدريب ومعاهد لتخريج الضباط .

وتدرب فتيات الباكستان تدريباً عسكريا وشكلت منهن فرق عسكرية ، ويجدر بنا بهذه المناسبة أن ننوّه بجهود المرأة الباكستانية فقد كان لها نصيب وافر من الجهاد والكفاح من أجل قيام الباكستان ، ثم بذلت جهوداً جبارة فى تخفيف آلام اللاجئين فجهزت الأطعمة وأعدت الملابس وأسعفت المنكوبين الذين أنهكهم الجوع ، وقد أسس نساء الباكستان اتحادا يعمل على رفع مستواهن .

وفى ميدان الرياضة البدنية ضربت الباكستان بسهم وافر ، ولا عجب فقد اشتهر الباكستانيون فى المصارعة ، وفن السيف والهوكى ، وكان لهم القدح المعلى والغلبة فى مباريات هذه الألعاب العالمية فقد فاز غلام حسين غاما على أبطال الدول الكبرى فى المصارعة الدولية فى فرنسا ولندن والهند . وهذا البطل من كشمير وشقيقه الأصغر إمام بخش بطل الهند فى المصارعة ، وبطل الباكستان فى العام الماضى هو بهولو بن إمام بخش وقد نال جائزة من الحاكم العام .

وقد بقيت البطولة فى أسرة غاما منذ قرنين وكونوا أخيرا جمعية لنشر فن المصارعة وفكرتها فى كل الباكستان باسم الجمعية الثقافية البدنية ومركزها كراتشى وشعارها « العقل السليم فى الجسم السليم » ورئيسها مدير جامعة السند ووكيل مؤتمر العالم الإسلامى الدائم الأستاذ حليم .

أما فن السيف فقد أجاده المسلمون و برزوا فيه ونالوا شهرة كبيرة وكان سبباً فى غلبة المسلمين على الهنادك قبل ظهور المخترعات الحديثة . كما اشتهروا فى الهوكى وغلبوا أكثر دول العالم حتى استدعت مصر أحد أبطال هذه اللعبة وهو السيد أبو الحسن صديقى ليدرب المصريين حتى يشتركوا فى الدورة الأولمبية القادمة سنة ١٩٥٢ . وقد كان للزعيم الأول والقائد الأعظم محمد على جناح فضل كبير فى نشر الروح الرياضية وتشجيع الشباب الباكستانى ، وكان رحمه الله يرى الرياضة تقوى الأجسام وتشيع فى الشباب الروح المعنوية والذكاء . وقبل رئاسة جمعية الكشافة الباكستانية و بين مزايا الحركة الكشفية فى خطاب له جاء فيه : « إن الدور الذى تقوم به جمعية الكشافة لهو دور كبير له أثره الحيوى فى كيان الأمة ، فهى تقوم بخلق الشبيبة كما تبنى لهم أجسادهم السليمة القوية ، وتشيع فيهم الروح المعنوية والذكاء ، وهى كذلك تنظم صفوفهم وتجعلهم مواطنين نافعين . . . ونحن فى عالمنا هذا نعيش بعيدين عن الكمال المطلوب فنحن مع الأسف ، و إن كنا نعيش فى وقت تتقدم فيه المدنية والحضارة بخطوات واسعة نحو الأمام إلا أن قانون الغابة

لا يزال سائداً بيننا ولا تزال القوة هى الشريعة ، ولا يزال الضعيف فريسة مستكينة أمام القوى الجبار . . . وقد أعمى الحسد وحب الذات والرغبة فى التقدم على الغير ، عيون الأفراد كما أغشى بصر الأمم . . . ، فعلينا إن أردنا أن نقيم عالماً يشيع فيه السلام والطمأنينة ، عالماً سعيداً نظيفاً ، أن نبدأ بالفرد ، ندفعه منذ أن يتطلع إلى العالم ببصره الضيق المتفتح إلى أن يعتنق الشعار الذى تتخذه الكشافة من حب المصلحة العامة دون المصلحة الذاتية ، ومن تنقية الضمير والفكر ، ومن الاحتفاظ بالكلمة والرغبة فى العمل . . . » .

هكذا يبين الزعيم الراحل فوائد الكشافة وتأثيرها فى تربية النفوس والأمم وقد وعى الشباب الباكستانى كلام الزعيم وسار على هديه ، وبدا نشاطه فى ميدان الرياضة ملحوظاً ، وتقدمه فيها محسوساً .

ويمكن القول بأن الباكستان بدأت عامها الثانى مطمئنة قد زال عنها الخوف ، وبدأت تنظم أمورها الداخلية وعلاقاتها الخارجية وتبادلت مع كثير من دول العالم السفراء والممثلين السياسيين وأرسلت ممثليها فى مؤتمرات عالمية مختلفة ، وقد أثبتوا أنهم يؤيدون الحق ويدافعون عن الشعوب المظلومة .

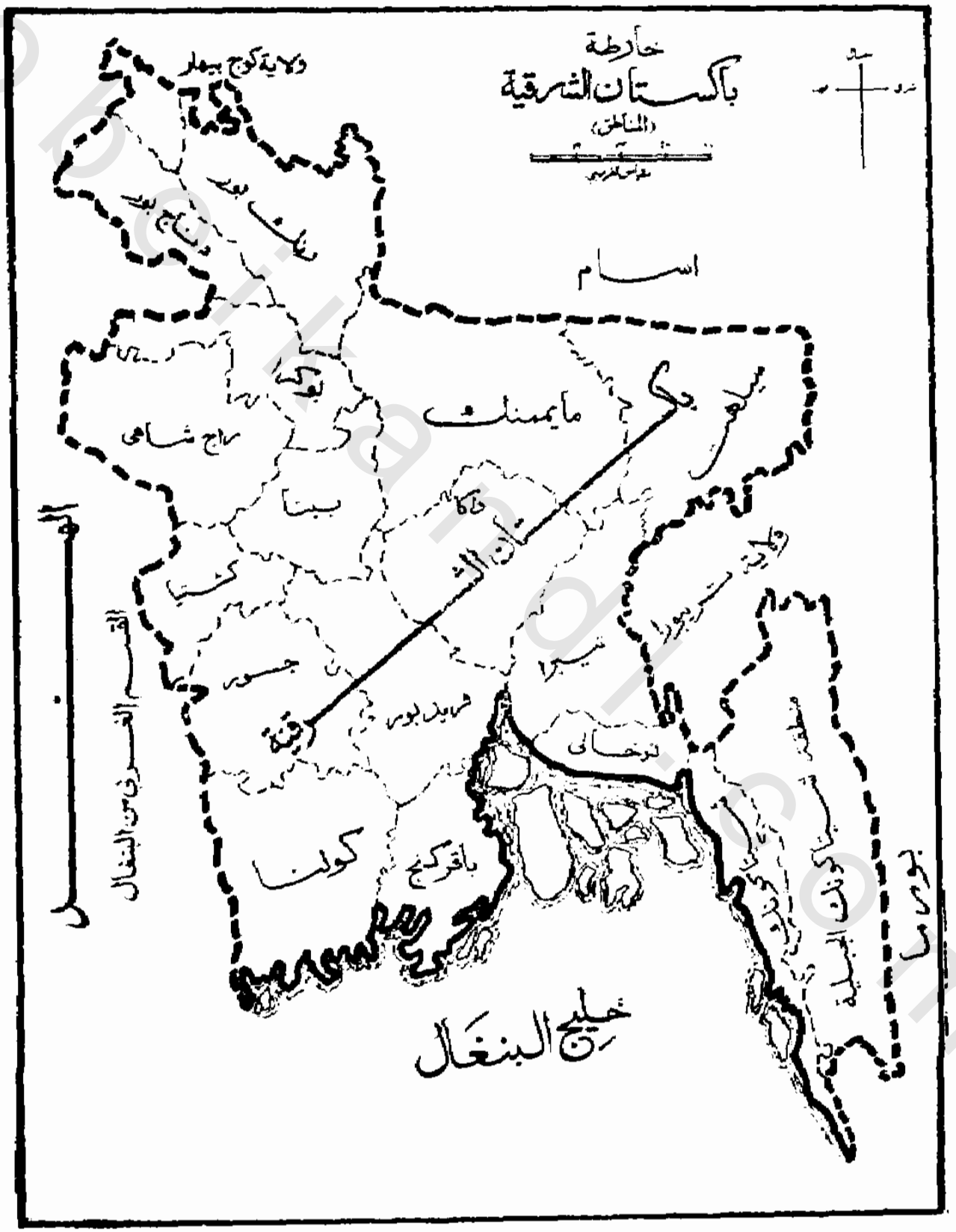
خارطة
باكستان الشرقية
(المناطق)
ولاية كوچ بيهار
اسام
ماينمنك
راج شاهى
بوگرا
بنا
كشيا
جسور
فريد بور
باقركنج
كولنا
خليج البنغال
الهند الغربية من البنغال
ولاية تريبورا
نوخالى
شيتاكونك
نوى دنا

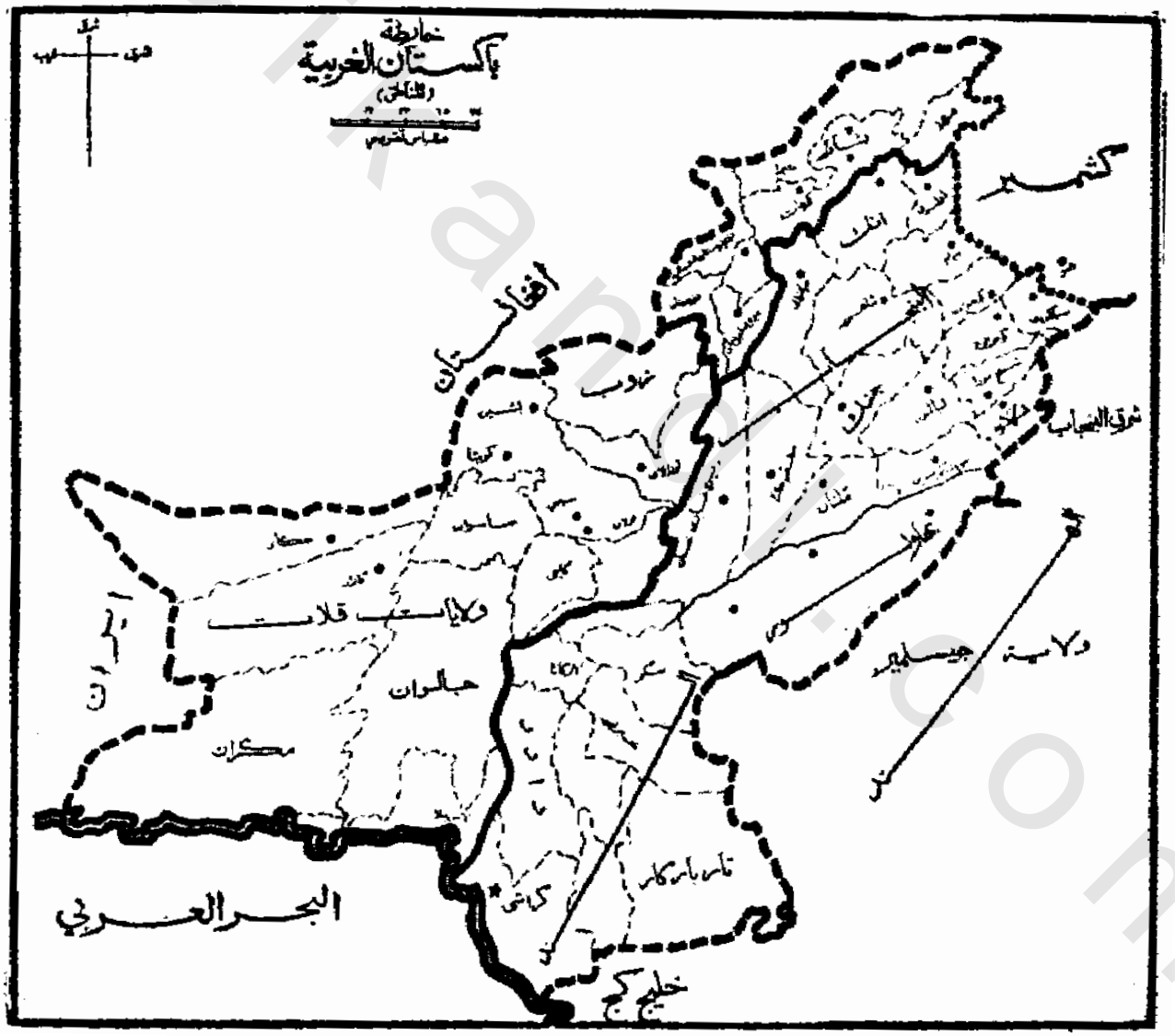
خارطة
باكستان الغربية
(الباكستان)
كشمير
أفغانستان
خدوب
ولايات قلات
جالوان
مكران
البحر العربي
خليج كج
ولاية جيسلمير

المشاكل بعد قيام الباكستان

مشكلة حيدرآباد :

رأينا فيما كتبنا المصاعب التى واجهتها الباكستان وهى فى مهدها، والمصائب التى ابتلى بها المسلمون ، وهم لما ينعموا بعد بمولد دولتهم الجديدة ، وكيف صبروا حتى أزال الله عنهم الغمة ، وفرج كربهم ، وبدّلهم من بعد حزنهم فرحا ، ومن بعد ضيقهم فرجا !! ولكن لم يكد العام الأول من عمر الباكستان ينتهى حتى رأى العالم جيوش الهند تدخل دولة حيدرآباد المستقلة فى سبتمبر سنة ١٩٤٨ وتسلب سلطان حاكمها المسلم (النظام) بعد أن كانت قد سلمت بسلطته العليا ، وتعهدت لعدم التدخل فى أمور حيدرآباد الداخلية ، ومد يد العون لها ، وإمدادها بالأسلحة وغيرها .

تقع دولة حيدرآباد الدكن فى الشمال الشرقى من منطقة الدكن ومساحتها ٨٢٦٩٨ ميلا مربعا ويدين سكانها بأديان مختلفة، ويبلغ عدد المسلمين ثلاثة ملايين ونصفا من عدد السكان البالغ ستة عشر مليونا ونصف مليون تقريبا ويحكمها النظام المسلم الذى ينحدر من الأسرة الآصفية التى حكمت حيدرآباد بعد زوال عرش المغول بدهلى ، وذلك فى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى .

ويدين سكان حيدرآباد بأديان مختلفة وأكثرهم من المنبوذين ، ويتمتع المسلمون بنفوذ عظيم فى الناحيتين السياسية والثقافية ، ويوجد فيها عدد من المسيحيين والفارسيين (زردشتيين) .

وتمتاز حيدرآباد بأنها استطاعت المحافظة على استقلالها منذ عصور بعيدة ، حتى عندما اضطربت أحوال الهند السياسية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى بقى الأمن مستتبا وما ذلك إلاّ لأن كل طبقة من الطبقات قد روعيت حقوقها واطمأنت كل منها على مصالحها فشاعت الطمأنينة بين السكان جميعا ، يضاف إلى هذا كثرة الموارد والتجارة ، فهى تصدر كميات كبيرة من القمح والقطن والحبوب إلى الهند وغيرها ، وتقدر تجارتها الخارجية بمئات الملايين ، وتنفق ٤٠ ٪ من إيراداتها فى مختلف وجوه التعمير ونشر التعليم ، والجامعة العثمانية مفخرة من مفاخر حيدرآباد فهى أرقى وأكمل جامعات الهند ، وبجوارها المدارس الكثيرة حتى غدت حيدرآباد مركزا من أهم مراكز الثقافة الإسلامية فى الهند ، ولم تغفل عن العناية بشئون الرى والصحة وترقية الصناعة .

قلنا إن الأمن كان مستتبا فى حيدرآباد لأن كل طبقة من الطبقات قد روعيت حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية مما لم يدع مجالا لنشوب الخلافات وإثارة الفتن ، إلا أن الهنادك عملوا على اثارة الفتن وتعكير العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الرعايا ولكن الفشل كان حليفهم ، رغم ما بذلته الحكومات الهندوسية المتاخمة لحدود حيدرآباد ،

ولما رأى زعماء المسلمين ما يبيته الهنادك لإشاعة الفرقة و بذر بذور الفتنة بتدبير المؤامرات ، بدأوا ينظمون صفوفهم بقيادة المرحوم محمد بهادر خان وأنشأوا (مجلس اتحاد المسلمين) ولم يلبث أن قوى نفوذه وانتشرت فروعه وكان الغرض من إنشائه الحصول على الاستقلال التام لحيدرآباد .

كان بين الإنجليز والنظام عهود ومواثيق معترف فيها بحق حيدر آباد فى الاستقلال التام ، وعندما قسمت الهند فى سنة ١٩٤٧ كان للإمارات حق الاستقلال أو الانضمام إلى الهند أو الباكستان ، ورأت حيدرآباد أن تحتفظ باستقلالها منعا من إثارة بعض الطبقات إن هى انضمت إلى دولة من الدولتين ، ولكن الهند دبرت حركة لإثارة القلاقل حتى تتخذ منها ستارا للتدخل فى شئونها رغما عن وجود معاهدة بينهما عقدت فى نوفمبر سنة ١٩٤٧ م سلمت فيها الهند بسلطة النظام ، بل وتعهدت بعدم التدخل فى أمور دولته ، ولكنها عادت فنقضت هذه المعاهدة ، وأثيرت الخلافات الطائفية بين الأهالى ، فأريقت الدماء ، وانتشرت نيران الحرائق فى المنازل ، وهوجمت الحدود ، ودخل جيش الهند حيدرآباد ، وقبض على الوزراء والزعماء ، ولم تُيسر لهم سبل الدفاع عن أنفسهم ، فهم لم يرتكبوا ذنبا ، إلاّ أنهم أرادوا حياة مستقلة ، وعزة وحرّية ، فأبت عليهم الهند ما أرادوا .

لقد خشيت الهند الاستفتاء إنْ أُجرى فى حيدر آباد ، لأن المنبوذين والمسلمين ، بل ومعهم بعض الهنادك يفضلون الاستقلال

ويرفضون الانضمام إلى الهند ، لأنهم يعتقدون أن استعمار انبراهمة أشد وطأة وأقسى من أى استعمار آخر ، ويرون الانتحار والفناء فى انضمام حيدر آباد إلى الهند .

ويقول نواب معين نواز جنج مندوب ولاية حيدر آباد فى هيئة الأمم المتحدة فى مؤتمر صحفى عقده بالقاهرة « إن أهل حيدر آباد يعتبرون انضمام بلادهم إلى الهند غير شرعى أو قانونى ، لأنه لم يتم وفقا للقوانين الدولية المعترف بها . ولم يكن معبرا عن رأى أهل حيدر آباد أنفسهم ، لأن الهنـد لم تدع هؤلاء المواطنين يعبرون عن رغبتهم عن طريق استفتاء شعبى حر ، وإنما أرغمت السلطات الحاكمة إرغاما على قبول ذلك الانضمام . . . إن حيدر آباد تعيش الآن فى جو مكفهر مكهرب ، فحقوق المواطنين غير مكفولة ، لأن السلطات الحاكمة الآن تعتقل العشرات والمئات منهم وتزج بهم فى السجون وتعاملهم معاملة غير لائقة » .

وقد أوردنا ذكر هـذه المسألة هنا ، لأن أكثرية المسلمين قد هاجروا إلى الباكستان فى الوقت الذى كان مهاجرو شرق البنجاب ودهلى يتدفقون فيه بالملايين ، كذلك لنقارن بين مسألة حيدر آباد ومشكلة كشمير التى سنتحدث عنها لأهميتها ، إذ على حلها يتوقف السلام بين الدولتين الباكستان والهندوستان .

مشكلة جوناجره وملحقاتها :

كانت هذه الدويلة مركزا لدولة محمود الغزنوى الذى غزا الهند وحطم معابد الأصنام ومن أشهرها سومنات فهى دويلة إسلامية قديمة يحكمها أحد أفراد أسرة السلطان محمود الغزنوى ، وقد ضمّ دويلته إلى الباكستان بعد أن استشار كبار القائمين بالأمر . والاتصال بينها وبين باكستان بحراً ، وهى موطن لكبار الأغنياء المسلمين فى الهند .

أثار خبر انضمامها إلى الباكستان غضب الهنادك ، وأرسل بنديت نهرو جيشا هنديا غزاها ، واستولى عليها ، وقبض على ناصية الأمور فيها ، واضطر حاكمها وكبار موظفيه إلى الذهاب إلى كراتشى حيث يقيمون الآن .

ويحق لنا أن نسأل ! . كيف ضمت الهند إليها ولاية كشمير مع أن حاكمها لم يستشر أحداً من الشعب ولا من المجلس التشريعى المسلم مع أن المسلمين غالبية عظمى فنسبتهم ٨٥ ٪ من سكان كشمير وكلهم يعارضون فى الانضمام إلى الهند ؟ ولو جاز انضمام حاكم كشمير إلى الهند فهلا جاز انضمام حاكم جوناجره إلى الباكستان ؟ وإذا كانت الأكثرية الهندوكية فى هذه الدويلة عاملا لإرسال الجيش إليها والاستيلاء عليها فهلا كانت الأكثرية المسلمة فى كشمير عاملا يدفع الباكستان إلى إرسال جيوشها والاستيلاء عليها ؟

ولكن الباكستان دولة تحب السلام وتدعو إليه وتكره الطغيان وتنفر منه .

مشكلة كشمير :

إن كانت الهند قد رأت فى حيدر آباد كثرة غير مسلمة مما جعلها تسير جيوشها وتحتلها وتسلب سلطان حاكمها المسلم ، فماذا دفعها لغزو كشمير والضغط عليها بكافة الطرق وهى فى موقعها وكثرة سكانها المسلمين ومتاخمة حدودها لحدود الباكستان تدل على قوة ارتباطها بالباكستان كما قال دولة لياقت على خان فى كلمته عن كشمير بجلجيت Oilgit « لنحكم المقاييس المعروفة وهى الثقافة والحالة الاقتصادية والأوضاع الجغرافية والعقيدة الدينية فإن هذه تدلنا على أن كشمير وباكستان ترتبطان بأربطة لا انفكاك لها ، ولكن حكومة الهند أغفلت هذه الاعتبارات وأهملت رغبات أكثرية سكان المنطقة فاتفقت مع المهراجا ورتبت أمر دخولها إلى المنطقة خلافا لمبادىء القانون والأخلاق وبغض النظر عن الاتفاقية القائمة بين حكومة باكستان والمهراجا حول محافظة الأوضاع الراهنة .

فقد اتخذت حكومة الهند من اتفاقها السخيف مع المهراجا وسيلة لتباعد بيننا وبين إخواننا . إن زعماء الهند لا يفهمون رغبات سكان كشمير الذين يريدون أن يعيشوا معنا لأنهم يشاركوننا العقيدة والثقافة الموروثة . إنهم لا يريدون أن يعلموا بأن ازدهار اقتصاديات كشمير يتوقف على انضمامها إلى الباكستان وأنهم لا يريدون أن يفهموا بأن كشمير وباكستان تؤلفان وحدة جغرافية غير قابلة للتجزئة . إن كل

هذه الاعتبارات لا تعنى شيئاً فى رأى زعماء الهند ، وأنهم لا يريدون سوى أن يفهم العالم رجحان مدعياتهم غير المشروعة القائمة على المتناقضات » .

هذا ما قاله دولة رئيس وزارة الباكستان مجملا فى خطابه فلنوضح الأمر حتى يستبين الحق وليعرف الناس مشكلة كشمير على وجهها الصحيح .

تقع كشمير وجامو فى أقصى الشمال من شبه القارة الهندية الباكستانية وتتاخم روسيا والصين فى الشمال والشرق والأفغانستان وباكستان فى الغرب ثم الهند فى الجنوب وتبلغ مساحتها ٨٤٤٧٧ ميلا مربعاً وسكانها حوالى أربعة ملايين أغلبهم من المسلمين الذين تبلغ نسبتهم ٨٥ ٪ وهم يتفقون تماما مع مسلمى غرب الباكستان فى الثقافة واللباس والمأكل والعادات .

عرفت كشمير بهذا الاسم منذ أكثر من عشرين قرناً وهى محاطة بالجبال الشاهقة مما دعا إلى القول بأن أصل تسميتها (كاساميرا) ومعناها الحوض الصخرى ، وهناك تعليلات أخرى .

تمتاز كشمير بجمال الطبيعة وسحرها ، وبديع جوها ، وتشتهر بالحدائق الفيحاء ، وندرة الأزهار ، وتدفق الأنهار ، حتى غدت مهبط الزائرين من كافة الأقطار ، وفى مختلف العصور والأزمان .

دانت كشمير لحكم البوذيين والهندوكيين ، وكانت عهودهم مملوءة

بالمظالم ، انتشرت فيها الفوضى ، وقام الحكام على الدس والتقتيل وكان الشعب يرسف فى أغلال العبودية والذل ، حتى دخل الإسلام هذه البلاد فاعتنقه الأهالى لأنهم وجدوا فيه العدل والبساطة ووجدوا فيه المنقذ الوحيد مما هم فيه من الذل والاستعباد .

حكم المغول كشمير من سنة ١٥٥٧ إلى سنة ١٧٥٢ م وكانت هذه السنين من أحسن الأوقات التى مرت بكشمير وأرغدها ، فقد بلغت من الرقى والمدنية مبلغاً عظيما ، فارتفعت الصناعة وانتشرت فى داخل البلاد وخارجها ، واستتب الأمن وراجت التجارة وانتعشت الأسواق وصارت مقصداً للزائرين .

وخضعت كشمير لحكم الأفغان واشتهر بعض حكامهم بالقسوة والغلظة واشتهر بعضهم بالعدل وحسن التدبير .

وكان حكم السيخ من أسوأ العهود التى مرت بكشمير فرجعت البلاد القهقرى ، وعم الظلم ، وانتشرت الفوضى ، وقامت ثورات عدّة كادت تطوّح بسلطانهم ، وكان تعصبهم للهنادك من أشد الأمور التى كانت تضايق المسلمين ، حتى لقد قيل إنهم لو سمعوا أو ارتابوا فى أن أسرة مسلمة ذبحت بقرة قتلوا جميع أفرادها .

وأسوأ من حكم السيخ حكم الدوجرا الذين هم من قبيلة راج بوت الهندوكية ، وكانوا يقطنون مقاطعة جامو ، وحكم أحد رجالها هذه المقاطعة ، واشتغل أكثر رجالها بالجندية ، وكانوا من خيرة الجند .

وأول حاكم من رجال هذه الأسرة هو « جلاب سينج » ، ومنذ بدء عهده بالحكم ، بدأت الحرب بين الانجليز والسيخ فى البنجاب ، وكان وسيطاً للصلح بينهما ، لذلك باع له الانجليز كشمير بسبعة ملايين ونصف من الروبيات حسب ميثاق « امرتسر » فى ١٦ مارس سنة ١٨٤٦ ، وبهذا انتقل حكم الولاية إلى الدوجرا ، ولما كان « جلاب سينج » قد نشأ فى بلاط السيخ فقد أخذ عنهم عداوة المسلمين والتعصب ضدهم فأغلق المساجد وأهان المسلمين ، وخلفه ابنه « رانبير سينج » ، وكان طيب القلب ، وحكم حتى سنة ١٨٨٥ ، وخلفه « برتاب سنج » وكان متديناً غير متعصب ، حتى أن بعض الهندوكيين ، وجهوا إهانة إلى القرآن الكريم ، غضب من أجلها مسلمو منطقة بونج ، وآثروا الهجرة من كشمير ، فأرضاهم هذا الحاكم . وبعد أن توفى فى سنة ١٩٢٥ خلفه ابن أخيه المهراجا « هرى سنج » حاكم كشمير الحالى . وهو مستبد متعصب ، لم يسمح للمسلمين بالالتحاق بالأعمال الحكومية ، المدنية منها والعسكرية ، وكان حجر عثرة فى سبيل تقدمهم ، حتى لم يكن لهم عمل غير جر العربات ، وحمل الأثقال .

ولم يهتم بإصلاح البلاد حتى عاش الأهالى فى فقر مدقع ، وكان ينفق على شخصه ٣٠ ٪ من الإيرادات ، و٥٠ ٪ على حرسه الخاص و ٢٠ ٪ على شئون الولاية .

وفى عهده قامت فى كشمير جمعيات سياسية ، بعد أن ضاق

المسلمون ذرعاً وأرادوا التعبير عن رغباتهم ، من هذه الجمعيات المؤتمر الوطنى الإسلامى The Muslim National Conference وكان رئيسه الأول الشيخ عبد الله حاكم كشمير المحتلة حالياً ، وكان أعضاؤه من المسلمين والهنادك . ولما رأى المسلمون أنه يسير بتوجيه حزب المؤتمر الهندى ويخضع فى تصرفاته لأوامر بنديت نهرو ، كونوا المؤتمر الإسلامى الكشميرى برئاسة « تشودرى غلام عباس » وصار يعمل مستقلا عن المؤتمر الوطنى الإسلامى ، بتوجيه من الرابطة الإسلامية فى الهند ، و بذلك أصبح المؤتمر الوطنى مقصوراً على الهنادك وعلى عدد قليل من المسلمين كالشيخ عبد الله و بعض أتباعه .

أخذ المؤتمر الإسلامى ينمو ويزداد قوة و بأساً بتشجيع الرابطة الإسلامية والقائد الأعظم محمد على جناح ، الذى زار كشمير فى سنة ١٩٤٤ وأعلن فى خطاب ألقاه فى المسجد الجامع أكبر مساجد كشمير ، مصرحاً بأنه «يجب أن يتكتل جميع مسلمى كشمير تحت راية المؤتمر الإسلامى» لأنه يرى الخير فى ابتعادهم عن الهنادك .

نشط المسلمون ، وقوى نفوذهم ، حتى كتب لهم الفوز فى انتخابات المجلس التشريعى منذ عام ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٤٦ وقد نادى بضرورة تشكيل حكومة مسئولة ، ولكن سرعان ما قبض على زعمائه وأودعوا السجون .

لما أعلنت الحكومة البريطانية فى يونية سنة ١٩٤٧ مشروع

تقسيم الهنـد وترك للولايات أمر تقرير مصيرها ، إما البقاء مستقلة أو الانضمام إلى أية دولة من الدولتين الجديدتين ، كان مهراجا كشمير يميل إلى الانضمام إلى الهند ، بينما كانت الأغلبية تريد الانضمام إلى الباكستان وليس هذا بغريب فالاتصال وثيق بين كشمير وباكستان ، والعادات والتقاليد متشابهة ، واللغة والدين ، والحالة الاقتصادية والأوضاع الجغرافية تؤيد كلها رغبة الأهالى ، إلا أن المهراجا كما قلنا ، كان يميل إلى الهند ، وبقيت رغبته فى طى الكتمان إلى أن زاره غاندى فى سنة ١٩٤٧ ، وعلى إثر هذه الزيارة ، أعلن المهراجا رغبته فى الانضمام إلى الهند ، وقامت العصابات الإرهابية بارتكاب الفظائع ، وعاث أفرادها فى الأرض فسادا ، خاصة بعد أن ثار أهالى بونج على الحكومة ، وأضربوا عن دفع الضرائب التى فرضت عليهم بالقوة ، أخذت هذه العصابات تقتل المسلمين وتدمر منازلهم ، حتى اضطروا إلى اختراق حدود الباكستان هرباً ، ولكن ثورة أهالى بونج امتدت إلى سائر جهات كشمير ، وكان الثوار رجالا أشداء أقوياء ، من الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الماضية ، أمكنهم الانتصار والفوز ، وتحرير كثير من الأماكن أصبحت تحت سيطرة حكومة كشمير الحرة (آزاد كشمير) التى يرأسها السردار محمد إبراهيم خان الذى زار القاهرة فى هذه الأيام ، وعقد مؤتمرا صحفيا وضح فيه المشكلة توضيحا كافيا ، ونحن ننقل حديثه فى هذا المؤتمر كما جاء

بصحيفة الأهرام الغراء فى ١١ فبراير سنة ١٩٥٠ ليتبين للقارىء موضوع كشمير كما يرويه أحد أبنائها الأحرار :

إن حكومة أزاد كشمير هى الحكومة الوطنية الشعبية فى البلاد ، وإنها تقف من الخلاف القائم بين الهند والباكستان موقفا تحدده رغبة الشعب الكشميرى نفسه ، فإذا شاء أن يبقى مستقلا عن كل من الهند والباكستان احترمنا رغبته ، وإذا شاء حقا الانضمام إلى إحداهما احترمنا أيضا مشيئته بشرط أن يكون إعرابه عن رغبته فى جو من الحرية والحيدة ، وبدون أى ضغط عليه من أى جانب .

ومضى فقال : إن حكومة الهند تضع العراقيل أمام كل وسيلة لحل هذه المشكلة ، أملا فى إطالة أمدها حتى يستولى الملل على سكان المنطقة التى تحتلها الهند ، بسبب شدة ما يعانون من فقر وضيق اقتصادى مما قد يرغمهم على قبول الاحتلال الهندى لهم ، تخلصا من تلك الحالة العسيرة ، وهكذا تطمع الهند فى أن تسبغ على احتلالها العدوانى طابعا شرعيا ، بوضعها الرأى العام العالمي أمام « الأمر الواقع » .

إن ولايتى كشمير وجامو لا تتصلان بالهند جغرافيا إلا من ناحية منطقة كاتوا الضيقة ، وهى منطقة جبلية ليست بها ممرات أو طرق ، مما يجعل هذا الاتصال إسميا أكثر منه فعليا ، ولا أدل على ذلك من أن الهند حتى الآن لا تتصل بكشمير وجامو إلا بالطائرات فى أغلب الأحيان نظراً لصعوبة الاتصال البرى بهما ، وهذا بخلاف الحال مع

الباكستان ، فإن هاتين الولايتين متصلتان بها اتصالا طبيعيا ، بأنهارهما وأراضيهما وسهولها .

وفضلا عن ذلك فإننا إذا تركنا مسألة أن أغلبية السكان فيهما من المسلمين ، وميولهم من هذه الناحية مع الباكستان طبعا ، نجد أن خمسين فى المائة من اقتصاديات هاتين الولايتين يتم عن طريق تعاملهما مع الباكستان ، ولا سيما فى تجارة أخشاب الغابات ، وهى من أهم صادراتهما ، وعملية التصدير تتم عن طريق الأنهار التى تربط الولايتين بالباكستان .

وسكان كشمير ، وفاقا لتعداد ١٩٤١ أربعة ملايين نسمة ، ونصفهم الآن فى المنطقة التى تحتلها الهند ، والنصف الآخر موزع بين كشمير الحرة والباكستان ، ذلك لأن ما يقرب من نصف مليون نسمة فروا من العدوان الهندى ولجأوا إلى الباكستان .

ثم قال : إنه من العجيب أن تناقض حكومة الهند نفسها بنفسها ، متذرعة بشتى الأعذار لتحقيق مصالحها التى تهدف إلى التوسع ومد النفوذ والسلطان ، فهى إن احترمت تارة رغبة حكام الولايات ، نجد أنها فى كثير من المرات ضربت بتلك الرغبة عرض الحائط إذا لم يكن فى تحقيقها مصلحة لها .

خذ مثلا موقفها من مسألتى حيدر آباد وكشمير ، ففى الأولى الحاكم مسلم وأغلبية السكان من الهنود ، بينما الحال على العكس من ذلك فى

الثانية إذ أن الحاكم هندى وأغلبية السكان من المسلمين ، وقد أراد نظام حيدرآباد أن يبقى مستقلا عن كل من الهند والباكستان ، ولكن الهند لم تحترم إرادته ، وتذرعت بأن أغلبية سكان حيدر آباد من الهنود فمصلحة الهند تقضى بإهمال إرادة الحاكم المسلم وضم الولاية بالقوة المسلحة إليها . أما فى كشمير فكان من البديهى أن يميل الحاكم الهندى للانضمام إلى الهند ، ليأمن جانب أغلبية السكان المسلمين فرحبت الهنـــد بتصريحه ، وغضت النظر عن حقيقة رغبة أغلبية السكان المسلمين .

ومضى فقال : إن حكومة ازاد كشمير بذلت كل ما فى وسعها لتحسين حالة السكان المقيمين فى المنطقة التابعة لها فأنشات لهم الكثير من المدارس ، حتى بلغ عدد الابتدائية منها نحو ٦٠٠ مدرسة والمتوسطة ٢٠ مدرسة والعليا ٦ مدارس . كما أنها مدت مئات الأميال من الطرق المعبدة التى تربط مختلف أنحاء المنطقة بعضها ببعض ، مما كان لها أحسن أثر فى تحسين الحالة الاقتصادية فى البلاد ، على العكس من الحال فى المنطقة التى يحتلها الجيش الهندى ، فالغلاء هناك فاحش ، والفقر المدقع منتشر إلى حد جعل بعض أبناء تلك المنطقة يعتنقون المذاهب الهدامة أملا فى التخلص من حالة الضنك التى يعانونها منذ احتلت الهند بلادهم .

ثم قال : إن المهراجا هارى سنغ ، حاكم الولاية ، كان يستأثر بإيراداتها فينفق على شخصه ٣٠ فى المائة من تلك الإيرادات ، و٥٠ فى المائة

على قواته وحرسه الخاص ، وكان يترك للإدارة الحكومية ومشروعات الإصلاح والتعليم عشرين فى المائة فقط من تلك الإيرادات !

وقد حاول السكان المسلمون أكثر من مرة إصلاح هذه الحال ، فكانت النتيجة اعتقال زعمائهم والزج بهم فى السجون ، ومن هؤلاء الشيخ عبد الله نفسه الذى لم يطلق سراحه إلا بعد أن قبل التعاون مع الباندیت نهرو ، فخان قضية الوطن من أجل مصلحته الشخصية !

وسأله مندوب « الأهرام » عن رأيه فى عرض المسألة على هيئة الأمم فقال : إنه اتصل بالجنرال ماك نوتن و بغيره ، مبينا لهم حقيقة الحال ، فاقتنعوا ، حتى أن ماك نوتن نفسه ضمن تقريره كثيرا من الحقائق التى أوضحتها له ، ولكن يبدو أن ثمة أسبابا خفية تدعو إلى عدم البت فى هذه المسألة بسرعة رغم وضوحها ورغم ظهور الحق فيها لمصلحة الباكستان.

وقال : إنه يخيل إليه أن الدول الكبرى تسعى إلى مرضاة الهند لكبر عدد سكانها ولكبر مساحتها ، على حساب العدالة والحق ، وفاتها أن الحق لا بد أن يظهر وينتصر ، مهما تكبر المساحة ويكثر عدد السكان .

ثم قال : إن الهند تعانى متاعب كثيرة بسبب اتساع مساحتها وكثرة عدد سكانها ، فكان يجدر بقادتها القناعة بما حصلوا عليه ، والعمل على توفير أسباب الرفاهية لمواطنيهم والحيلولة دون تعرضهم لاعتناق المذاهب الشيوعية التى بدأت تروج بكثرة بينهم .

وعاد المندوب يسأله عن رأيه فى الطريقة التى يجب أن تحل بها المسألة فقال : إن حكومته وافقت على إجراء استفتاء محايد وتعهدت باحترام نتيجته ، وقد قبلت الباكستان نزع سلاح القوات المرابطة فى كشمير الحرة ، بشرط أن تسحب الهند قواتها من تلك البلاد . ولـكن الهند رفضت ذلك الاقتراح الذى تقدم به الجنرال ماك نوتن وطلبت فى خبث أن يعهد إليها بالدفاع عن المناطق الشمالية من البلاد ، فإذا علم أنها الآن تحتل المناطق الجنوبية ، فـكأنها بطلبها العجيب تريد أن تحتل كل البلاد تحت ستار الدفاع عنها ، و بديهي أن ذلك الطلب قد رفض لعدم تمشيه مع المنطق والحق والعدل . .

قلنا إن الثوار قد انتصروا فى عدة مواقع ، واحتلوا كثيرا من الأماكن ، وانضم إليهم كثير من رجال القبائل التى تقطن غرب الباكستان ومعهم كثير من اللاجئين من الهند ، دفعهم إلى هذا استغاثة إخوانهم فى الدين والعادات والدم والجوار ، ولم تستطع حكومة الباكستان أن تردهم ، ولما رأى المهراجا هذه الثورة الجائحة ، والجموع الهائجة الثائرة ، اضطر إلى الهرب إلى مدينة جامو ، وطلب مساعدة الجيش الهندى لإخماد هذه الثورة والانضمام إلى الهند .

قبل حاكم الهند انضمام كشمير ، وأرسل قواته لإخماد الثورة القائمة ضد المهراجا ، ولـكن الباكستان لم يغب عن بال أولياء الأمر فيها أن انضمام كشمير إلى الهند لا يستند على عدل أو حق إذ جاء وفق

رغبة الحاكم وضد رغبة أغلبية المحكومين .

لم تشأ حكومة الباكستان أن تتدخل فى أمور كشمير الداخلية مع أن موقف الهنادك والمهراجا من المسلمين كان كافيا لتدخل الباكستان ولكنها سعت إلى حل هذه المشكلة بالطرق السلمية ، إلا أن حكومة الهند لم تظهر النية الحسنة لتسوية النزاع فاقترحت الباكستان فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧ عرض الأمر على هيئة الأمم المتحدة ولكن الهند رفضت هذا الاقتراح إلا أنها عادت فعرضت هي نفسها المسألة على مجلس الأمن في أول يناير سنة ١٩٤٨ .

و بعد أن عرضت المشكلة على بساط البحث فى مجلس الأمن ، قدمت عدة اقتراحات لحلها ، انتهت بتشكيل لجنة لدراستها ، وسافرت اللجنة إلى الهند والباكستان وكشمير و بعد الانتهاء من بحثها ، وضعت قرارا ملخصه : « إن التوصل إلى تسوية نهائية للموقف فى جامو وكشمير يتطلب حتما إيقاف القتال فورا ، لأن استمرار الأعمال العدوانية هناك يهدد السلام والأمن العالميين ، لذلك رأت أن تضع حكومتا باكستان والهند نصب عينهما العمل على ما يأتى :

١ — ضرورة إصدار الأوامر بإيقاف القتال .

٢ — أن توقع الدولتان توا على أثر ذلك اتفاقية الهدنة .

٣ — بعد التوقيع على اتفاقية الهدنة مباشرة تجرى الاتصالات بين دولتى الهند و باكستان ، ولجنة الأمم المتحدة حول التدابير الواجب

اتخاذها لضمان حرية استفتاء سكان كشمير وجامو وتمكينهم من إبداء رأيهم فى الحكم الذى يختارونه ، ولما خولف قرار وقف القتال ، اضطرت الباكستان لرفع الأمر لمجلس الأمن الذى نظره فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، ثم أهاب بالهند والباكستان أن يمتنعا عن القيام بأى عمل سياسى أو حربى قد يزيد الخلاف فى جامو وكشمير .

يتبيّن مما ذكر أن الهند ترى فى انضمام هرى سيخ إليها أن كشمير أصبحت جزءا من الدولة الهندية ، و بذلك تكون الباكستان دولة معتدية ، ولكن ما تعلنه الهند لا يتفق مع موقفها فى حيدر آباد وجوناجره ، فقد عارض حاكماها الانضمام إلى الهند إلا أنها استولت عليها وضمتها بالقوة .

علم الباكستان وقصته

لا يرمز علم الباكستان إلى أى حزب سياسى ولا إلى مذهب دينى معين ، بل هو رمز لدولة الباكستان وللأمة الباكستانية التى أخذت مكانها بين الأمم الكبيرة منذ ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ ، فهو يمثل ، والحالة هذه ، الضحايا والتضحيات الجسيمة التى بذلتها الأمة رخيصة فى سبيل انشاء هذه الدولة الحرة المستقلة فى شبه القارة الهندية الباكستانية وهو فى نفس الوقت علم الحرية والتحرير والمساواة الذى يستظل تحته كل مواطنى الباكستان .

وقصة هذا العلم تبدأ منذ ١٨ يوليو سنة ١٩٤٧ عند ما أعلنت انجلترا قيام الباكستان دولة مستقلة من يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ وسرعان ما عقد المجلس التأسيسى للدولة الجديدة جلسة هامة يوم ١١ أغسطس من نفس العام لاختيار العلم رمز البلاد ، حيث قدم دولة لياقت على خان رئيس الوزراء — وكان يومئذ عضواً بالمجلس — اقتراحاً يتضمن هيئة هذا العلم وشكله ووصفه . وفى نفس اليوم أقر المجلس هذا الاقتراح ، واختارت البلاد علمها .

وإقرار السلام فى ربوع العالم من أهداف الباكستان الرئيسية . لذلك كان مما يمثله علمها رمزه للسلام . ورغم كل ما حدث من محاولة

إثارة الباكستان ، فضلت هذه أن تعالج أمورها حسب الطرق الدستورية التى اعترفت بها هيئة الأمم المتحدة ، وعلى هذا يكون علمها كذلك مرشداً لسكان البلاد يهديهم إلى أمثل هذه الطرق وأصحها :

أما شكل العلم الخاص ولونه فيتمثل فى الآتى :

١ — يمثل اللونان الأخضر والأبيض السلام والفلاح .

٢ — يمثل الهلال التقدم والنجاح ، وقديماً اختارته الدول الإسلامية شعاراً لها ، مما دعا الباكستان لاختياره اليوم .

٣ — تمثل النجمة إشعاعات النور والمعرفة .

وعلى هذا يكون علم الباكستان شعاراً للدولة ، ترمز به إلى السلام والفلاح والتقدم والمعرفة .

مؤتمر العالم الاسلامى

فى شهر ديسمبر عام ١٩٣٧ قامت فى أذهان ممثلى الثقافات الإسلامية المختلفة المقيمين بالقاهرة فكرة العمل على تبادل المعارف والثقافات والسير نحو الوحدة عن طريق هذا الاتصال الثقافى فدعوت إلى اجتماع تاريخي تم انعقاده بدار الجالية الهندية الإسلامية بمدينة القاهرة إذ ذاك وكانت البداية المباركة إنشاء جماعة الأخوة الإسلامية وعلى رأسها الدكتور عبد الوهاب عزام بك عميد كلية الآداب وأستاذ اللغات الشرقية بها سابقا ووزير مصر المفوض الآن لدى المملكة العربية السعودية وكذلك العلامة الفيلسوف المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى صاحب التفسير والتآليف الإسلامية القيمة مع من انضم إلى الجماعة من العلماء والأدباء وذوى الأقدار العالية والمناصب الجليلة وكان للجماعة من وزارتى الشئون والأوقاف ما يسجل بالثناء والتقدير وامتد هذا الجهاد الأولى فى دار الجماعة بقبة الغورى بين تصنيف وتعليم لغات وتعريف بالأوطان والأقطار وترجمة لنفائس الفنون والآثار إلى أن اندلعت نار الحرب العالمية الأخيرة وامتد أوارها حتى اقترب من الحدود المصرية مما اضطر الكثيرين من النزلاء إلى مغادرة مصر والعودة إلى بلادهم وكنت من هؤلاء الذين عادوا إلى أوطانهم فمضيت إلى الهند على أن يكون سفرى

بمثابة امتداد لأعمال الأخوة ونشر فكرتها ورفع منارها فى أقطار كانت آمنة مطمئنة بمنأى عن ميادين الحرب وويلاتها . ووصلت إلى البنجاب وبدأت تشكيل فرع للجماعة بلاهور في سبتمبر ١٩٤٠ ثم فى حيدر آباد الدكن بعد ذلك ونظراً لما كانت تقضى به الحالة السياسية فى ظروف الحرب رأيت من الحكمة قصر جهودنا على نشر العربية باعتبارها لغة الأخوة المشتركة وهذا فى مقدمة الأغراض الهامة في مبادىء الجماعة وما تركت حيدر آباد إلا وفى الهند عشرات المدارس والجماعات الفرعية لتعليم العربية وإلقاء محاضرات أسبوعية وإجراء مسابقات تمنح فيها الجوائز للمتفوقين مما يبشر اللغة العربية بعهد زاهر واستمر ذلك الجهد المتواصل حتى قيام دولة الباكستان عام ١٩٤٧ وفى خلال تلك الجهود الآنفة فى خدمة الأخوة وتحقيق ما أمكن تحقيقه من أغراضها الأدبية والثقافية حادثت القائد الأعظم المغفور له الخالد الذكر « محمد على جناح » فى عدة مقابلات خاصة عن تكوين جماعة الأخوة فأبدى من الاغتباط بالفكرة ما حقق ظنى فيه إلا أنه أشار بوجوب العمل أولا على تحقيق فكرة الباكستان التى تعد أول منازل الأخوة الاسلامية ومقدمة المراحل فى سبيل إنجازها وبعد أن تم للمسلمين تشكيل حكومة الباكستان غادرت الهند إليها ولبثت ما يزيد على ستة أشهر عاملا على تحقيق ما كنت دائبا عليه من نشر لغة القرآن باسم الجمعية العربية العامة بالباكستان التى أولتها الحكومة بعد ذلك إشرافها ورعايتها ولما

تبين لى تأييد القائد الأعظم وهو يومئذ الحاكم العام للباكستان رأيت أن أستأنف إنشاء جماعة الأخوة فى نطاق أوسع وعرضت فكرتها على وزراء الباكستان وزعمائها فأعيد تشكيلها تحت رئاسة وزير الداخلية بصفته الشخصية وانعقد الإجماع على إسناد رئاسة الشرف إلى القائد الأعظم وبعد مضى عام تجدد انتخاب مجلس إدارتها برئاسة شيخ الاسلام العلامة شبير أحمد العثمانى وفى عام ١٩٤٩ أصدرت الجماعة قرارها بأن تعمل على تحقيق فكرتها بتكوين مؤتمر إسلامى دائم يكون أقدر على إعلاء كلمتها وأوفى بتحقيق غايتها ، فوجهنا الدعوة إلى الأقطار الاسلامية الشقيقة للاشتراك فى المؤتمر الذى تم انعقاده فى أيام ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ فبراير ١٩٤٩ وتألف من ممثلى ثمانية عشر قطرا إسلاميا ومع أن هذا المؤتمر إنما قام تأليفه على الشعوب واستقى مادته من الشعور النبيل للأفراد والهيئات الإسلامية دون الحكومات فقد أحدث انعقاده هزات عنيفة فى مختلف الأوساط وتناولته الهيئات العليا بالبحث والتعليق وتناجت به الأصداء من دور الإذاعات وشركات الأنباء فى عواصم أوروبا وأمريكا ولم يخل المؤتمر من مندوبين لبعض الحكومات . كما أذاع رئيس حكومة الباكستان والزعيم السياسى العالمى لياقت على خان خطاباً قلد فيه المؤتمر وشاحا من الثناء والترحيب.

ومن ثمة قرر أعضاء الأخوة والمشتركون فيها تسميتها « المؤتمر

الإسلامى الدائم » كما أعلن ذلك فى حينه من دور الإذاعة اللاسلكية وفى كبريات الصحف العالمية .

كما تقرر جعل عاصمة الباكستان مركزا رئيسيا للمؤتمر . وإن كان هذا الدستور قد وضع فى هذا المركز الرئيسى ، فإن لفروع المؤتمر حق اختيار الوسائل الملائمة لبيئتها وظروفها دون مساس بالمقاصد والأغراض الأصلية .

وقد أتاح قيام الباكستان فرصة مواتية لتحيق فكرة الأخوة فى إنشاء هذا المؤتمر فلم يكن قيام هذه الدولة الفتية إلا لتحقيق المعنى الإسلامى الذى يرتفع بإيمان المسلم ومقامه عن الانحياز إلى الدائرة المحدودة فى عصبية القبيلة والإقليم وهى الفكرة التى وضع خطوطها الأولى العلامة الكبير السيد جمال الدين الأفغانى ، وهتف بها شعر إقبال و بيانه ، وحققها القائد الأعظم فى صورتها العملية و يومها الحاضر بفضل أنصاره المخلصين ، وفى طليعتهم رجال حكومته و إيمان ثمانين مليونا هم أمة الباكستان المسلمة .

وقد قامت الآنسة « فاطمة جناح » شقيقة القائد الأعظم بالدور النسوى فى هذه الحركة المباركة وما تزال بعد انتقال شقيقها إلى جوار ربه تولى المؤتمر أعظم جهد من نشاطها الملحوظ .

والمؤتمر الاسلامى الدائم يستشرف بعين الأمل والرجاء إلى عون المسلمين ومؤازرتهم إياه فى قيامه بهم ولهم وفيهم خادما للملة داعياً إلى

الوحدة عاملا على خير الإنسانية والمساهمة فى تحقيق سلام العالم ورفاهيته وهو أقدر على تنقية صفوف المسلمين من نزعات الشر ومبادىء الهدم التى تغتال العقائد وتضيع تراث الفضائل .

أيها المسلمون هذا هو المؤتمر وهذا دستوره وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ؟

محمد حسن الأعظمى

سكرتير مؤتمر العالم الإسلامى الدائم

obeikandl.com

انعقاد المؤتمر الاسلامى الدائم

انعقد المؤتمر الإسلامى العالمى بمدينة كراتشى عاصمة الباكستان فى الثامن عشر من شهر فبراير ١٩٤٩ وظل انعقاده حتى اليوم العشرين منه بحضور ممثلى ثمانية عشر قطراً إسلامياً وهم ممثلو الدول الآتية :

١ — الباكستان (البنغال — البنجاب — بلوخستان — السند والحدود الشمالية) .
٢ — كشمير الحرة .
٣ — حيدر آباد الدكن .
٤ — جزيرة سيلان .
٥ — مصر .
٦ — البلادالعربية السعودية.
٧ — العراق .
٨ — سوريا .
٩ — اليمن .
١٠ — لبنان .
١١ — أفغانستان .
١٢ — فلسطين .
١٣ — الملايو .
١٤ — أندونيسيا .
١٥ — تونس .
١٦ — بورما .
١٧ — مسقط .
١٨ — القبائل الحرة بين الحدود الشمالية(سرحد) وأفغانستان .

وقد قرر المجتمعون فى هيئة المؤتمر تأليف الهيئة التأسيسية والهيئة التنفيذية على الوجه المبين بعد :

الهيئة التأسيسية : تألفت الهيئة التأسيسية للمؤتمر من عضو يمثل كل قطر إسلامى مشتراك فى المؤتمر على أن يمثل الباكستان خمسة أعضاء عن مناطقها الخمس وكذا مندوبة من الباكستان تمثل المرأة المسلمة بالهيئة وبذلك يكون مجموع أعضاء هذه الهيئة ثلاثة وعشرون عضواً .

الهيئة التنفيذية : تألفت الهيئة التنفيذية للمؤتمر عن عشرة أعضاء وهم :

١ — الرئيس : شيخ الإسلام العلامة شبير أحمد العثمانى الحافظ الثقة الشهير والمحدث الكبير المدير السابق لجامعة ديوبند بالهند[١] .

٢ — السكرتير العام : محمد حسن الأعظمى الأمين العام لرابطة التأليف والترجمة وسكرتير الجمعية العربية العامة فى الباكستان

٣ — السكرتير المساعد : إنعام الله خان المحامى البورمى .

٤ — أمين الصندوق : عبد اللطيف ابراهيم رئيس التجار بكراتشى

٥ — سعادة الأستاذ أبو بكر أحمد حليم مدير جامعة السند.

٦ — معالى تميز الدين خان رئيس المجلس التشريعى بالباكستان .

٧ — صاحبة العفة السيدة فطينة أختر حرم معالى فضل الرحمن وزير المعارف العمومية بالباكستان .

٨ — دولة شعيب القريشى رئيس وزراء بهوبال سابقاً[٢] .

أعضاء

(١) انتقل أخيراً إلى رحمة الله ولم ينتخب رئيس آخر مكانه بعد .

(٢) سفير الباكستان فى الروسيا .

٩ — سعادة السردار أورنج زيب رئيس وزراء الحدود الشمالية سابقاً[1] .

١٠ — الأستاذ ظفر أحمد الأنصارى السكرتير المساعد للجامعة الإسلامية العامة بالهند سابقاً .

أعضاء

وقد اتفقت الهيئتان المذكورتان على وضع دستور للمؤتمر على الوجه المبين فيما بعد :

مقاصد مؤتمر العالم الاسلامى (الدائم)

الشعار : إنما المؤمنون إخوة . (قران كريم)

مشعل الطريق : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (حديث) .

المبدأ العام : لا يتدخل المؤتمر فى الشؤون السياسية الداخلية الخاصة بأى دولة من الدول الأعضاء ولكنه يتدخل فى كل المسائل المتعلقة بمصالح المسلمين العامة داخل الدولة وكذلك فى المحيط العالمى .

الأغراض :

(١) محو جميع الفوارق المذهبية والقبلية والوطنية من بين جميع شعوب العالم الإسلامى وجمعهم تحت راية الأخوة الإسلامية أسرة واحدة .

---

(١) سفير الباكستان فى بورما .

(٢) إحكام الرابطة الإسلامية بين الجميع باتخاذ كتاب الله تعالى والسنة النبوية مصدرين للهداية والتوجيه .

(٣) توثيق العلاقات والروابط الثقافية بين المواطن الإسلامية كافة والعمل على رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى لشعوبها .

(٤) العمل على صيانة التراث الإسلامى ونشر آثاره وتدعيم الأخوة الإسلامية بتوحيد الثقافة وتنسيق الجهود فى سبيل تحقيق ذلك .

(٥) العمل على تحقيق الاتحاد بين زعماء وقادة ومفكرى الشعوب الإسلامية من مختلف المذاهب والمشارب .

(٦) إيجاد وحدة فكرية وعملية بين مسلمى العالم بما يحقق للجميع حياة صحيحة تقوم على قواعد ثابتة .

(٧) توجيه المرأة المسلمة نحو التربية والتعاليم الإسلامية الصحيحة وتمكينها من ممارسة ما منحها الإسلام من حقوق ورعايتها وضمان تمتعها بهذه الحقوق .

(٨) على ضوء تعاليم القرآن والثقافة الإسلامية يشاد بالأعمال المجيدة التى قامت بها المرأه المسلمة والعمل على تحقيق مثلها العليا لتقوم بواجبها مجاهدة فى ميدان التقدم والرقى .

(٩) إعداد المناهج الأدبية المناسبة لتنبيه القوى الذهنية والمواهب العقلية لدى المرأة المسلمة .

(١٠) اتخاذ خط النسخ والعمل على نشره أساساً لتوحيد الكتابة بين مسلمى العالم بلغاتهم المختلفة .

(١١) العمل على نشر لغة القرآن باعتبارها لغة للشعوب الإسلامية عامة فى جميع أنحاء العالم .

(١٢) تقديم العون المالى للطلبة المسلمين ذوى الكفاءة والاستحقاق و إيفاد البعوث لتعلم العلوم الإسلامية العالية بالجامعات الإسلامية وكذلك للتخصص فى مختلف الفنون والصناعات لدى جامعات الدول الأجنبية .

(١٣) دعوة كبار الأساتذة لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية العالية من مختلف البلاد الإسلامية وتبادل البعوث العلمية بوجه عام .

(١٤) إنشاء مراكز لتربية الطفولة فى مختلف الشعوب الإسلامية وغرس التعاليم والمبادىء الإسلامية الصحيحة فى نفوس النشء منذ المرحلة الابتدائية للتعليم .

(١٥) تدارك ما يوجد فى الجامعات والمدارس من نقص بإدخال عناصر التعليم الإسلامى فى جميع مناهجها الدراسية . و إنشاء جامعة إسلامية نموذجية يتضمن نظامها الدراسى على مطالب الدين والدنيا مشبعة بالروح الإسلامية الكاملة .

(١٦) العمل على تأسيس شركات ووكالات لنشر الأنباء الصحيحة عن الأمم الإسلامية و بين شعوبها و إيجاد تعارف اقتصادى واجتماعى

وسياسى وصناعى والتوسط فى إزالة ما قد ينشأ من سوء التفاهم بين بعض الشعوب الإسلامية .

(١٧) إيجاد رابطة علمية بين مشاهير المصنفين والمؤلفين والمترجمين من أبناء الشعوب الإسلامية .

(١٨) نشر آراء المفكرين والزعماء فى العالم الإسلامى .

(١٩) بث الروح والحيوية الإسلامية بإذاعة التوجيهات الإسلامية الصحيحة وتعاليم القرآن وجميع عوامل الرقى والنهوض .

(٢٠) بعث تاريخ العلوم والفنون الإسلامية وتحقيق الكشوف العلمية ووسائل الرقى الذهنى وتجديدها وتنمية للقوى الفكرية عند المسلمين.

(٢١) إقامة مراكز التدريب العسكرى والرياضى لخلق جيل إسلامى جديد روحاً و بدناً وقلباً وعقلا .

الوسائل :

(١) انشاء معاهد مثالية النظم للتربية والتعليم الإسلامى .

(٢) إنشاء معسكرات للتربية البدنية و بث روح الجندية .

(٣) إرسال الوفود لإحكام روابط الأخوة والعلاقات الودية بين الشعوب الإسلامية، واستدعاء الوفود منها وتكريمها واستقبالها وتهيئة كافة السبل التى تمكنها من تأدية مهمتها .

(٤) إذاعة الرسائل والنشرات الدورية والكتب والمطبوعات باللغة العربية والأردية والإنجليزية وغيرها تحمل للعالم مبادىء المؤتمر وأغراضه .

(٥) استخدام الإذاعة فى الممالك الإسلامية وابتكار طرق جديدة لتعليم الدين وتفسير القرآن الكريم ونشر اللغة العربية الفصحى .

(٦) إلقاء المحاضرات والخطب بين مختلف الأوساط لنشر الأخلاق والآداب الإسلامية وتوجيه محطات الإذاعة فى البلاد الإسلامية نحو المساهمة بدورها فى هذا الشأن والعمل على نشرها .

(٧) إنشاء فروع فى العواصم والمدن الكبرى بالأقطار الإسلامية وتأليف اللجان تبعاً لمقتضيات الأحوال .

(٨) عقد مؤتمر إسلامى سنوى يدعى للاشتراك فيه جميع ممثلى وزعماء الأقطار والدول الإسلامية ، كما يجب تغيير مكان انعقاد المؤتمر سنوياً والدعاية له فى مواسم الحج .

(٩) إعداد مكتبة تحوى نماذج من الأدب والثقافة الإسلامية وكذا المجلات والجرائد المختلفة .

(١٠) يتولى المؤتمر جميع أموال الزكاة وصدقات الفطر للانفاق منها على الطلبة وتثقيفهم و إيفاد بعوثهم العلمية وتنظيم المساعدات للفقراء والمحتاجين .

(١١) تصنيف كتب إسلامية باللغة العربية وغيرها من اللغات ، وكذا ترجمة الكتب العلمية والأدبية النافعة إلى اللغات الإسلامية .

(١٢) يبذل المؤتمر جهداً متواصلا بواسطة الجماعات والهيئات الإسلامية والقائمين عليها لتيسير التمتع بالحقوق المدنية لكل من يثبت إسلامه فى أى من المواطن الإسلامية .

(١٣) يحاول المؤتمر إعفاء جميع المسلمين من شروط جوازات السفر وما يتبعها من قيود إذا كان الانتقال من بلد إسلامى لآخر إسلامى .

(١٤) للهيئة التنفيذية أن تتبع فى تحقيق هذه الأغراض ما تراه من الوسائل الأخرى التى تقررها .

obeikandl.com

نشيد المؤتمر الاسلامى الدائم

تأليف المرحوم محمد إقبال فيلسوف الباكستان

الصين لنا والعرب لنا والهند لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تمحى فى الدهر صحائف سؤددنا
بنيت فى الأرض معابدها والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه بحياة الروح ويحفظنا
فى ظل السيف تربينا وبنينا العز لدولتنا
علم الإسلام على الأيام شـــعار المجد لملتنا
بهلال النصر يضىء لنا ويمثّل خنجر سطوتنا
قولوا لسماء الكون لقد طاولنا النجم برفعتنـــا
يا دهر لقد جرّبت على نيران الشدة عزمتنا
طوفان الباطل لم يغرق فى الخوف سفينة قوتنا
يا ظل حدائق أندلس أنسيت مغانى عشرتنا
وعلى أغصانك أوكار عمرت بطلائع نشأتنا
يا دجلة هل سجلت على شطيك مآثر عزتنـــا

أمواجك تروى للدنيا وتعيد جواهر سيرتنا
يا أرض النور من الحرمين ويا ميـــــلاد شريعتنا
روض الإسلام ودوحته فى أرضك روّاها دمنا
ومحمد كان أمير الركب يقود الفوز لنصرتنا
إن اسم محمد الهادى روح الآمال لنهضتنا
دوّت أنشودة إقبـــال جرساً أيقظ فيه الزمنا
ليعيد قوافلنا الأولى فى المجد ويبعث أمتنا

ترجمة سكرتير المؤتمر مع الشيخ الصاوى شعلان
(من علماء الأزهر)

obeikandl.com

شخصيات الباكستان البارزة

الآنسة فاطمة جناح[1]

تنتمى إلى أسرة عالية و بيت رفيع من قبائل راجبوت أسلم أجدادها منذ مئات السنين على يد (پير صدر الدين النزارى) الذى أسلم مئات الألوف على يده لما كان له من قدرة فى طريقة عرض الإسلام على غير أهله . وأجدادها الأدنون من عشيرة (لوهانا) البنجابية الأصل وانتقلت أسرتها من البنجاب إلى الحدود الشمالية ومن ثمة إلى السند ثم غادروها إلى (كُجرات) حيث استقروا أخيراً فى مدينة بومباى .

كان مولد الآنسة فاطمة بكراتشى فى شهر يوليه سنة ١٨٩٣ ء وشقيقها القائد الأعظم يكبرها بخمسة عشر عاما وقد تزوج قبل مولدها .

وهى الصغرى بين أخواتها الثلاث اللاتى كان مولدهن بعد القائد الأعظم على فترات من السنين .

أما والدها فاسمه (جناح) واسم جدها (پونجا) وقد بلغ والدها مبلغاً عالياً من الثقافة فكان يجيد الإنجليزية والفارسية إلى جانب لغته الأصلية وهى الكجراتية .

---

(١) المهدى إليها هذا الكتاب .

وقد انتقلت الآنسة فاطمة من مسقط رأسها كراتشى حين انتقل والدها بتجارته إلى بومباى وهى في الثامنة من عمرها .

وتعلمت الإنكليزية والكجراتية من والدها فى البداية ثم التحقت بعد وفاة والدها وكانت فى التاسعة من عمرها بمدرسة (رتناجرى) وكان القائد الأعظم يختلف إليها لزيارتها لا سيما يوم العطلة من كل أسبوع .

وفى سنة ١٩١٢ م نالت شهادة (مترك كوليشن) وتركت الدراسة لضعف صحتها ، وكانت تقضى العطلة الصيفية فى كل عام مع شقيقها وقد قضت أعواما فى المناطق الجبلية حتى عاودتها نضارة الصحة فبدأت فى تعلم طب الأسنان فى سنة ١٩٢٤ واستمرت فى دراستها سنتين فحصلت على الدبلوم واشتغلت بهذه المهنة فى بومباى سنة كاملة .

وكان القائد الأعظم قد ذهب إلى لندن لإتمام دراسته على إثر زواجه ، ثم توفيت زوجته على الأثر . وفى سنه ١٩١٧ م تزوج من فتاة فارسية بعد أن أعلنت إسلامها وكان هذا الزواج على غير رغبة أسرتى الزوجين ، وهنا تقول الآنسة فاطمة جناح لقد اضطرتنى هذه الحالة لأن أكون إلى جانب أخي فى هذا الفرح الصامت وقد تزوج للمرة الأولى ولم أكن قد ولدت وتزوج للمرة الثانية وليس معه غيرى من الأسرة وكنت أنا من شهود العقد فى هذا الزواج .

وكثيرا ما كان والدها يطالع من وراء سجف الغيب نورا لامعا فى

مستقبل ابنته ويكتب إلى أصدقائه وأقربائه أن ذكاء فاطمة يبشر بيوم تكون فيه المرأة التى يعتز بها الجيل الحاضر .

وهكذا كانت فى حياتها المدرسية ، فتقطع المرحلتين فى سنة واحدة وتفوز بالسبق على من كانوا أسبق منها فى السن وفى الفصل الدراسي .

و بعض تلك الوثائق من خطابات والدها إلى شقيقتها الكبرى أمكن العثور عليها ونشرت أخيراً فى الصحف .

كأن الله خلق الآنسة فاطمة جناح لتكون ظل رحمة وحنان لأخيها الذى كتب عليه أن تكون حياته الزوجية محفوفة بالأزمات والابتلاء . وقد عاشرت الشقيقة شقيقها وأنفقت لأجل راحته زهرة شبابها الغض . فعند ما سافر مع زوجه إلى أوربا بقيت تتعهد طفلته بالتربية وألوان العطف . و بعد وفاة تلك الزوجة سنة ١٩٢٩ بقيت فاطمة جناح مع أخيها تلازمه فى جميع خطواته وتحبوه بمشورتها ونصحها وتشاركه الرأى وتبادله التفكير ، فهو لم يتزوج بعد الثانية وهى لم تتزوج لأجله البتة ، فكأنما وهبت قلبها لأخيها وكانت صادقة فى هبتها وكانت سراً لأسرار قوته وقد اعترف بفضلها يوم أصبح حاكما عاما للباكستان .

وفى كل هذه المدة الطويلة لم يحدث بينهما أى خلاف على رأى أو عمل . بل صحبته فى الحل والترحال على أصدق أخوة وأوفى صحبة ، وسافرت معه إلى لندن سنة ١٩٣٠ م لمؤتمر المائدة المستديرة .

وكذلك جابت معه أقطار أوربا حيث أقام خمس سنوات بعيداً عن الهند إلا ثلاثة أشهر من كل عام لخلاف بينه وبين حاكم بمباى ، وكان يشتغل محامياً لدى المحاكم الإنجليزية العليا بنجاح بلندن ، وشقيقته تعاونه وتحفظ عليه نظام حياته الداخلية والعملية .

وفى سنة ١٩٣٥ م كان النشاط السياسى فى مسلمى الهند قد بدأ يستكمل نموه وازدهاره فانتخب القائد الأعظم رئيساً عاماً للرابطة الإسلامية التى لها السيطرة الروحية والسياسية على جميع مسلمى الهند ، وما زال رئيساً لها إلى أن أصبح حاكما عاماً لأولئك المسلمين الذين تآلفوا فى شكل حكومة مستقلة هى الباكستان . وكانت الآنسة فاطمة جناح تشهد مع أخيها جميع الحفلات وتشاركه الرأى والتوجيه وتبادله المشورة والنصح ، وهو يرى فيها المعوان الصادق والمشير الأمين .

وفى أواخر سنة ١٩٣٦ أراد المنافقون أن يصدعوا بنيان الرابطة بانتخاب ممثل من المسلمين لدى الحكومة ليوهموا أن مندوب الرابطة لا يمثل المسلمين ، وإذ ذاك قامت الآنسة فاطمة جناح وكونت جيشاً للدعاية من السيدات المسلمات ، وكان لذلك أثره العظيم فى سقوط (عبدالله البريلوى) مندوب المؤتمر ، ونجاح (محمد على الله بخش وبيك محمد) مندوبى الرابطة الإسلامية .

وقد شجعها هذا النجاح على تكوين قسم للسيدات فى الرابطة الإسلامية .

وقد بدأ تنظيم هذا القسم منذ سنة ١٩٣٩ ونظراً لكثرة مشاغلها مع شقيقها لم تستطع تلبية رغبات السيدات فى قبول رياسة الرابطة وأسندتها إلى حرم المرحوم الزعيم المعروف محمد على شقيق شوكت على .

ولغة الآنسة فاطمة جناح هى (الكجراتية) ، ولكنها ألقت محاضرتها الأولى بالأردية سنة ١٩٤٠ بلاهور فى الحفل السنوى للسيدات.

لقد كان لقائدى عدد من المستشارين الفنيين للشئون المختلفة أما القائد الأعظم ، فقد كانت شقيقته هى مستشارته الوحيدة حقاً .

ولم يكن يصدر رأيه النهائى إلا بعد مشورتها وكان سكرتيره الخاص إذا جاءه بخطاب هام قال له ارفع صوتك لتسمع اللجنة الأساسية . يقول ذلك وهو يعنى شقيقته .

و بعد وفاة القائد الأعظم خلفه فخامة الخواجه ناظم الدين ، ولكن الآنسة جناح محتفظة بمكانتها الأولى بل زادت تلك المكانة الرفيعة بعد موت شقيقها فلا يقطع فى أمر دونها ، وكأنما هى تشير على أخيها وهو حى ، ولا يزال الباكستانيون يتمثلون فيها قائدهم الأعظم فيزدادون لها حباً وتكريماً وإجلالا ، لأنهم يتمثلون فيها الشخصية المحبوبة التى أنقذتهم من براثن الإنجليز والهنادك فى وقت واحد .

وكثيراً ما أعلنت الصحف أنباء حول تعيينها حاكمة لبعض المقاطعات ولكنها لا تطمع فى الحكم يوماً بل جعلت مطمعها الأعظم حبها لشعبها وخدمة أمتها .

وقد اتجهت فكرة عصمتها أخيراً إلى إنشاء معهد للمثقفات يتعلمن فيه اللغة العربية والثقافة الإسلامية ليمكن دراسة الإسلام من منابعه الأصلية الأولى .

أطال الله بقاءها لشعبها المسلم الغيور ، ومد فى عمرها حتى ترى دوحة الجهاد وقد آتت ثمارها بإذن ربها .

obeikandl.com

صاحب الفخامة خواجه ناظم الدين

حاكم الباكستان العام

ولد فخامته فى اليوم التاسع عشر من شهر يوليو سنة ١٨٩٤ فى بيت من أكبر بيوت دكا عاصمة البنغال الشرقية . تلقى علومه فى كلية عليكرة وكمبردج . لمع اسمه فى ميدان السياسة ولما يكتمل العقد الثالث من عمره ، وتقلب فى مناصب عدة ، برز فيها وذاع صيته ففى سنة ١٩٢٢ انتخب رئيساً لبلدية دكا وعضواً فى مجلس إدارة جامعتها ، ثم عين وزيراً للمعارف فى البنغال منذ سنة ١٩٢٩ حتى سنة ١٩٣٤ ثم وزيراً للداخلية فى أول وزارة فى البنغال سنة ١٩٣٧ وفقاً لقانون الهند الصادر فى سنة ١٩٣٥ . وكانت مواقفه المشرفة عند مناقشة مشروع قانون جعل التعليم الابتدائى إجباريا سبباً فى نهوض التعليم وتطور نظمه ، كذلك عند نظر مشروعات قوانين أخرى تتعلق بالزراعة وغيرها فى البنغال .

تولى فخامته زعامة المعارضة من سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٣ وكان رئيساً لشعبة حزب الرابطة الإسلامية البرلمانية وفى ٢٤ أبريل سنة ١٩٤٣ شكل وزارة حزب الرابطة وكان عضو الهيئة التأسيسية للرابطة الإسلامية .

وكما لمع اسم فخامته فى ميدان السياسة نراه فى ميدان الرياضة فى طليعة الرياضيين الذين يجيدون الهوكى والكريكيت وكرة القدم والتنس . كذلك فى ميدان الصحافة نراه يصدر صحيفة « نجمة الهند » وهى صحيفة إسلامية تصدر باللغة الإنجليزية ، ولم تحرمه التجارة من نشاطه فقد أسس الغرفة التجارية الإسلامية بكلكتا .

و بعد وفاة القائد الأعظم رحمه الله تولى فخامته فى سبتمبر سنة ١٩٤٨ منصب الحاكم العام للباكستان .

وقد رأينا الباكستان فى عهد فخامته تأخذ مكاناً دولياً لائقاً بها كأكبر دولة إسلامية فى العالم .

دولة لياقت على خان

ولد دولته فى عام ١٨٩٥ بمدينة كرنال بشرق البنجاب ، وهو سليل أسرة إيرانية هاجرت إلى الهند منذ خمسمائة عام يتصل نسبها بكسرى أنوشروان .

تلقى علومه فى الهند بكلية عليكره . ثم بانجلترا بجامعة اكسفورد ، نال منها درجة علمية ، واشتغل هناك بالقضاء ، وعاد إلى الهند فى سنة ١٩٢٣ ، وانتخب عضوا فى المجلس التشريعى عن الأقاليم المتحدة الهندية منذ سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٤٠ ، وبدت مواهبه النادرة وكفاءته ، وأصبح زعيما للحزب الديمقراطى فى المجلس ، كما انتخب عضوا فى المجلس التشريعى المركزى ثم صار نائب رئيس حزب الرابطة الإسلامية .

وفى سنة ١٩٤٦ عين دولته عضوا فى المجلس التنفيذى للحاكم العام ، وتولى وزارة المالية فى حكومة الهند المؤقتة ، وكان فيها زعيما لحزب الرابطة الإسلامية .

وفى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ بزغت شمس الدولة الجديدة (باكستان) إلى عالم الوجود ، فتولى رئاسة الوزارة فيها ، لما امتاز به

دولته من قوة الحجة ، و بلاغة القول وسطوع البرهان ، حتى طبقت سمعته الآفاق ، وأمكنه توطيد العلاقات بين با كستان و كثير من دول العالم ، والحق أن البا كستان سمت إلى درجة تغبط عليها ، واحتلت مركزا لائقا بها كأكبر دولة إسلامية وسارت نحو المجد بخطوات واسعة ، بفضل دولة رئيس الوزراء لياقت على خان .

obeikandl.com

السردار عبد الرب نشتر

حاكم البنجاب ووزير المواصلات سابقا

ولد عام ١٨٩٩ فى بيشاور بأقليم الحدود الشمالية الغربية فى بيت عريق يمت بنسب عريق إلى قبائل (كركار) . تلقى علومه فى جامعة البنجاب ، وحصل على شهادته فى القانون من الجامعة الإسلامية بعليكره عام ١٩٢٥ ومنذ ذاك الوقت اشتغل فى المحاماة .

وكان سعادته عضواً مؤسسا فى لجنة حزب المؤتمر بأقليم الحدود . وفى ١٩٣٠ ألقى عليه القبض بسبب نشاطه فى هذا الحزب ، ولكنه استقال منه فى العام التالى لاعتبارات عدة .

وكان عضواً فى الجمعية التشريعية لإقليم الحدود ، ووزيراً للمالية فى الوزارة التى كونها حزب الرابطة الإسلامية . ومن ١٩٤٣ — ١٩٤٥ كان عضواً فى الهيئة الأساسية وفى عدة لجان أخرى فى الحزب . وفى ١٩٤٦ عين عضواً فى مجلس الحاكم العام التنفيذى أيام حكومة الهند المؤقتة .

وكان أحد المندوبين عن حزب الرابطة فى المفاوضات السياسية التى انتهت بتقسيم الهند ، وأحد أربعة عينتهم الرابطة لحضور مؤتمر سملا الثانى .

وفخامته محب للأدب والشعر ، وهو شاعر الأردية والفارسية ، ومعدود من مشاهير الخطباء .

وقد عين فخامته أخيراً حاكما للبنجاب الغربية . ومن طريف نبوغ هذا الحاكم أنه تعلم اللغة العربية بعد وزارته و بين مشاغلها الكثيرة فى مدة قصيرة واستطاع أن يجيدها فهما وتكلما ، حتى أصبح يعهد إليه بالرياسة فى أكثر المجتمعات العربية والإسلامية .

محمد ظفر الله خان

وزير خارجية باكستان

ولد معاليه فى عام ١٨٩٣ وتلقى علومه فى لاهور ثم سافر إلى انجلترا لإتمام دراسته واشتغل بالمحاماة فى سيالكوت بالبنجاب ثم صار قاضياً لمحكمة لاهور العليا ، واشتغل بتحرير صحيفة «قضايا الهند» عدة سنوات .

كان معاليه عضواً فى مجلس البنجاب التشريعى من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣٥ وأوفد ضمن أعضاء الوفد الهندى إلى مؤتمر المائدة المستديرة ، وكان عضواً فى لجنة إصلاح البرلمان الهندى فى سنة ١٩٣٥

فى سنة ١٩٣١ صار رئيساً للرابطة الإسلامية ، وقد تقلب فى عدة مناصب وزارية ، وكان مندوب الهند فى الصين ، وتولى منصب قاضى محكمة الهند العليا .

عرف معاليه بسعة الاطلاع وقوة الحجة ، فمثّل دولة الباكستان فى هيئة الأمم عند مناقشة مسألة فلسطين ، وكان على رأس وفد الباكستان عند مناقشة مجلس الأمن لمسألة كشمير ، وقد رأى العالم دفاعه المجيد عن الإسلام والمسلمين وصدق بلائه عن حقوق العرب ، ومعاليه يعرف اللغة العربية ، ويبذل قصارى جهده لنشرها فى جميع الأقطار .

معالى محمد غلام

وزير مالية الباكستان

ولد معاليه فى عام ١٨٩٥ وتلقى علومه فى جامعة عليكرة ، ونال شهادة « أستاذ فى الفنون » . ثم شهادة الحقوق ، وجاز امتحاناً أمام مصلحة الحسابات الهندية ثم عين وكيلا لمدير الحسابات العام للبريد والبرق بحكومة الهند ، وأسندت إليه مناصب هامة ، ظهر فيها نبوغه ومهارته ، حتى تولى منصب وزارة المالية فى ولاية حيدر آباد ، كما تولى إدارة شركة كبيرة تجارية هى شركة تاتا المشهورة .

و بعد قيام دولة باكستان عين معاليه وزيراً لماليتها يصرف شئونها المالية والاقتصادية .

ومعاليه أديب ممتاز ، يجيد عدة لغات كالإنجليزية والفارسية والأردية .

وقد رأت الدنيا ثبات مركز الباكستان المالى دون أن تتأثر بتخفيض نقد أكثر دول العالم ، ويرجع هذا إلى براعته فى الشئون المالية ورسوخ قدمه فى الأمور الاقتصادية .

ولا غرو فمعاليه من أعظم خبراء العالم فى أمور المال .

السيد فضل الرحمن

وزير المعارف والتجارة

ولد معالى السيد فضل الرحمن عام ١٩٠٥ فى إحدى قرى دا كا بشرق البنغال ، وتلقى علومه فى دا كا ومنها حصل على درجته الجامعية واشتغل هناك فى المحاماة .

وفى عام ١٩٣٧ انتخب عضواً فى الجمعية التشريعية بالبنغال عن دائرة جامعة دا كا ، وكان مهتما بأمور التعليم . وفى سنة ١٩٤٣ كان عضواً بارزاً فى حكومة البنغال . وانضم معاليه عام ١٩٣٧ إلى حزب الرابطة الإسلامية ، بعد أن أعيد تنظيمه . وأعيد انتخابه فى سنة ١٩٤٦ لمجلس البنغال التشريعى ، وأصبح فى نفس السنة وزيراً فى حكومتها .

ولما قامت الباكستان اختير وزيرا لها ، وهو أول وزير عمل على نشر اللغة العربية ، ودعا إلى تعلمها وجعل نفسه المثال الحى لتحقيق هذا المبدأ ، وقرر أن تكون إحدى اللغات الجبرية فى مدارس الحكومة ، وقرر كذلك أن تكتب الأردية بخط النسخ الذى يقربها إلى لغة القرآن الكريم ، وقد نهض بالجمعيات الثقافية ومن أهمها : الجمعية العربية ، وهو الذى أقام مجمع إقبال الأدبى لنشر مآثره وشعره .

وتولى بنفسه رياسة هذا المجمع ، وهو ممتاز بروحه الإسلامية التى تتجلى فى جميع مناهجه وإصلاحاته . وهو من الذين يصلون الليل بالنهار نضالا وكفاحا فى خدمة الدولة الفتية والعمل على رقى المجتمع الإسلامى .

obeikandl.com

خواجه شهاب الدين

وزير الداخلية والاستعلامات والإذاعة واللاجئين

لعب خواجه شهاب الدين دوراً سياسياً هاماً فى حياة البنغال . وهو ينحدر من عائلة كبيرة من دكا وهو شـقيق لفخامة خواجه ناظم الدين ، حاكم الباكستان العام .

كان معاليه عضواً فى المجلس التنفيذى لحاكم البنغال عام ١٩٣٦ ، وعضواً عاملا فى أول وزارة إسلامية تشكلت هناك من ١٩٣٧ — ١٩٤٠ ، تولى فيها مهام وزارة التجارة والعمل والصناعة . ولما تأسست الباكستان تولى الإشراف على حزب الحكومة داخل البرلمان .

والخواجه شهاب الدين شغف بأمور التعليم ، وهو فضلا عن اتصاله بعدة معاهد تعليمية كان يتولى أمانة صندوق جامعة دكا زهاء خمس سنوات ، كما كان نائباً لرئيسها لفترة قصيرة عام ١٩٣٦ .

وقد كان له شغف بتعلّم اللغـة العربية ، ولولا كثرة مشاغله لنبغ فيها

السيد بير زاده عبد الستار

وزير الأغذية والزراعة

ولد عام ١٩٠٧ وتلقى علومه بجامعة بومباى ، حيث حصل على درجة عالية فى الرياضيات ، وذهب إلى انجلترا ليتم تعليمه العالى ، وفى عام ١٩٣٠ حصل على شهادة الحقوق .

بدأ معاليه حياته محاميا فى السند ، ثم عين وزيراً فى حكومتها ، متوليا شؤون الأشغال العامة والصحة والاستعلامات . وفى عام ١٩٤٦ أعيد تعيينه وزيراً فى هذه الحكومة ، ومن يناير عام ١٩٤٧ حتى أغسطس عام ١٩٤٧ كان وزير الإيرادات والغابات والقانون واللاجئين والإصلاحات . وفى عام ١٩٤٧ كان ضمن وفد الباكستان إلى هيئة الأمم .

ومعاليه من محبى الموسيقى والصيد كما أنه رياضى بارع . وقد مثل الهند فى ألعاب التنس العالمية التى جرت فى برلين عام ١٩٢٩ .

السيد مشتاق أحمد غرمانى

وزير شؤون كشمير

ولد عام ١٩٠٥ فى مظفر جره بغرب البنجاب ، وتلقى علومه بجامعة عليكره .

انتخب عضواً فى المجلس التشريعي بالبنجاب فى سنة ١٩٢٠ ، وكان عمره ٢٥ سنة ، وكان من اختصاصه دراسة عدة شئون منها القانون والإيرادات والزراعة والصناعة والتعليم والصحة . كما كان عضواً فى لجنة الأبحاث الاقتصادية بالبنجاب . وكان معاليه السكرتير الفخرى لجمعية الصليب الأحمر الهندية ولجمعية إسعاف سانت جون بالبنجاب . وقد انتخب عضواً فى المجلس التشريعى بالبنجاب عام ١٩٣٧ وكان سكرتيراً لوزارة المعارف والصحة .

وقد مثـل معاليه حكومة البنجاب فى المجلس الإمبراطورى للأبحاث الزراعية سنة ١٩٤١ ، ثم عينته حكومة الهند مديراً للتجنيد الفنى ، وللدعاية فى عام ١٩٤٢ ، ثم عين فى نفس الحـكومة مديراً عاما لمصلحة العمل . وقد مثل الهند فى مؤتمر العمل الدولى الذى عقد سنة ١٩٤٦ .

وكان السيد غرمانى رئيسا لوزراء بهاولبور من ١٩٤٠ — ١٩٤٨ كما كان رئيسا لمدبرى بنك هـــذه الولاية ورئيسا لشركة عباسى للمنسوجات ولمصنع صابون صادق ولصناعة مستخرجات الزيوت . ويميل معاليه للقراءة ويهوى القنص .

obeikandl.com

السيد جوجندر نات منڈل

وزير العدل

ولد معاليه عام ١٩٠٧ فى باريزال بشرق البنغال حيث تلقى علومه. وتبدأ حياته من عام ١٩٣٦ حينما اتصل بمحاكم بلده ، واختير عضواً فى الجمعية التشريعية بالبنغال ، وأصبح بعد ذلك مستشاراً لاتحاد بومباى.

وعين فى سنة ١٩٤٣ وزيراً فى حكومة البنغال ، وكان فى تلك الأيام رئيساً لاتحاد طائفة المنبوذين . وفى سنة ١٩٤٦ رشحه حزب الرابطة الإسلامية لتولى منصب العضو القانونى فى مجلس الحاكم العام التنفيذى فى حكومة الهند المؤقتة .

وعند ما تأسست الباكستان اختير وزيراً فى حكومتها . وكانت هذه سياسة حكيمة دلّ بها القائد الأعظم على سعة تدبره ونفاذ بصيرته وقد أثبت تسامح الإسلام ويسر مبادئه وقرب تناوله والبساطة المشرقة، فى تعاليمه فقد تجلّى للجميع بهذه السياسة البارعة إلى أىّ مدىً يذهب القائد الأعظم فى إظهار حقيقة الإسلام الذى يعمل على توحيد الإنسانية خطوة بعد خطوة ، فالمنبوذ الذى يعدّ لمسه جناية عند الهنادك يستطيع أن يظفر بين المسلمين بمقعد الوزارة ، ولقد ارتاعت هيئات البراهمة وفزعت حكومتهم ولم يجدوا سبيلا سوى أن يقلدوا الباكستان المسلمة . وقد أيقن المنبوذون أن لا أمان لهم ولا طمأنينة إلا فى ظل حكومة المسلمين ، وقد فروا إليها من الأقطار الهندية ولم يفر واحد منهم إلى الهند .

السيدة فطينة اختر بانو

من أسرة كريمة وبيت عريق فى الباكستان الشرقية ، شريفة الجدين . أما والدها فهو من كبار الملاّك ومحام ضليع معروف .

ولدت بكلكتا واستكملت بها مراحلها الدراسية إلى التعليم العالى ، وحصلت على جميع جوائز التفوق منذ نالت شهادة الدراسة الثانوية إلى أن نالت الماجستير بدرجة ممتاز مع ثلاث شارات شرفية ذهبية .

وكانت ذات قدم راسخة فى الخدمات الاجتماعية وفى الألعاب الرياضية .

ولما أنشأت الرابطة الإسلامية أول كلية للطالبات فى الباكستان الشرقية عينت بها أستاذة مدى ست سنوات عاملة على رقى تعليمها وتنظيم دراستها .

واقترنت سنة ١٩٤٣ بمعالى فضل الرحمن وزير المعارف والتجارة .

وهى أول سيدة صادفها الاختيار الموفق لتقليدها رياسة قسم السيدات فى المؤتمر الإسلامى الدائم .

كما أنها انتخبت رئيسة بالمؤتمر التعليمى النسوى لحكومة

الباكستان وهى كذلك عضوة فى هيئة التربية العامة للطفولة تحت رياسة صاحبة العصمة الآنسة فاطمة جناح شقيقة القائد الأعظم ، وقد اشتركت فى الجماعات العاملة على توفير المساكن للاجئين ، ولهذه السيدة فضل كبير فى فكرة تعميم اللغة العربية بين طبقات السيدات والأسر وقد بدأت بنفسها فى تعلم العربية .

وإذا كانت السيدة فطينة اختربانو قد برزت فى ميدان الثقافة والتربية فهناك سيدات ضربن بسهم وافر فى ميدان الاجتماع والسياسة وكان لهن جهاد مشكور نخص بالذكر منهن :

بيجم لياقت على خان زعيمة الحركات الاجتماعية والاصلاحية فى الباكستان والدكتورة شائسته بيجم اكرام الله عضوة المجلس التشريعي.

والسيدة سلمي بيجم تصدق حسين عضوة المجلس التشريعي بالبنجاب ومن سياسيات هذه المقاطعة .

و بيجم شاه نواز أكثر السيدات تجربة وحنكة .

صاحب المعالى تميز الدين خان

رئيس المجلس التشريعى

هو أحد القادة المشار إليهم بالبنان ، وأحد أعلام رجال الدين أديب اللغتين الإنجليزية والبنغالية التى أصدر بها مصنفاته وأشعاره ، وقد انتخبه مؤتمر العالم الإسلامى الدائم عضوا بالهيئة التنفيذية ورئيسا لفرع المؤتمر فى دولة الباكستان ، ومن الزعماء الممتازين الآخرين فى مقاطعة البنغال الشيخ محمد أكرم خان رئيس الرابطة الإسلامية والمؤتمر الإسلامى الدائم فى هذه المقاطعة والشيخ عبد الله الباقى عضو المجلس التشريعى المركزى والدكتور ملك الذى اختير وزيرا فى وزارة الباكستان المركزية .

شبير أحمد عثماني

العلامة الأكبر شيخ الإسلام المحدث شبير أحمد عثماني النجم الساطع بين المهاجرين ، والعلم الواضح بين العلماء المحدثين ، قد أتم دراسته العالية في جامعة ديوبند أكبر المعاهد الدينية الحنفية في الهند ، وارتقى بها إلى أن أصبح شيخ ديوبند بعد أن شغل منصب المدير لجامعة دابهيل بمقاطعة كجرات على أثر وفاة المحدث النحرير أنور شاه كشميري ، ثم احتدم الخلاف بينه وبين المولوى حسين أحمد المدني في الحركة الإسلامية الأخيرة ، فكان هو عوناً للرابطة الإسلامية .

ولما كان المولوى حسين أحمد ذيلا في ركب السياسة الهندوكية الإنكليزية ، فقد ترك شبير أحمد ديوبند ورشح نفسه للمجلس التشريعي المركزي عن دائرة كلكتا بمشورة القائد الأعظم ، مع أنها ليست دائرته الخاصة وكان نجاحه ضربة قاصمة الظهر لخصومه الذين وقع فوزه من نفوسهم موقع الصاعقة .

وبعد تشكيل الباكستان هاجر إليها وهو محل تقدير الجميع من الحكومة والشعب ، ومؤلفاته كثيرة عميمة الفائدة من أشهرها الترجمة الأردية المقبولة مع تفسير القرآن الكريم .

وقد نقلت حكومة كابل هذه الترجمة إلى الفارسية ، ومنها الملهم فى شرح مسلم فى أربع مجلدات ضخمة باللغة العربية .

ويعد شبير أحمد أعظم شخصية دينية فى الباكستان ، وله المكانة الممتازة فى جميع بلدانها شرقا وغربا ، وقد انتخب رئيسا عاما لمؤتمر العالم الإسلامى الدائم والجمعية العربية العامة فى الباكستان .

شودرى خليق الزمان

من أكابر أقطاب السياسة المحنكين ومن أوائل المحامين البارعين، الكنوىّ الأصل والمولد اشتغل بالسياسة واتصل بالرابطة الإسلامية منذ ربع قرن، فعلا نجمه وسمت منزلته. وهو من أقدم أعوان القائد الأعظم ورفقائه الذين لازموه حتى الساعة الأخيرة.

هو الآن خليفته على الرابطة الإسلامية وكان أيضاً نائباً عن الأقاليم المتحدة فى المجلس التشريعى المركزى.

وقد زار مصر وفلسطين وتركيا مندوبا عن الرابطة فى مؤتمر فلسطين وغيره.

وبعد أن أعاد تنظيم الرابطة الإسلامية فى الباكستان على طراز جديد بدأ دعوته العالمية العامة إلى الإسلامستان، وكان هو الوكيل الأول لجماعة الأخوة الإسلامية عند تكوين مركزها فى الباكستان. ولما قامت الأخوة فى شكل مؤتمر العالم الإسلامى الدائم اقتنع بفكرة الإسلامستان وأخذ يجوب أقطار العالم ليستشير الزعماء والمفكرين وذوى المكانة فى الدول الإسلامية.

الأستاذ أبو بكر أحمد حليم

المدير المساعد لجامعة على جره الإسلامية سابقاً وقد خدم التعليم مدة ربع قرن ونال شهاداته العليا من جامعات أوربا، ويعد من كبار المؤرخين واشترك بروح عالية وإيمان ثابت وعمل موفق فى تأسيس جماعة الأخوة الإسلامية والدعوة إلى المؤتمر الإسلامى الدائم، وهو عضو الهيئة التنفيذية والقائم بأعمال وكيل المؤتمر وقد أنشئت جامعة السند منذ ثلاث سنين فعين مديراً لها حتى الآن وهو رئيس الجمعية التركية الثقافية بالباكستان.

obeikandl.com

صاحب الدولة

شعيب القريشى

هو صهر زعيم الهند الإسلامية مولانا محمد على وكان فى بداية الأمر صحفياً معروفا ورئيساً لتحرير صحيفة غاندى اليومية، ثم انتخب لوزارة المالية وللرياسة فى إمارة بهوبال الإسلامية، وقد عد فى مقدمة أقطاب السياسة .

و بعد هجرته إلى باكستان عين مديراً لبعض الشركات ، وانتخبه مؤتمر العالم الإسلامى الدائم عضواً فى هيئته التنفيذية كما عيّن سفيراً للباكستان فى روسيا .

الدكتور اشتياق حسين القريشى

من كبار علماء التاريخ وقد قام بتدريس هذه المادة أستاذاً بجامعة دهلى وقد كان بعلومه ومعارفه معواناً صادقاً للرابطة الإسلامية، وتوثقت صلته بدولة رئيس الوزراء لياقت على خان.

وقدسبق أن أوفده دولته إلى مصر لمقابلة سماحة مفتى فلسطين المقيم بمصر والتباحث فى أمر فلسطين بعد زيارتها والوقوف بنفسه على مجرى الأمور فيها ليتقدم بتقرير إلى حكومة باكستان لبيان ما يمكن القيام به من المعاونة فى قضية فلسطين.

وقد عيّن أخيراً لمنصب وكيل الوزارة فى الداخلية وشؤون المهاجرين والاستعلامات.

وهو معدود من الوزراء العالميين، الذين تعتمد الدولة على سياستهم وكفاءتهم، وهو عضو هام بالهيئة التأسيسية فى رابطة التأليف والترجمة بالباكستان.

سردار عبد القيوم خان

زعيم وحاكم معروف بالجرأة والإقدام وإصالة الرأى ونفاذ الكلمة. كان فى بداية أمره زعيما من زعماء المؤتمر الهندى، ولما تبينت نيات الهنادك تخلّى عن المؤتمر واشترك فى الرابطة الإسلامية تحت زعامة القائد الأعظم، فعلت مكانته وذاعت شهرته فى مقدمة المجاهدين الذين يرجع إليهم الفضل فى إقامة الباكستان، وقد عيّن من قبل حكومة باكستان رئيسا لحكومة مقاطعة الحدود الشمالية.

وكان يقطن فى تلك البلاد شرذمة من المنافقين، على رأسهم عبد الغفار خان غاندى الحدود الشمالية وأخوه الدكتور خان الذى كان رئيس الحكومة فى هذه المقاطعة من قبل المؤتمر الهندى، ولما أراد هذان أن يقوما على رأس جماعة لإعلان الشغب والفساد فى الأرض لشق عصا الطاعة وتفريق الكلمة فى أمر الباكستان قبض عليهما عبد القيوم خان واعتقلهما.

وكلاهما مع جماعتهما الآن نزلاء السجن، وقد تحدّى عبد القيوم خان بجرأته العظيمة وشجاعته النادرة كل مزاعم الهنادك ودعاياتهم العاملة على التفريق بين المسلمين.

سردار أورنج زيب خان

من كبار خريجى جامعة على جره، وعمل كرئيس حكومة بمقاطعة الحدود الشمالية ، ويعد من الخطباء الذين برعوا فى أساليب النقد المثير للسخرية والدعابة والفكاهة حتى أصبح له فيه مقام خاص ، وهو يجيد عدة لغات شرقية وغربية ، وانتخب أخيراً سفيراً للباكستان فى حكومة بورما ، وهو أيضا عضو الهيئة التنفيذية فى مؤتمر العالم الإسلامى الدائم .

ومن الزعماء الآخرين فى هذه المقاطعة السردار بهادر خان الذى عيّن أخيرا وكيلا لوزارة الخارجية ثم وزيرا للمواصلات .

ملك عمر حيات خان

مدير جامعة البنجاب ومن أشهر رجالاتها البارزين ، وقد ناضل بعزيمة قاهرة وجرأة باسلة فى صف الرابطة الإسلامية ضد خضر حيات خان الذى كان رئيس وزراء هذه المقاطعة وقد تحمل الاعتقال والتشريد فى هذه السبيل بصبر وجلد ، وهو الآن عضو بالمجلس التشريعى فى الباكستان كما أنه رئيس فخرى للفرع المركزى للمؤتمر الإسلامى الدائم فى مقاطعة البنجاب .

ومن الزعماء الآخرين فى هذه المقاطعة افتخار الدين ممدوت رئيس الوزراء سابقاً وملك فيروزخان نون وعلاء الدين صديقى ومولانا ظفر على خان ودين محمد حاكم السند وشودرى نذير أحمد خان[1] رئيس المؤتمر الإسلامى بالبنجاب وميان بشير أحمد[2] مدير مجلة همايون الأردية .

---

(١) عين أخيرا وزيرا فى الوزارة الباكستانية .

(٢) سفير الباكستان فى تركيا الآن .

غلام حسين هدايت الله

أعظم رجل سياسى أنجبته السند ، وقد خدم الرابطة الإسلامية بجهوده الموفقة وعبقريته الفذة حتى عيّن رئيس الوزارة فى حكومة هذه المقاطعة . ثم عيّن حاكما للسند ، وبذلك نال الشرف التاريخى بمنصب أول حاكم مسلم فى الباكستان ، وفى هذه المقاطعة غير غلام حسين هدايت الله زعماء لهم فضلهم وشهرتهم ومكانتهم ، نذكر من بينهم بير إلهي بخش رئيس الوزراء سابقا ويوسف هارون رئيس الوزراء الحالى .

القـاضى عيسى

محام ضليع نال شهادة القانون وحصل على الدرجات العلميـة المختلفة من جامعات أوربا ووقف جهوده على خدمة الإسلام والرابطة الإسلامية إلى أن عيّن رئيساً للرابطة فى تلك المقاطعة ، وهو من أكبر الشخصيات المحبوبة بها ، كما أنه عضو فى المجلس التشريعى من هذه المقاطعة .

obeikandl.com

الخاتمـــة

طلبت العلم بالأزهر الشريف ، أكبر جامعة إسـلامية فى العالم ، ونلت شهادة العالمية ، وقمت بتدريس اللغة الأردية بكلية الآداب ، وبقيت عدة سنوات إلى أن اضطررت إلى مغادرة مصر ، والعودة إلى بلادى ، بعد أن اندلعت نيران الحرب الأخيرة ، وكنت أحمل أطيب الذكريات وأجملها ، وتمنيت لو سمحت الظروف بالعودة إلى هذه البلاد التى كان لى من أهلها مدة إقامتى بها أهل ، ومن أبنائها ، إخوة لى وصحاب .

ذهبت إلى الهند فوجدت أحداثا جساما ؛ فحزب الرابطة الإسلامية وزعماؤه وعلى رأسهم القائد الأعظم محمد على جناح ينادون بتقسيم الهند ، وجاهدوا من أجل هذا جهادا مريراً ، ليعيش المسلمون عيشة الأحرار ، وانتهى جهادهم بقيام دولة باكستان ، وهاجرت من الهند واتخذت فى الباكستان موطنا ، وشاءت الظروف الطيبة أن أعود إلى مصر فى أواخر العام الماضى لتشكيل فرع مركزى لمؤتمر العالم الإسلامى الدائم ، والتقيت بأصدقائى القدماء ، وعرفت آخرين ، ودارت محادثات بينى وبينهم حول تقسيم الهند ، وكان فريق منهم يرى أن القوة فى الاتحاد أسوة بما حدث فى مصر من الاتحاد بين المسـلمين والأقباط وما كان هذا

الفريق يعلم الفروق الواضحة بين ماجرى فى مصر وما جرى فى الهند، فرأيت أن أفصل هذا فى كتاب أتناول فيه الأسباب القوية التى رفض من أجلها المسلمون الهنود الإتحاد مع الهنادك ، فكتبت هذا الكتاب ، رغم ما شغلنى إخراج كتب كشمير وفلسفة إقبال وفتى الهند وديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى بانى الأزهر والقاهرة وكتب مدرسية أخرى مع بعض الأدباء المصريين .

كتبت كتابى هذه وأسميته « القائد الأعظم وقصة الباكستان » . وتناولت فيه تاريخ الهند منذ دخول الإنجليز وسردت حياة القائد الأعظم ، وموقفه من حزب المؤتمر الهندي والرابطة الإسلامية وكيف حاول التوفيق بين المسلمين والهنادك ، إلى أن رأى رحمه الله بثاقب نظره ، تعذر ما يسعى إليه ، فنادى فى سنة ١٩٤٠ بما نادى به حكيم الهند وفيلسوف الإسلام الشاعر الكبير المرحوم الدكتور « محمد إقبال » من ضرورة تقسيم الهند فى سنة ١٩٣٠ كما رأى القارىء خطبته التى ضمنتها هذا الكتاب ، وكلل الله سبحانه وتعالى مسعى المسلمين بقيام دولتهم الجديدة ، ورأيت أن أوضح الصعوبات التى واجهتها هذه الدولة ، وكيف ذللها الزعيم الأول ورجاله المخلصون .

وإذا كانت الباكستان حديثة النشأة لم يؤلف كتاب عن تاريخها فى لغة القرآن ، فهذا الكتاب سجل إنشائها وقصة تأسيسها وتاريخ

قائدها الأعظم ، وأرجو أن يكون فاتحة كتب أخرى تفصل ما أجملت من المسائل مضطرا لضيق الوقت وكثرة الكتب والأمور الأخرى التى شغلت بها ، فمعذرة إن لاحظ القارىء إجمالا فيما كان يحتاج إلى تفصيل ، أو خطأ إملائيا أو مطبعيا ، وغير هذا من الأمور التى سنتلافاها فى الطبعات التالية إن شاء الله تعالى ؟ .

المؤلفات الأخرى للمؤلف

١ — المعجم الأعظم (قاموس من العربية إلى الأردية فى أربعة مجلدات) يحتوى على ٣٥٠٠ صفحة موضحاً بالصور النادة والأمثال والاصطلاحات الهامة .

٢ — القراءة الأعظمية (جزءان بالعربية) .

٣ — القواعد العربية (أربعة مجلدات بالعربية والأردية) .

٤ — مبادىء اللغة العربية (جزءان بالعربية والأردية) .

٥ — القراءة القرآنية (خمسة أجزاء بالعربية والإنكليزية والأردية) .

٦ — النخبة الأعظمية (بالعربية) .

٧ — الرسائل الأعظمية (بالعربية) .

٨ — مدرس العربية (بالعربية والأردية) .

٩ — محاضرات عن مصر (بالعربية) .

١٠ — فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية فى الباكستان والهند (بالعربية) .

١١ — مصر اليوم (بالأردية) .

١٢ — مصر الحرة (بالأردية) .

١٣ — الحجاب الشرعى والمرأة المسلمة (بالأردية) .

١٤ — حياة محمد عبده والإتحاد الإسلامى (بالأردية) .

obeikandl.com

١٥ — فتى الهند وقصة الباكستان (بالعربية) .

١٦ — جنة الأرض كشمير (بالعربية) .

١٧ — بحث فى الشيعة (بالعربية وقد ترجم إلى الفارسية) .

١٨ — المكالمة الأعظمية (ثلاث أجزاء بالعربية والأردية) .

١٩ — ديوان الأمير تميم الفاطمى بن المعز لدين الله بانى القاهرة والأزهر (بالعربية) .

٢٠ — فى التربية المقصودة (بالعربية) .

٢١ — مبادىء القراءة العربية (جزءان — بالعربية) .

٢٢ — القراءة العربية (جزءان — بالعربية) .

٢٣ — أساس العربية (جزءان — بالعربية) .

فهرس الكتاب

صحيفة

كلمة سماحة مفتى فلسطين .

كلمة سعادة عبد الوهاب بك عزام .

مقدمة الكتاب من الدكتور حسن إبراهيم حسن .

الإنكليز فى الهند ١

حرب الحرية ٤

محمد على جناح ٧

اشتغاله بالمحاماة ٩

اشتغاله بالسياسة ١٠

اشتراكه فى الرابطة الإسلامية ١١

زواجه ١٢

شخصيته ١٧

الفضل ما شهدت به الأعداء ١٧

تواضعه ١٨

جرأته ١٨

تدينه ١٩

مذهبه ومقته للتعصب ٢٠

حزمه ٢٢

محاولة اغتياله ٢٣

obeikandl.com

صفحة

جناح والمؤتمر الهندى ٢٥
الرابطة الإسلامية ٣٣
جمعية الخلافة ٤٤
جمعية الخلافة والمؤتمر الهندى ٥٠
بين المؤتمر والرابطة ٥٣
حركة العصيان المدنى ٥٩
مؤتمر المائدة المستديرة ٦٠
قانون الهند ٦٢
الرابطة الإسلامية فى عهد جديد ٦٦
فكرة الباكستان ٦٩
الإسلام والقومية ٧١
اتحاد الهند القومية ٧٨
هند إسلامية (باكستان) ٨١
دستور الهند ٨٤
اختلاف المسلمين دمار لأمتهم ٨٧
الإنجليز والباكستان ١٠٠
الهنادك والباكستان ١٠٢
انتخاب المركز التشريعى المركزى ١١٢
بعثة كربس ١١٨
تشكيل حكومة مؤقتة ١٢٠
حركة الحرية فى البنجاب ١٢٧
عام المصائب والمصاعب ١٣٥

obeikandi.com

صفحة

دستور الباكستان وأغراضه ١٤١
كلمة معالى وزير الخارجية ١٥٩
المملكة الإسلامية وغايتها (كلمة شيخ الإسلام) . . . ١٧٨
الصراط المستقيم ١٧٩
حدود الله والمقصود من ورائها ١٨٢
القائد الأعظم ١٨٣
الحكومة الدينية فى الإسلام ١٨٥
وظيفة البشر فى الأرض ١٨٦
الشورى ١٧٨
غاية ما تطمح إليه الحكومة الإسلامية ١٨٨
المفاسد المزعومة ١٨٩
الإنقلاب التدريجى ١٩٢
مهمة وضع الدستور الجديد ١٩٤
الباكستان اليوم ١٩٦
خارطة الباكستان الشرقية ٢٠٣
خريطة الباكستان الغربية ٢٠٤
المشاكل بعد قيام الباكستان (مشكلة حيدر آباد) . . ٢٠٥
مشكلة جونا جره وملحقاتها ٢٠٩
مشكلة كشمير ٢١٠
خريطة كشمير وجمو ٢٢٢
علم الباكستان وقصته ٢٢٣
مؤتمر العالم الإسلامى ٢٢٥

obeikandi.com

صفحة

انعقاد المؤتمر العالم الإسلامى الدائم ٢٣٠
مقاصد المؤتمر الإسلامى الدائم ٢٣٢
نشيد المؤتمر الإسلامى ٢٣٨

شخصيات الباكستان البارزة

الآنسة فاطمة جناح ٢٤٠
فخامة خواجه ناظم الدين ٢٤٦
دولة لياقة على خان ٢٤٨
السردار عبد الرب نشتر ٢٥٠
معالى محمد ظفر الله خان ٢٥٢
معالى غلام محمد ٢٥٣
معالى فضل الرحمان ٢٥٤
معالى خواجه شهاب الدين ٢٥٦
معالى بير زاده عبد الستار ٢٥٧
معالى مشتاق أحمد غرمانى ٢٥٨
معالى جوجندرنات منذل ٢٦٠
السيدة فطينة أختربانو ١٦١
معالى تميز الدين خان ٢٦٣
العلامة شبير أحمد عثمانى ١٦٤
شودرى خليق الزمان ٢٦٦
أبو بكر أحمد حليم ٢٦٧
شعيب القريشى ٢٦٨

obeikandl.com

الدكتور اشتياق حسين القريشى ٢٦٩
سردار عبد القيوم خان ٢٧٠
سردار أورنج زيب خان ٢٧١
ملك عمر حيات خان ٢٧٢
غلام حسين هدايت الله ٢٨٣
القاضى عيسى ٢٧٤
الخاتمة ٢٧٩
المؤلفات الأخرى للمؤلف ٢٨١

obeikandl.com

ثبت المصادر

١ — حضارات الهند : للعلامة غوستان لوبون
ترجمة العلامة عادل زعتير (طبع
دار إحياء الكتب العربية) .

٢ — حياة محمد على جناح (بالأردية) : للرئيس أحمد جعفرى الباكستانى

٣ — جنة الأرض كشمير : للمؤلف وزينب هانم الحكيم

٤ — فلسفة إقبال : للمؤلف والشيخ الصاوى شعلان

٥ — فتى الهند : للمؤلف

٦ — مشاهدات فى الهند : للسيدة أمينة السعيد

٧ — نشرات باكستان : للحكومة الباكستانية

٨ — رسالة الباكستان : للسفارة الباكستانية بمصر

باب الصور

obeikandl.com

فقيد الإسلام الفيلسوف العلامة محمد إقبال
الذى نادى بفكرة تقسم الهند سنة ١٩٣٠

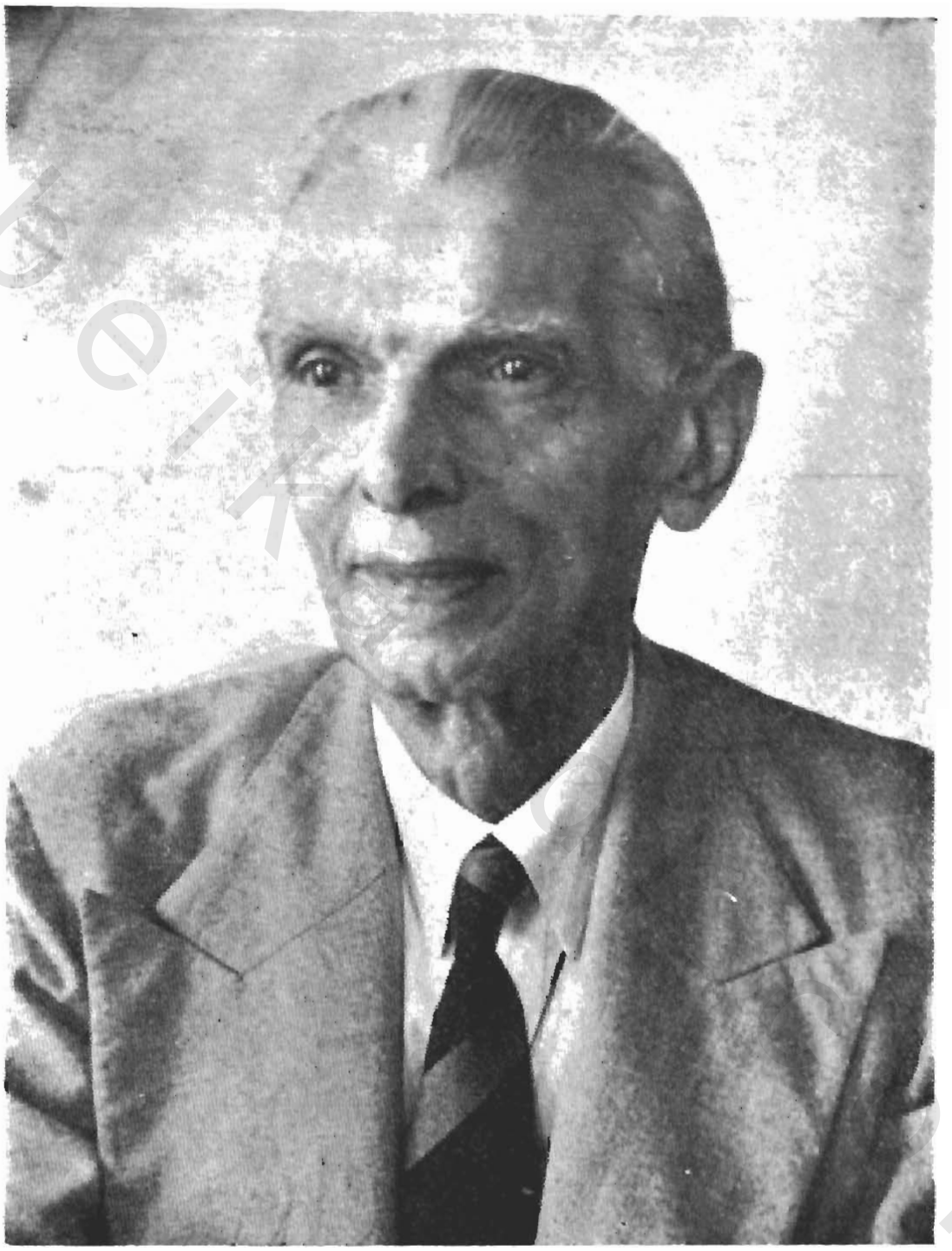

المغفور له القائد الأعظم محمد على جناح
منشىء الباكستان وأول حاكم عام لها

obeikan.com

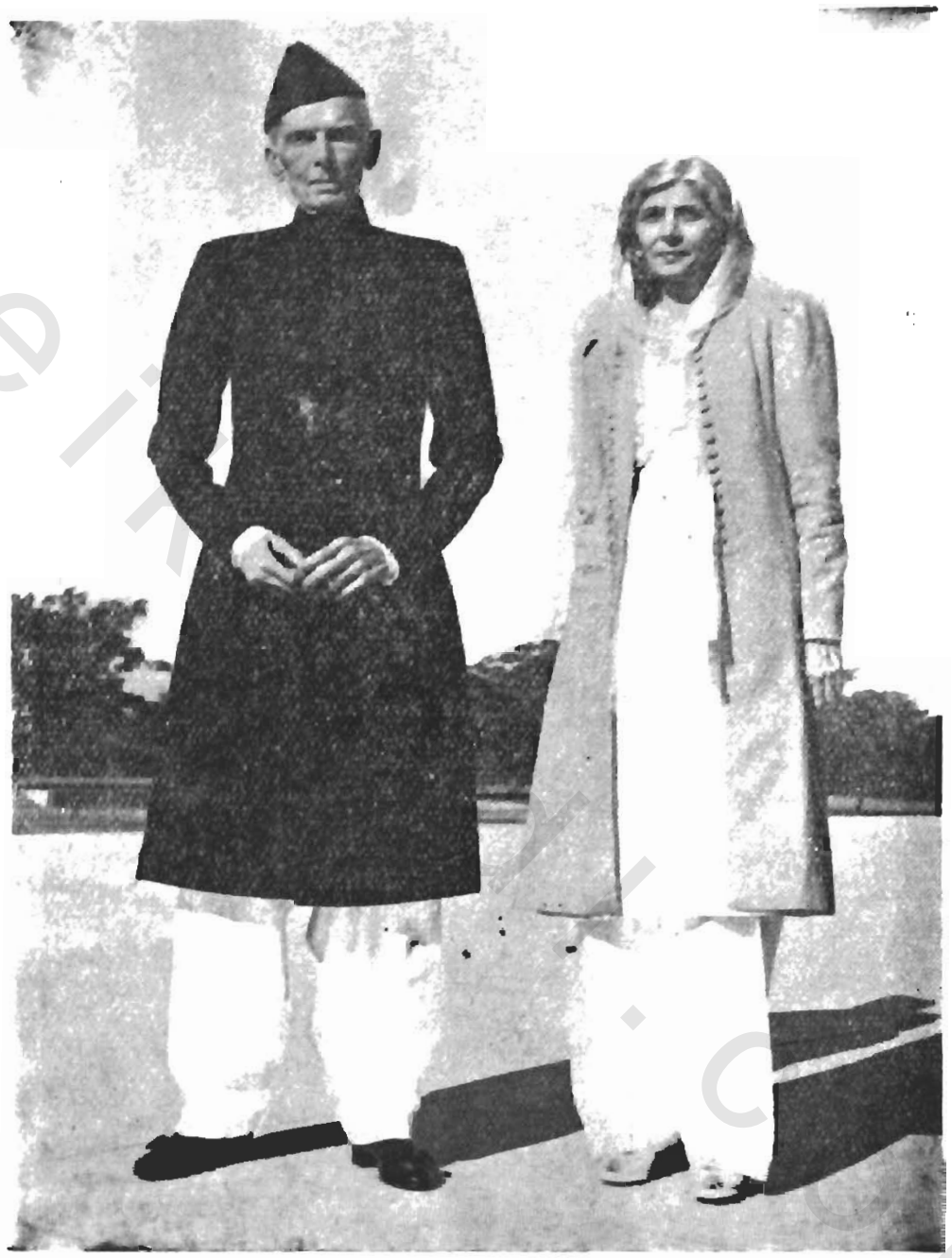

القائد الأعظم وبجواره شقيقته الآنسة فاطمة جناح
وهما فى الزى الباكستانى

obeikandl.com

القائد الأعظم محمد على جناح يؤدى صلاة العيد
بين أفراد رعيته فى عاصمة باكستان

القائد الأعظم وبجواره السيد زاهد حسين محافظ بنك الباكستان
عقب حضورهما حفلة افتتاح البنك

obeikan.com

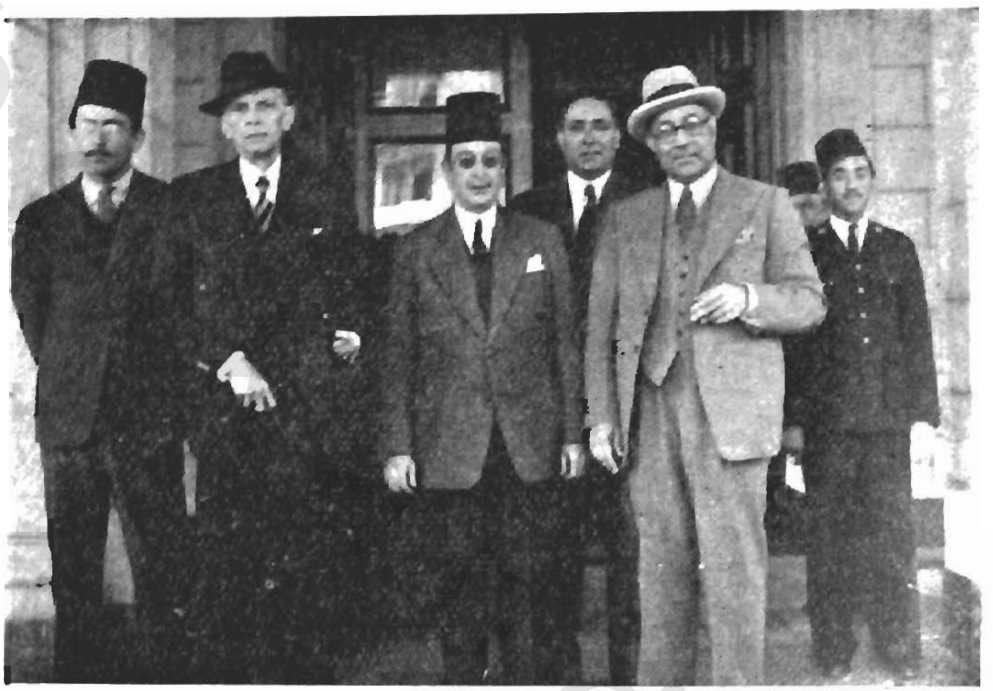

المرحوم السيد محمد على جناح القائد الأعظم وإلى يساره اسماعيل تيمور باشا الأمين الأول لجلالة الملك فاروق والسيد لياقت على خان ومندوبا الجالية الباكستانية بمصر والشبان المسلمين عند مروره بمصر فى طريقه إلى لندن للمفاوضة بشأن تقسيم الهند وإنشاء الباكستان

صاحب الفخامة الخواجة ناظم الدين الحاكم العام للباكستان

صاحب الفخامة سردار عبد الرب نشتر حاكم مقاطعة البنجاب الغربية

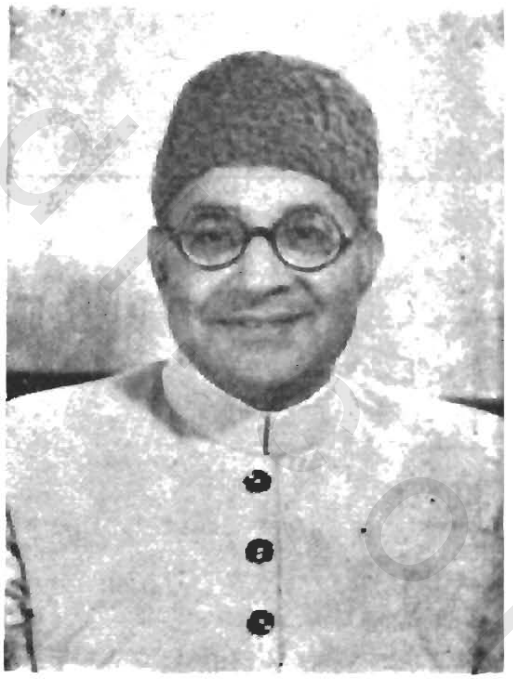

صاحب الدولة لياقت على خان رئيس وزراء الباكستان ووزير دفاعها

صاحب المعالى محمد ظفر الله خان وزير الخارجية وقد ألقى خطاباً طويلا عن قضية كشمير استغرق سبع ساعات متوالية وكان أطول خطاب فى هيئة الأمم

صاحب المعالى علام محمد
وزير المالية

صاحب المعالى تميز الدين خان رئيس
المجلس التشريعى بالباكستان

صاحب المعالى فضل الرحمن وزير
المعارف والتجارة والصناعة

صاحب المعالى الخواجة شهاب الدين
وزير الداخلية والمهاجرين

صاحب المعالى بيرزادة عبد الستار وزير الزراعة

صاحب المعالى مشتاق أحمد غرمانى
وزير شئون كشمير فى حكومة باكستان

صاحب المعالى مندل وزير العدل
وزعيم المنبوذين فى الباكستان

obeikandl.com

صاحب المعالى شودرى نذير
أحمد خان وزير الصحة

صاحب المعالى سردار بهادر خان
وزير المواصلات

صاحب المعالى الدكتور مالك
وزير الأشغال

صاحب المعالى نور الأمين رئيس
وزراء مقاطعة بنغال الشرقية

صاحبة العصمة حرم دولة لياقت
على خان رئيس وزراء الباكستان

صاحب الدولة السردار محمد إبراهيم
خان رئيس وزراء كشمير الحرة

صاحب السعادة راجا غضنفر
على خان سفير باكستان فى إيران
والعراق ووزير المهاجرين سابقا

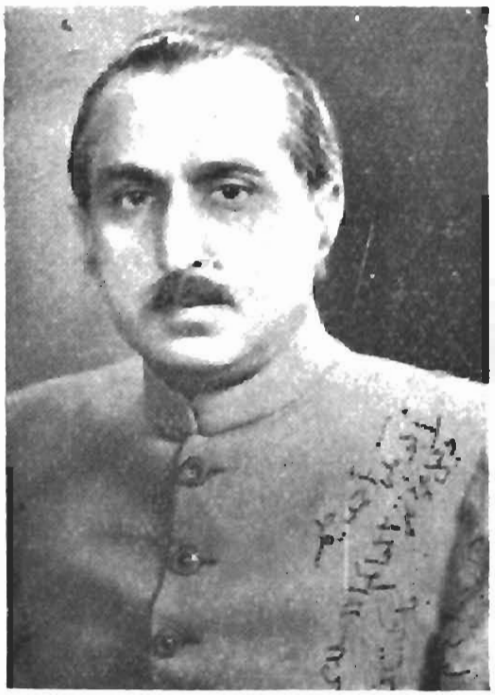

صاحب السعادة أبو بكر أحمد
حليم مدير جامعة السند ووكيل
المؤتمر الإسلامى الدائم

السيدة سلمى تصدق حسين إحدى
الزعيمات السياسيات فى البنجاب

الدكتورة شائسته إكرام الله إحدى زعيمات
الحركة النسائية والسياسية فى الباكستان

بيجم جهات آراشاه نواز إحدى
زعيمات الحركة النسائية فى الباكستان
وعضوة المجلس التشريعى ومن
الخطيبات الشهيرات

السيدة فطينة أخترباتو حرم معالى فضل الرحمن
وزير المعارف ، وإحـــدى زعيمات الحركة
الاجتماعية بالباكستان وتتولى رئاسة قسم
المرأة فى المؤتمر الإسلامى الدائم

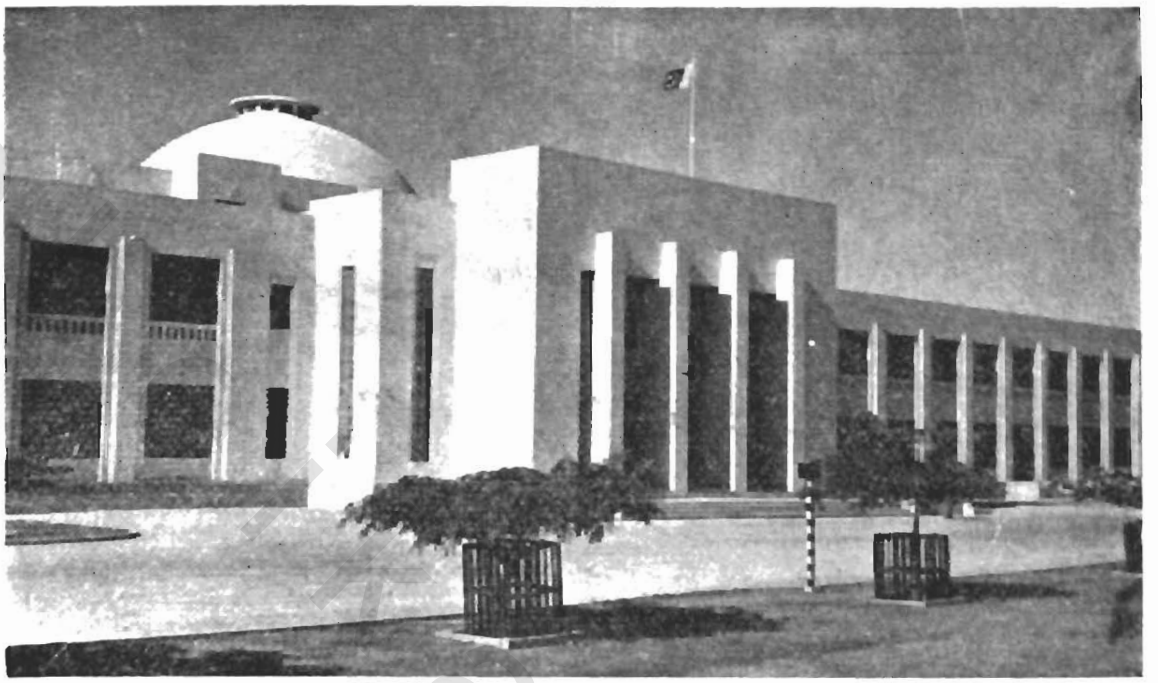

دار المجلس التشريعى بالباكستان

المكتب التجارى لحكومة السند بكراتشى

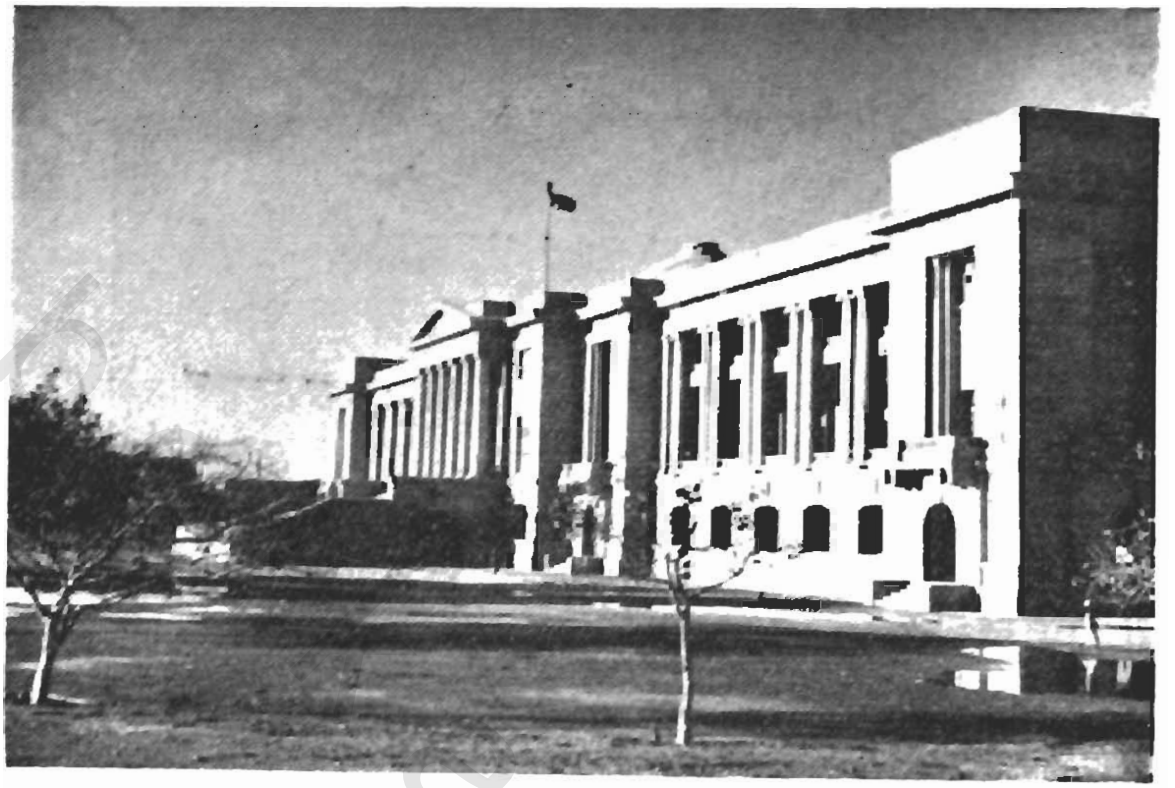

دار المحكمة العليا بكراتشى

قصر الحاكم العام للباكستان

المجلس التشريعى بمقاطعة البنغال الشرقية (باكستان الشرقية)

سراى الحكومة بباكستان الشرقية

obeikandl.com

دار الجامعة بباكستان الشرقية

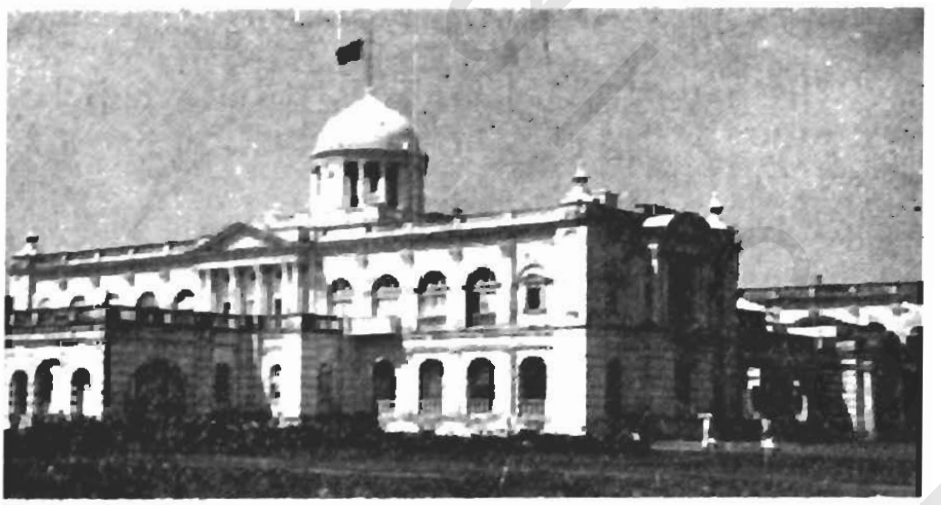

المحكمة العليا بباكستان الشرقية

obeikandl.com

خامة الحاكم العام الخواجه ناظم الدين يلقى خطابا فى الجمعية العربية العامة فى الباكستان عن ضرورة نشر اللغة العربية بالأقطار الباكستانية واختيار خط النسخ للغة الأردية واللغات الإسلامية الأخرى .

معالى فضل الرحمن وزير المعارف يلقى خطبه الافتتاح لكلية اللغة العربية بكراتشى سنة ١٩٤٧

الشيخ سعيد سنومندوب تونس بالمؤتمر الاسلامى يلقى كلمة فى قاعة كلية اللغة العربية برياسة فخامة السردار عبدالرب نشتر وأمامه سفراء البلاد الإسلامية

الاجتماع الأسبوعى للجمعية العربية بباكستان ويرى فى الصورة سكرتير الجمعية يبين مقاصدها وذلك برئاسة فخامة السردار عبدالرب نشتر ومما يذكر أن هذه المحاضرات تلقى باللغة العربية

مندوبو البلاد الإسلامية فى المؤتمر الإسلامى الدائم بكراتشى وهم يمثلون ثمانية عشر قطرا وذلك عند انعقاد أول مؤتمر فى ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٩ .

شودرى غلام عباس يشرح قضيه كشمير فى مؤتمر العالم الإسلامى الدائم

رئيس الوفد الافغانى فى المؤتمر الإسلامى الدائم يلقى كلمته

شودرى خليق الزمان رئيس الرابطة الإسلامية بالباكستان يلقى خطابا عن مشروع (إسلامستان) فى الجالية الباكستانية بالقاهرة وسكرتير المؤتمر الإسلامى الدائم يترجم كلمته إلى العربية . وقد ظهر فى الصورة سماحتا مفتى فلسطين ومصر .

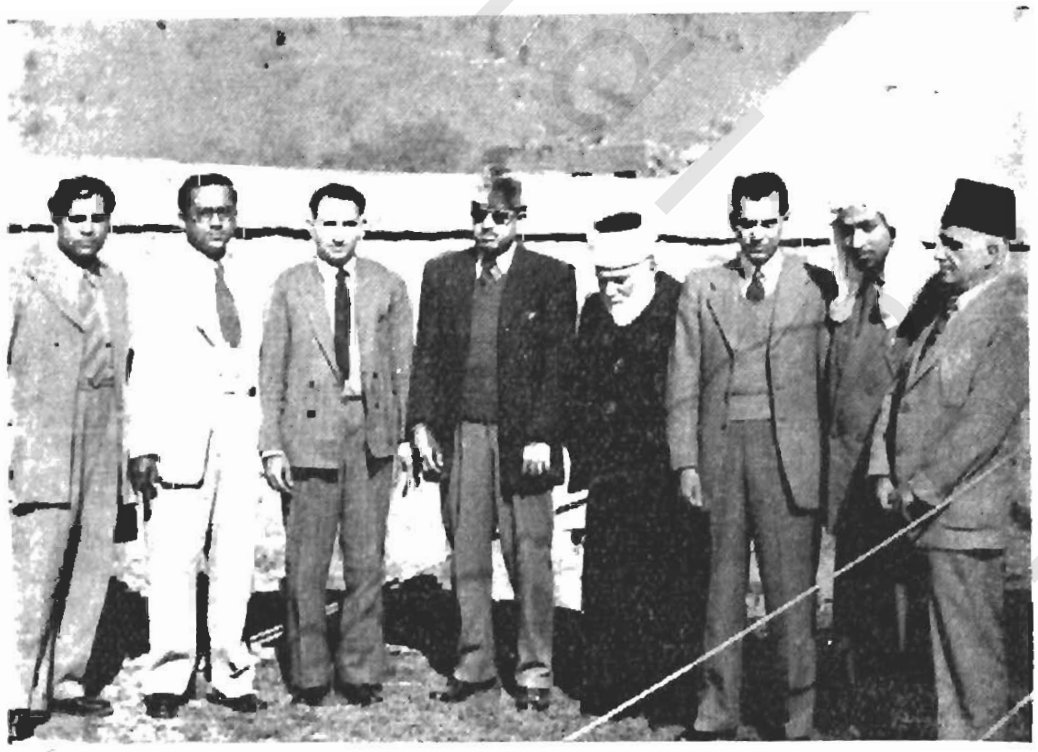

وفد المؤتمر الإسلامى الدائم عند زيارته كشمير الحرة

السردار محمد إبراهيم خان يشرح قضية كشمير لندوبى العالم الإسلامى فى حفلة عقدها المؤتمر الإسلامى الدائم بكراتشى برئاسة شيخ الإسلام المغفور له شبير أحمد العثمانى .

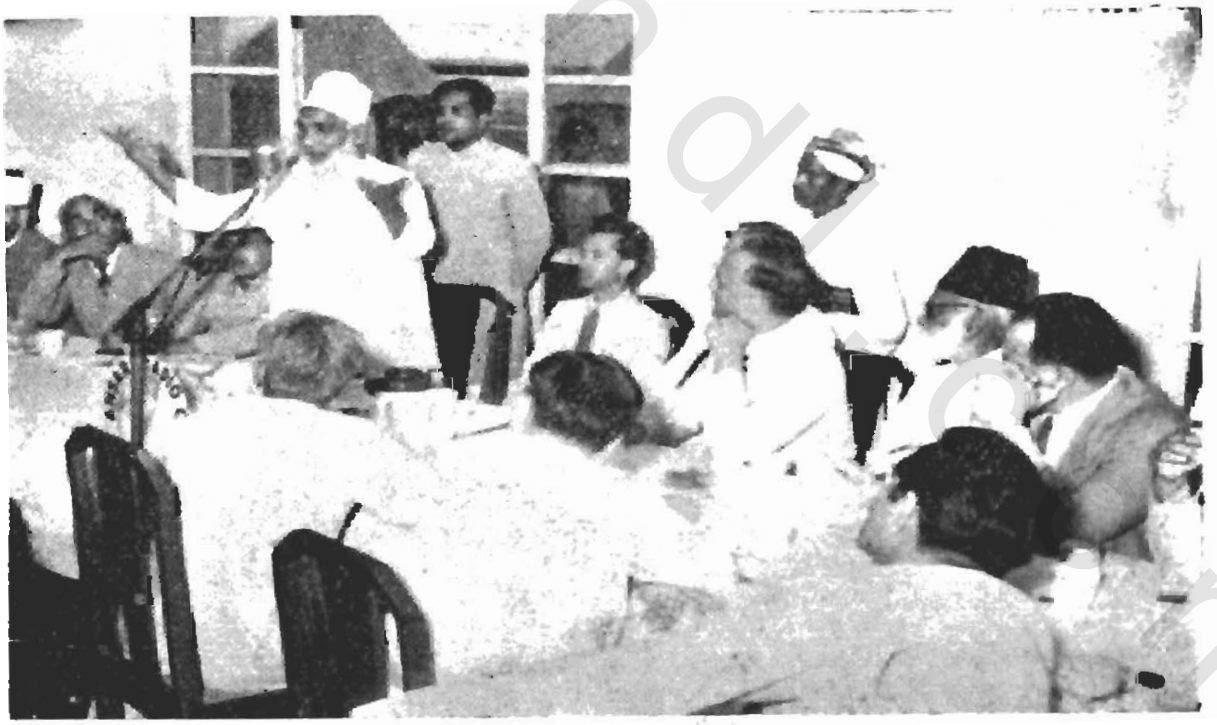

المغفور له العلامة شبير أحمد العثمانى يلقى خطابا عن كشمير وسكرتير المؤتمر الإسلامى يترجم كلمته إلى العربية

مجاهد كشميرى من قبيلة أفريدى بمغارة خيبر وقد أسقط
طائرة حربية هندوكية ببندقيته

أحد المجاهدين البواسل الذين حاربوا الهند ببنادقهم القديمة سنة
كاملة واستطاعوا خلالها انتزاع نصف كشمير من براثن الهندوكيين

obeikandl.com

فريق من المجاهدين الكشميريين فى جبال كشمير

بعض المجاهدين من القبائل الحرة الذين تطوعوا فى كشمير لتحريرها

obeikandl.com

الحرس النسائى بالباكستان أثناء التدريب على إطلاق النار

أعضاء مجلس الأمن يستمعون للخطاب الطويل الذى ألقاه معالى ظفر الله خان عن قضية كشمير

obeikan.com

مجلس الأمن ينظر قضية كشمير

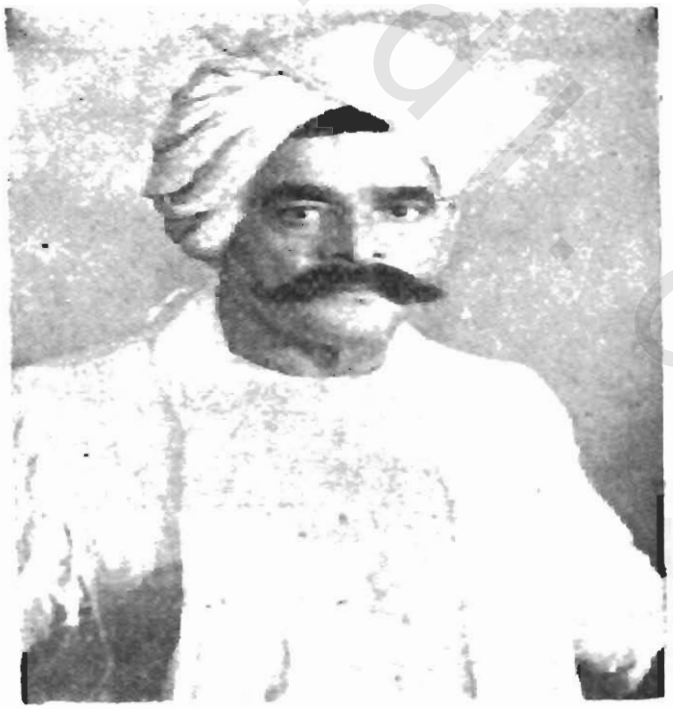

بطل العالم غاما فى المصارعة

obeikan.com

بطل الباكستان بهولو بن إمام بخش بطل الهند

المغفور له محمد بهادر خان أكبر زعماء مسلمى حيدر آباد

obeikandl.com

السيد قاسم رضوى رئيس اتحاد المسلمين بحيدر آباد وهو الآن
مسجون بأيدى الهنادك

نواب معين نواز جنك وزير خارجية حيدر آباد سابقا

obeikandl.com

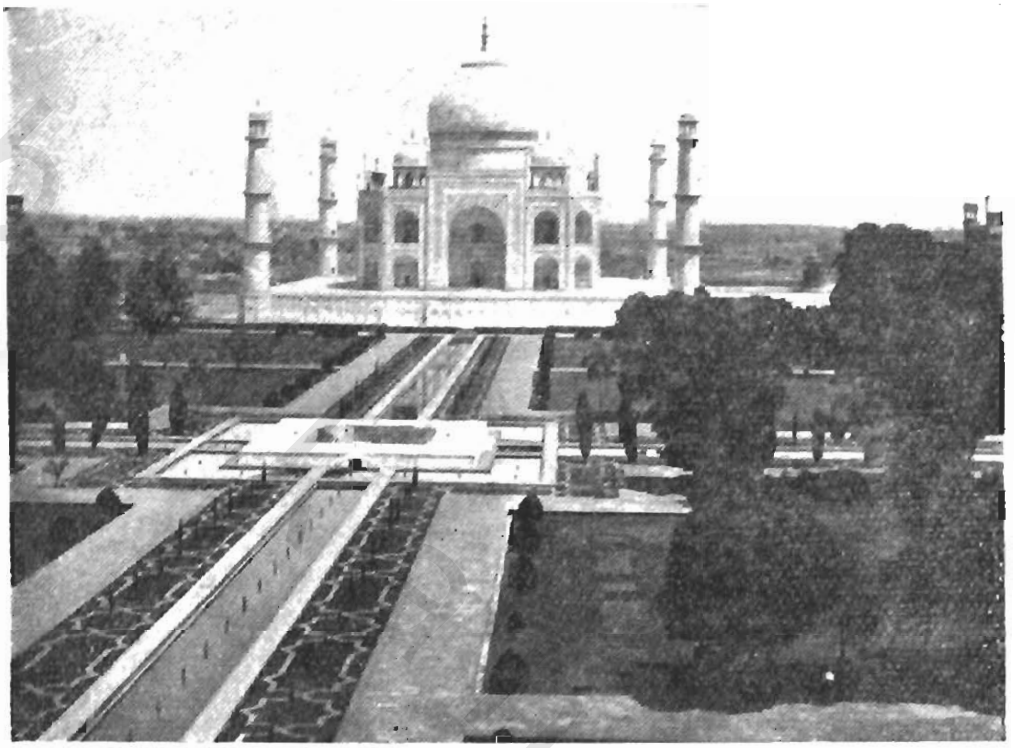

(تاج محل)

أجمل أثر إسلامى فى الهند بناه الأمبراطور المغولى شاه جهان ليكون مقبرة لحرمه ممتاز محل ، وقد دفن هو أيضا فيها .

السردار « إبراهيم خان » رئيس وزراء كشمير الحرة يلقى خطابا عن كشمير ويترجمها إلى العربية سكرتير المؤتمر الإسلامى الدائم الواقف بجواره . وقد ظهر فى الصورة سعادة سفير الباكستان وبعض المدعوين في حفلة الجالية الباكستانية بمصر

جانب من الحفلة التى أقيمت بالجالية الباكستانية لتكريم السردار « إبراهيم خان » . ويرى فى الصورة مؤلف الكتاب مع المدعوين من رجالات العالم الإسلامى